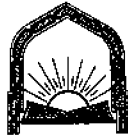


مستشرقون

سياسيون - جامعيون - مجرميون

تأليف
نذير همدان

الناشر



مكتبة الصديق
للنشر والتوزيع

ص. ب. ٢٣٦٨ - هاتف: ٧٣٢٣٣٣٧

الطائف - المملكة العربية السعودية

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م



بسم الله الرحمن الرحيم

(المدخل)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
(آل عمران : ٧١) .
﴿ ... أَلَمْ يُوَخِّذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ أَلا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْآلَ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ... ﴾

(الأعراف : ١٦٩)
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ... ﴾
(العنكبوت : ٦٨)

إن (أزمة) المستشرقين (الفكرية) و (الأخلاقية) والمشكلات الناتجة عنهما قد أساء اليهم أئمة إساءة . فيكاد (تشويه) الحقيقة الفكرية : دينية أو تاريخية أو لغوية أو عملية ، يصبح ظاهرة عامة في العمل الاستشراقي المبطن والسافر ، المباشر وغير المباشر .

وإذا نجت مسائلها من بعض المستشرقين فإننا نحسن الظن بهم على أنهم أنصفوها ، ووضعوها في نصابها من الفكر الإنساني .

ومهما يكن من أمر فإن التشويه بالتزيف أو بالتزيد أو بالتشكيك ، أو بطرح شبهات فإنه نجح على هذه الحقيقة وسير في إفساد الرواسب .

وإذا برزت حقائق فكرية وعملية بعد الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) وأضحت الصليبية تصارع الزحف العلمي الناهض فإن تآزر الكنسيين والعلمانيين في تشويه الحقيقة الفكرية الإسلامية جعل منها ظاهرة استشراقية تكاد تكون عامة .

وهؤلاء وأولاء قد ألبسوا تشويهاتهم ثوباً مذهبياً كنسياً ، وثوباً مذهبياً علمياً ، واستغلوا الحماية الدينية في المذهبية الأولى ، والعقلانية المنطقية في الثانية لينحوا دراساتهم قناعات عاطفية وعقلية .

فمن المعروف أن (التنصير) رصد أموالاً وجهوداً في مجالين كبيرين :
الارسلالات ، والمستشرقين بلغت (١٠٠٠) مليون دولار عام ١٩٥٨ و (مئات)
المجلدات في النواحي المختلفة التي يجب أن يهتم بها المبشرون . كما أنه من
الملاحظ أن العلمانية ظاهراً ، والصليبية باطناً أبرزت مجالين : فكراً غربياً متحاملاً
على الشرق ، واستشراقاً متصلاً بالثقافة العربية الإسلامية وبلادهم .

والمجالات الأربعة يمكنها أن تصب في آسن من الضحالة المذهبية ، هي
الغزو الفكري ، الذي بدأ مع ظهور الإسلام ، ونشط بعد الحملات الصليبية ، وبلغ
عنفوانه أواخر القرن التاسع عشر ، وعمل في إطاره الدبلوماسي المغلف في القرن
العشرين .

ومن هنا فإن تشويه الحقيقة عاش في التاريخ الفكري العربي ، كما عاصرت
أحداثه ووقائعه ، في الزمن المعاصر ، وله تطلعات في المستقبل لاتنقر ، تحت
ستار معسول الأسلوب ، ورائق العبارة ، وزائف التركيب .

والباحث المسلم يتأمل في الأبعاد التاريخية منها والمعاصر ، والمستقبل ،
فتحتة المسئولية إلى متابعتها جميعاً ، أو متابعة بعضها ، ليلقي مزيداً من الأضواء
عليها ، فيكشف عوارها ، ويحصن الفكر الإسلامي من تربيتها ، ويجردها من
التزديدات التافهة ، ويضع الحقيقة ناصعة مجردة من التشكيك والشبهات .

وكنتم أقول إن التجني على الحقيقة الفكرية لايسئ إلى الفكر الإسلامي بقدر
مايسئ إلى الفكر العالمي ، لأن الإسلام في دوره الحضاري العالمي مكن للفكر
الإنساني بآفاق لم يكن يدركها ، وبأبعاد جديدة لم يكن يعرفها .

وإذا تركنا العمل الفكري الموضوعي جانباً ، واتمسنا إطاره (الأخلاقي) من
ناحيته الخاصة ، وأخلاقية الباحث الغربي من ناحيته العامة ، فإن أدنى الوفاء للثقافة
العربية الإسلامية ، أن تبرز معالمها وتوضح مزاياها بعد كشف حقيقتها ، فأين هذا
من أخلاقية الفكر الاستشراقي ، وأخلاقية المستشرقين عامة ؟ بل وأين هذا من
صدق الوفاء وحسن العهد ؟

وصدق الوفاء ليس التزاماً ببيان الحق ، وجلاء الفكر وحسب ، وإنما هو في الالتزام الخلقي بحسن العهد الذي خانهم في أحيان كثيرة ، بعد أن أعلنوا وفاء المسلمين في نقل التراث الإنساني القديم ، ورفده بالمستجدات التي يشعر المنصفون أنها فضائل فكرية إسلامية تابعت المسيرة الحضارية ، ولذا فما دام الإسلام قدم ويقدم حضارة فكرية : علمية وعملية وروحية ، فإن من صدق الوفاء أن يعطى حقه من الوجود الحضاري ، وأن يشاد بدوره تياراً عالمياً واتجاهاً إنسانياً ، ومنهاجاً بشرياً .

وليس من مبرر لأي تخوف طائفي أو فكري في مد حضارته الإنسانية في أرجاء الأرض .

فإن الفكر الإسلامي رباني الأصل يهدف إلى صياغة الفكر العالمي بحقائق إلهية صالحة للناس جميعاً ، ويدفع الى السلوك الأمثل بدافع من هذا الفكر ، وينشر العلوم والآداب والفنون من هذه المنطلقات . فهل يضنّ (التنصير) و(الاستشراق) عليه ببيان دوره الحضاري ذي الفضائل والمزايا مادام هو يضنّ بهم في هدفه صياغتهم فكراً وسلوكاً وعلماً .

ومع هذا وذاك فإن (الاستشراق) خاصة يحتاج من الفكر الإسلامي إلى أن يضعه بالصورة الصحيحة ضمن الحقائق أو الزيوف التي لا يحتاج الإسلام من بعدها إلى ثناء مستشرق ولا الى مديح غربي ، مهما زعمنا ان كلاً منهما مخلص في مديحه وثنائه .

وعلى كل حال فإن الذي يطرح نفسه هنا ، هو أن تشويه الحقيقة لايليق بالفكر كما لايليق بالأخلاقية . أما تشويه الحقيقة من حيث الفكر فقد كان من فعل المستشرقين عموماً ، مما أدى إلى نفور إسلامي عام ، وأما من حيث تشويه الأخلاقية الفكرية والعامة فقد كان اتجاهاً للمستشرقين أيضاً ، ولكنه يبرز بصورة خاصة في (المستشرقين السياسيين والاستعماريين) .

ولا حاجة بنا الى تأكيد القول : ان انحراف الفكر الاستشراقي عموماً الى تشويه الحقيقة صورة صادقة لإصداراتهم القديمة والمتوسطة والحديثة .

وهي إذ تدل على فرض هذه الظاهرة نفسها في مجموع اتناهم الفكري فإن
اطارها غير الأخلاقي يزيد لها تشوهاً وغثاءً ، وبعداً عن الالتزام الموضوعي .

ولكن الانحراف الفكري الذي يؤسس مطبوعات المستشرقين السياسيين
ويواكب أعمالهم الاستعمارية أحياناً ، يفرض بصمات قائمة من الخيانة العلمية
والأخلاقية ، بل والإنسانية أيضاً .

وهل نتصور مستشرقاً يقدر أن يلتزم بالأخلاقية وهو يشارك في عمليات
تخطيطية لاستعمار بلد أو فكر إسلامي ؟ وهل يغني جهده الفكري ودأبه البحثي
مهما ارتقى في سلم الدقة والعمق إذا كان يغني الاتجاه الاستعماري بمعلوماته
الجغرافية من الخرائط الطبوغرافية والمعارف الإنسانية والاجتماعية ؟

وفي رأيي أن انسلاخ المستشرق السياسي من أخلاقية الباحث وأخلاقية الإنسان
لانتعوضه ترقيات رسمية مادية أو معنوية ، ليس في مجال الحقيقة الفكرية والأخلاقية
فحسب ، وإنما لدى مواطنيه وذويه أيضاً بعد انحسار الاستعمار أو ضعفه .

ولا إخال الشهرة القومية أو العلمية التي نالها في النجاحات العسكرية والنفوذ
أن تطمس إنسانية المستشرق الذي يعلم جرائم الاستعمار في القتل والتدمير
والإبادة .

وان الفكر الاستعماري الذي كان يرفده ويدعمه الفكر الاستشراقي لا يضعنا في
مواجهة تحولات في المفاهيم الأخلاقية وحدها وإنما يرسخ العداء الصليبي الحضارة
الإسلام والمسلمين ، ويعلن عن نفعية متطرفة في المصلحة تلبست بمضامين فكرية
لتسير في ركاب الاستعمار .

ومن الصعب استثناء واحد من المستشرقين السياسيين في طهارة النفس ونقاء
الفكر وصفاء الدافع طالما أن ظاهرة تشويه الحقيقة تكاد تصبح ظاهرة عند
المستشرقين جميعاً .

والقضية المعكوسة هنا ، هي أن الاستعمار لم يكن في خدمة الاستشراق وهو
ما يجب أو يصح أن يكون ، وإنما أضحي الاستشراق في الجانب الأعظم من

الاستعمار إن لم يكن في جميعه ، وفي خدمته ، ولو ان الاستعمار في آخر أمره كان يهيء بيئة صالحة لنشاط استشرافي وتنصيري دائم .

إن وزارات الخارجية والمستعمرات وأجهزة المخابرات ، كما هو معلوم ، في الدول الاستعمارية تتنافس في الاستزادة من معلومات وأفكار المستشرقين التي كانت في غاية السرية ثم عرف منها الشيء القليل .

وهو ليست كما يظن ، من أفراد قلة ، وإنما يمكن أن تعد جمهرة قد وظفت نفسها وأخلاقتها ، أو وظائفها واستخدمها الاستعماريون للإفادة من كل ما يستفاد منه ، وبأى أسلوب أو وسيلة ممكنة .

ولو أنها عملت ، السياسة برغبة الدفاع عن شعب مظلوم ، أو تحقيق هدف إنساني لقلنا : إن المبدئية ونساعة الدافع جعلت من أعمال المستشرقين وأفكارهم السياسية مسوغاً للاتجاه السياسي ، ولكنها قضية أطماع وتوسعات ، ومن ورائها الحقد الصليبي في الفكر والأرض والانسان .

ولا يخطرون بالبال أن المقدمة والبحث هنا في الشؤون السياسية الدولية والعربية وإنما هما في بحث قضية هامة من قضايا الاستشراق يتضح فيه بمنهجية وموضوعية انحراف البحث العلمي إلى الاتجاه السياسي وانحراف الباحثين المستشرقين إلى السياسة الاستعمارية .

١ — فالمستشرق الانكليزي (بالمر) (١٨٤٠ — ١٨٨٢) (لقي حتفه جزاء وفاقاً لعمله) حيث كان في هيئة الاستكشاف في فلسطين (١٨٦٩) وارتاد صحراء سيناء واتصل بالبدو وتضلع من لهجاتهم وعاداتهم وعرف بينهم الشيخ عبد الله وعمل : رحلة في شبه جزيرة سيناء وتاريخ القدس (١٨٧١) ، ومسح غرب فلسطين (١٨٨١) و : موجز جغرافية الكتاب المقدس .. وسافر الى لبنان ومنه إلى دمشق ثم إلى جبال العلويين ثم إلى استنبول . وعمل كتاباً في كمبردج ١٨٧٠ مزوداً برسوم وخرائط ..

٢ — والمستشرق الألماني (بكر) (١٨٧٦ — ١٩٣٣) حيث تلقى دراسته

الحقيقية على يد الرحلات وقراءة كتب المستشرقين الكبار فزار عدداً من عواصم أوربية ، ثم تجول في مصر والتقى بالشيخ محمد عبده ، وبعد قيام الحرب العالمية الأولى صار (بكر) يشغل بمسائل السياسة الشرقية وكتب فيها أبحاثاً صغيرة ثم عين ١٩١٦ مستشاراً مقررأ ، إلى أصبح وزيراً ١٩٢١ وعرف في آخر حياته مديراً لمجلة (الإسلام) .

٣ — والمستشرق النمساوي (دودا) (١٩٠٠ — ١٩٧٥) حيث خدم في الجيش الألماني في تركية وتخصص بالتركيات واهتم بمجالات الإصلاح اللغوي فيها على عهد كمال اتاتورك ، وتوفر على الوثائق العثمانية في كوبنهاجن ، ودرس تاريخ البلقان في العهود التركية ، وأسس (مجلة التعليم العالي النمساوي) (١٩٤٩) ثم عمل : من الخلافة إلى الجمهورية (١٩٤٨) .

٤ — والمستشرق الإيطالي (روسي) (١٨٩٤ — ١٩٥٥) حيث ارسل سنة ١٩١٢ الى ليبيا ضمن الجيش الإيطالي وبدأ في طرابلس تعلم العربية ، ثم عاد الى إيطاليا ليشارك في القتال الدائر بين إيطاليا والنمسا . وساعد في تحرير مجلة (الشرق الحديث) التي كانت تهتم بالأحوال الراهنة في العالم الإسلامي ، ثم راح يدرس تاريخ منطقة البحر المتوسط في العصر الحديث وخاصة تاريخ طرابلس تحقيقاً ودراسة .

٥ — والمستشرق الفرنسي (كولان) (١٨٩٣ — ١٩٧٧) حيث عمل أولاً في الجيش الفرنسي المقيم في (تازة) المغربية ثم انتدب مترجماً مساعداً في مصلحة الاستخبارات ، ثم وضع تحت تصرف الحماية الفرنسية في مراكش سنة ١٩٢١ مع استمراره موظفاً خارج الإطار الدبلوماسي في وزارة الخارجية ، وتدرج في عمله الدبلوماسي الى أن أصبح قنصلاً عاماً ١٩٤٦ ومن أعماله : تعليقات تتعلق باللهجة العربية في شمال منطقة تازة (١٩٢٠) ، وبالحياة المراكشية (١٩٣٠) وغيرها مما له علاقة باللهجات العربية العامية المراكشية .

ومستشرقون كثيرون آخرون ، وإسبانيون وبلجيكيون وروس وهولنديون وبولنديون عرفوا بالاتجاه السياسي والعمل الإستعماري . سنأتى على ذكرهم .

إن الكشف عن هؤلاء يلقي أضواء على الاجتياح العسكري والفكري للعالم العربي الإسلامي مع ما يوضحه من تواطؤ الجهود الاستشراقية الواسعة في مجالات وميادين أبعد مما تكون عن البحث والدراسة المنهجية الموضوعية التي يدعيها المستشرقون ، وإصدارات ومطبوعات أشد بعداً ولكنها أكثر عمقا في الميدان السياسي الاستعماري .

وكثير منهم يسوغون وجهتهم السياسية بدافع وطني قومي ، وبالاتجاه الاستعماري الأوربي العام الذي اجتاحت تياره الغربي إبان القرن التاسع عشر . وإذا صح من وجهة نظرهم شغل المستشرقين في السياسة وهم في بلادهم أو متجولون أو مستقرون إلى حين في العالم العربي الاستعماري فكيف يصح لهم أن يمارسوا أعمالاً وأحوالاً سياسية وهم جامعيون أو مجتمعيون داخل بلادهم وخارجها ؟ فمستولية الجامعي نقل المعارف العليا العلمية والعملية وإعداد ملكات الدرس والبحث العلمي والأدبي ، ودفع النخبة من الطلاب لقيادة البلاد في مجالاتها المختلفة .

فالمهمة إذاً تعليمية من حيث التحصيل أو الإعداد ، والصلة الطلابية مع الأساتذة صلة تعلم واقتباس معرفة ، وانتظام في سلك العلمية وما يتصل بها من إنماء القدرات الخاصة بها ، والدوافع لكل من الطلاب والأساتذة علمية مبررة من شوائب المزاجات الشخصية والسياسية براءتها من المنطلقات المذهبية والنزعات المفرضة ، والإتجاهات الإقليمية الضيقة .

إن الرحب الإنساني في المبدأ والعمل والغاية بمفهومه السليم أعظم سمات العلمية الجامعية روحاً وعملاً واتجهاً ، ويفخر المسلمون بمثل هذه الممارسات العلمية الراقية في طول بلادهم وعرضها ، وبخاصة في المدن الإسلامية الكبرى حيث كانت مؤسساتهم العليا تستقبل طلاب العلم من إسبانيا والبرتغال وفرنسا وانكلترا وألمانيا ... فينهلون من ينابيع المعرفة في أجواء بعيدة عن التمييز العرقي والاستعلاء العلمي والانغلاق الإقليمي ، ثم يعودون إلى بلادهم وقد تغيرت في

عقولهم مفاهيم ، و انتهجت مناهج فيها من الجدة والحدثة أكثر ما فيها من رواسب التقليد والمحاكاة .

حتى إن الرهبان ورجال الدين تعلموا العربية ، ومعها شيء من العلوم الدينية والعلمية الإسلامية ولم يخل عليهم الاساتذة المسلمون بأية معرفة مهما كانت دوافعهم وغاياتهم .

وهذا ما كان يتوقعه المسلمون ويرجونه في الوقت الحاضر من الجامعيين الغربيين عموماً والمستشرقين خصوصاً ، لامكافأة على إسداء ، أو وفاء بمعروف وحسب وإنما هو مقتضيات رحابة العلم وإنسانيته كما يجب أن تكون .

ولكن الواقع كان شيئاً آخر ، فتخلفت المتوقعات وخابت الرجاءات وأضحت منابر الجامعات وسيلة فعالة في الغزو الفكري أكثر منها وسيلة في التحصيل والتعليم .

ولا غرو فإن في هذا المسلك المنحرف الذي ينبغي له أن يتجرد من السلوكيات الشخصية والأهواء الوطنية والمذهبية دلائل على اختلافات شديدة في نفسيات المحاضرين ، وفي البيئات العلمية والغاية من التعليم ، وبين علماء العالمين المسلمين والغربيين .

وربما كان السبب الأهم فيه هو خضوع البلاد الإسلامية الى التسلط الاستعماري ، وتخلف المسلمين علمياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً .

ولكن من الضروري أن ننوه بالثمرات العلمية التي قطفها طلابنا من الجامعات الأجنبية ، وعادوا بiecesها إلى بلادهم بينما استقر معظمهم في الخارج مع العقول والخبرات العربية الإسلامية التي هاجرت أو تهجرت .

فإن إنكار مثل هذا تطرف فكري وانحراف خلقي يأباه المسلمون .

والجامعيون الغربيون والمستقدمون كانوا يحاضرون غالباً في العلوم الإنسانية وليس في العلوم التطبيقية ، مستأثرين لأنفسهم بالتقدم العلمي المادي الذي يزيد من

تطورهم ومن تخلفنا . فهم وان حاضروا أو حاضروا قلة منهم في اللغة والفلك وتاريخ العلوم فان غالبيتهم حاضروا في العربية فقهها وآدابها ، والفلسفة نظرياتها وتاريخها ، وفي التاريخ العربي الإسلامي ، والتاريخ القديم واللغات السامية ، والكتاب المقدس ، والموسيقى والحقوق ، وغيرها من المواد التي يتطلب معظمها غوصاً في الشرعيات وعلومها .

وعلى الرغم من أن قلة منهم لم تعرف لهم مهمات سياسية أو تجاوزات مذهبية عموماً مثل : عبد الكريم جرمانوس المجري (ولد ١٨٨٤) وجورج سارتون الأمريكي الجنسية (١٨٨٤ - ١٩٥٦) ، وروسيني الإيطالي (١٨٢٧ - ١٩١٢) وماسه الفرنسي (١٨٨٦ - ١٩٦٩) وغيرهم فإن أكثرهم كان غارقاً في حمأة الاستعمار عسكرياً وسياسياً لا يخشى من الالتزام الفكري أن يدور في فلك الاتجاه الاستعماري المتسلط بصورة علنية أو مستورة . ومنهم :

١ - ليون بيرشه الفرنسي (١٨٨٩ - ١٩٥٥) الضابط في الجيش الفرنسي وهو مدير معهد الدراسات العليا بتونس .

٢ - توماس أرنولد الانكليزي (١٨٦٤ - ١٩٣٠) عميد مدرسة اللغات الشرقية في لندن وهو أستاذ في جامعتي عليكرة بالهند والجامعة المصرية .

٣ - سيسر الأمريكي (ولد ١٩٠٢) رئيس قسم الشرق الأدنى في فرع الأبحاث والتحليل في مكتب التنظيمات العسكرية خلال الحرب العالمية ، وأستاذ بالمدرسة الأمريكية ببغداد ، كما سيأتي تفصيله .

٤ - اما فيليبي الانكليزي (١٨٨٥ - ١٩٦٠) ، وكراوس التشيكي (١٩٠٤ - ١٩٤٤) ، وماسينون الفرنسي (١٨٨٣ - ١٩٦٢) ، وجريفييني الإيطالي (١٨٧٨ - ١٩٢٥) وغيرهم كثير فإن الحديث عنهم بتفصيل فيما بعد .

فمن الأمانة العلمية والمسئولية الفكرية أن يوضح شيء من دورهم السياسي المترافق مع النشاط الجامعي ، وتبرز بعض أفكارهم الاستعمارية المتزامنة مع الاجتياح العسكري الغربي والصهيوني ما أمكن ذلك .

أما الفئة الثالثة التي سأعرض لها في بحثي فهي مجموعة كبيرة من المستشرقين
المجمعين من معظم الدول الغربية والشرقية ومعظمهم جامعيون ، أو جامعيون
سياسيون أيضاً .

فقد كرمتهم الجامعات العربية في دمشق والقاهرة وبغداد وجعلتهم أعضاء شرف
أو مراسلين ، وأحياناً أعضاء مؤسسين ليس لغزارة علمهم وفقههم في العربية وإنما
لتوسعهم في معرفة اللغات السامية التي منها العربية ، وتصلعهم باللغات اللاتينية
أيضاً .

وإذا أحسنّا الظن باختيارهم — وهو الواقع غالباً — فإن كثرة المستشرقين في
الجامع لا تتناسب مع ضالة إنتاجهم الجمعي الذي يتسم بالبحث اللغوي
عموماً ولكن لابد من الإشارة الى زمرة منهم تنوعت نشاطاتهم الجامعية والإدارية
والسياسية كما تعددت عضويتهم في مجامع عربية وغربية .

وهذه الزمرة التي عرف من تاريخهم ارتباطهم بالاتجاه الإستعماري العسكري
أمكنهم أن تنسرب الى أعلى المستويات اللغوية بأكثر من دافع وغرض ، حتى برزت
أسماءهم في أرفع المؤسسات الجمعية العربية والغربية .

ويدهش الباحث من عضوية الجمع الدمشقي للوزير الإنكليزي آربري
(١٩٠٥ — ١٩٦٩) وفي أكثر من مجمع عربي وغربي ، والوزير الفرنسي المفوض
بالمشرق ، جبريل فران (١٨٦٤ — ١٩٣٥) عضواً في مجمع دمشق فقط ،
وزميله آرثور (١٨٧٤ — ١٩٢٨) . والقنصل في حيفا وطرابلس الغرب وأزمير ،
والألماني هارثمان (١٨٥١ — ١٩١٨) مستشار القنصلية في بيروت ، كما
يدهش من عضوية الجمع العربي في القاهرة لسفير بغداد ولبنان المشرق
الاسباني (جوميز) ، والمستشار بوزارة المستعمرات ماسينون الفرنسي
(١٨٨٣ — ١٩٦٢) . ووزير الأنباء الإنكليزي السابق (آربري) بالإضافة إلى
المستشرق الأنكلو أمريكي (جب) (١٨٩٥ — ١٩٧١) مدير مركز الدراسات
للمشرق الأوسط .

ويبدو أن المجمع العلمي العربي الدمشقي قد استأثر وحده بعضوية العسكريين من الضباط وقادة الحروب كما سيأتي معنا من أمثال جرفيني الإيطالي (١٩٧٨ - ١٩٢٥) أمين إدارة أركان حرب طرابلس ، ومالينجو العقيد الفرنسي (١٨٧٣ - ١٩٢٦) وموزيل اللواء التشيكي (١٨٦٨ - ١٩٤٤) ...

أما المجمع العراقي فكان يستقبل المحاضرين والأعضاء بعدد أقل ، واختيار أدق ، وهم على قلة عددهم بالنسبة الى المجمعين المصري والدمشقي لم يستمروا طويلاً في النشاط الجمعي ، ولم يقدموا إنتاجاً مجمعيّاً يستحق الذكر .

ومن المستشرقين الأعضاء فيه : الفردجيوم (١٨٨٨ -) الإنكليزي (سيأتي التفصيل عنه) الذي اتجه في دراسته إلى تاريخ اليهود وفلسطين ، وكان يحاضر في الجامعة الأمريكية وجامعة استنبول - وقد عرف أيضاً بافتراءاته على الإسلام والرسول . وزميله المستشرق (ج . د . اندرسن) المعروف بدراسته الفقهية مثل : الشرع والفقه الإسلامي (١٩٤٩) ، وإبطال الزواج على المذهب الحنفي (١٩٥٠) ، وجريمة القتل في الاسلام (١٩٥١) ، والأحوال الشخصية في العراق (١٩٥٣) ، وفي سوريا (١٩٥٥) ، وللطائفة الدرزية (١٩٥٢) . بالإضافة الى المستشرق الفرنسي (ماسينون) والمجري المسلم عبد الكريم جرمانوس .

إن المجامع مؤسسات لغوية رفيعة ، وعمل المستشرقين فيها أخذ طابعين : طابع البحث اللغوي ومحاولة طرح شبهات على العربية ليصار الى العامية ، ومن ثم النفوذ الى الأصول الاسلامية التي استوعبتها العربية ، وتشويهها عن طريق اللغة ما أمكنهم الى ذلك . وطابع سياسي ومذهبي ومحاولة التأثير به على العربية والعرب وخاصة المجمعين .

ولا ريب أن إعجاب مجعينا بالأساليب الاستشراقية في المعالجات اللغوية التي تبدو بصورة العمق اللغوي والاستقصاء والتتبع والموازنة باللغات الأخرى ، لم يكن في موضعه المناسب بعد أن خاب أملهم في نشر أبحاث لغوية استشراقية

متميزة ، ومن هنا فإن البحث يهتم بالكشف عن شخصياتهم وأعمالهم وشيء من
شبهاتهم وافتراءاتهم لا للتاريخ الفكري والمجمعي وحسب وإنما لتأكيد تحرر
مجامعنا من أعمال شخصيات لم يوظفوا عضوياتهم في مسؤولياتهم الكبرى وحسبي
أنني وضعت بين أيدي المثقفين جداول بأسمائهم وإنتاجهم وأعمالهم ، لم أسبق
اليها ، ویدراسات متأنية أو نوعا ما عن أهم شبهاتهم وزیوفهم ، راجياً المثوبة من الله
فهو ولینا ونعم النصیر .

أولاً

مستشرقون سياسيون

اهتمام غربي بعربية المستشرقين :

إن الجهود المادية والمعنوية الأجنبية ، أخذت تتنامى سطحاً وعمقاً في تعريب اللسان الغربي والشرقي لكبار المبشرين والمستشرقين على الصعيدين : الرسمي والشعبي .

فقد تنوعت المؤسسات على تنافس فيما بينها ، في اختيار نماذج من شعوب مختلفة لتحمل الأفكار الاستشرافية ضمن أعمال دبلوماسية ، أو تغذي هذه الأعمال بتجارب فكرية وعملية تسهل الاتجاه الاستعماري .

فمنذ القرن العاشر الميلادي حملت الكاتدرائيات العبء الأكبر عن الأديار ، فذاعت شهرة مدارس (أوييدو) و (ليون) و (برشلونة) و (سانت ياجو) ، وقامت مثيلات لها في (باريس) و (أورليان) و (تور) ، وفي كبرى مدن إيطاليا وانكلترا وبلجيكا وغيرها .

ثم أشرف (ريموندل) على مدرسة ميرامار (١٢٧٦ م) خلال عشر سنوات ، وتعلم فيها العربية (١١) راهباً ، وقرر مجمع كليكلة (١٢٥٠ م) الإنفاق على ثمانية رهبان دومينكيين .

وتطور بعض مدارس الكاتدرائيات الى جامعة بلنسية (١٢٠٨) ، ومعهد الدراسات الشرقية في طليطلة (١٢٥٠) وجامعة لشبونة (١٢٩٠) .

وكان رجال الدين في الفاتيكان يؤلفون معظم المستشرقين الذين تعلموا علوم المسلمين لتخرج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين واليهود ، ويردون عليهم ببراہين من كتبهم ، فقصده الدومينيكيون إلى بلغاريا ورومانيا والشرق (١٢٥٢) ، والفرنسيسكانيون إلى المغرب حيث قتل خمسة منهم (١٢٢٠) .

ثم لتدريب أدلاء يتخاطبون بالعربية للقيام على خدمة الحجاج من أصقاع العالم إلى الأراضي المقدسة ، وكُلّف الفرنسيون بمن يفدون إلى فلسطين ، والدومينيكيون بمن يقصدون سورية ومصر . وأسس البابا جمعية الجوالين (١٢٥٠) وقد انتشرت انتشاراً واسعاً (١٣١٨) وطبع الأب (مارتن روث) الدومينيكي دليل : الحنج ليزارددي برايدنباخ ، اشتمل على أبجدية عربية كاملة مع طريقة النطق بها في حروف لاتينية ، وخريطة لمدينة القدس ، فكان أول ما عرفت أوروبا من الطباعة العربية (١٤٨٦) ، ثم تكررت طبعاته إحدى وأربعين طبعة (١٧٢٨) .

وكان الفاتيكان أسس جامعاته ومدارسه لتعليم العربية والعبرية كما سبقت الإشارة إليها ، واستعان بالملوك والأمراء والبلديات على تأسيس مدارس اللغات الشرقية في عواصم بلدانهم ، وتخصيصها بكراسي مستقلة في كبرى جامعاتهم ، وانتظمت بدءاً من مجمع فيينا (١٣١١ - ١٣١٢) بإنشاء كراسي للعبرية والعربية والسريانية في رومة على نفقة الفاتيكان ، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا ، وكان الفاتيكان ينفق على عشرين طالباً أكليزيكياً من الشرق في باريس بقرارات بابوية في أعوام ١٢٤٨ ، ١٢٥٨ ، ١٢٨٥ ، وفي أكسفورد على نفقة ملك إنكلترا ، وفي بولونيا على نفقة رجال الدين فيها ، وقد خصت كل لغة من اللغات الثلاث بكرسين ، وعين أساتذتها ، وأجزل أجرهم وذلك لقاء تعليمهم القراءة والكتابة فيها ، ثم لقاء ترجمتهم لمصنفاتها إلى اللاتينية ترجمة علمية وثيقة . ثم توسع الفاتيكان في إنشاء الكراسي والمدارس والمكتبات والمطابع والمجلات في إيطاليا ، وعاون على مثلها في الغرب والشرق وعلى ترجمة التراث الانساني عن العربية نصارى ومسلمون ويهود ، وانشأوا لذلك مكاتب المترجمين منها في طليطلة (١١٣٠) وصقلية (١٢٢٠) ... (١) .

ولابد من أن يكون في أثناء تعلم الرهبان وغيرهم التراث الإسلامي أن يقفوا على قليل أو كثير من الحياة والبيئة في البلاد الاسلامية التي سيقدمون إليها على شكل إرساليات تنصيرية وتعليمية .

١ - مؤسسات دبلوماسية للمستشرقين :

وإلى جانب المعاهد العلمية العامة السابقة اقتضت الحاجة الإستعمارية إلى إنشاء معاهد سياسية ، يدرس فيها المستشرقون أحوال المسلمين وبلادهم ولغاتهم إلى جانب دراساتهم الدبلوماسية التي توثق الصلات التجارية والاستعمارية بين حكوماتهم وحكومات المسلمين .

فقد رأى (كولبر) وزير الملك لويس الرابع عشر أن مقتضيات الدولة باتت في حاجة إلى علماء يتقنون اللغات السامية كتابة وخطابة ، فألف بعثة عرفت بفتيان اللغات ، بقرارات رسمية وقع عليها الملك في سنوات ١٦٩٩ ، ١٧١٨ ، ١٧٢١ ، فتعلم فتيان فرنسا اللغات السامية في معاهد باريس ، وفي مدرسة الشباب الملحقة بمعهد لويس الكبير ، على نفقة الملك ، ثم أرسلوا إلى القسطنطينية ، فلما تزلعوا منها ألحقوا بالسلك السياسي أو انتدبوا للترجمة ...

ثم أنشئت المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية في باريس (١٧٩٥) للسفراء والقناصل والتجارة إلى بلدان الشرق أسوة بالمدرسة التي أنشأتها الامبراطورة (ماري تيريزيا) في فينا . ومن المدارس الدبلوماسية التي أنشأتها فرنسا : المدرسة الشرقية في القسطنطينية (١٨٠٢) وقد عنيت بتخريج رجال السلك السياسي ، وأشرف عليها مستشرقون مشهورون^(٢) .

ثم مدرسة المستعمرات في باريس التي يدرس (ديموبين) (١٩٥٧) العربية فيها منذ (١٩٠٥) وترك التدريس فيها (١٩٢١)^(٣) .

وإنكلترا حرصت على اطلاع المستشرقين وطلابهم على الأوضاع الإسلامية في الأقسام الشرقية من جامعاتها حتى أنشأت لها مراكز متعددة في أنحاء العالم منها : مركز الدراسات العربية في الشرق الأوسط : ب (شملا) في لبنان ، وهو لتعليم رجال السلك السياسي البريطاني في الشرق الأوسط^(٤) .

بالإضافة إلى تأسيس (معهد الدراسات الشرقية) التابع لجامعة لندن (١٩١٧) ، وكراسي الدراسات الإسلامية في جامعة كامبرج منذ عام

(١٩٣٢) (٥). ويدعو أن التمسا بحكم علاقاتها الدولية الخاصة مع السلطنة العثمانية ، وبسبب خيانات بعض السفراء واتهاماتهم بالتجسس . كانت في طليعة الدول الأوروبية تنظيماً للسفراء والسفارات والوظائف القنصلية الأخرى . فقد أنشأت الأمبراطورة ماريا تيريزيا (١٧٤٠ — ١٧٨٠) مدرسة اللغات الشرقية في فيينا (١٧٥٣) كما أشرت سابقاً ، وأعدتها للسفراء والقناصل والتجار والعلماء ، وتوالت على إدارتها : جوزيف فرانز (١٧٥٣) ، وجوزيف نكرب (١٧٧٠) ، وهوك (١٧٨٥) ثم الكردينال روشر . وهؤلاء الإداريون وإن لم يكونوا من المستشرقين فإن أساتذة هذه المدرسة من أعلام المستشرقين وبعض الشرقيين مثل : حسن المصري مصنف كتاب (أحسن النخب في معرفة لسان العرب) بالعربية والألمانية (فيينا ١٨٦٩) ، وسعد الدين أحمد .

وتخرج من هذه المدرسة سفراء وقناصل ومترجمون مشهورون من أمثال : فردريخ فون لوكاو (ت ١٨٣٨) الملقب بالمترجم الشرقي .

وربما كان من أعظم آثارها إنشاء كل من ألمانيا وروسيا وإيطاليا وإنكلترا مدارس على غرارها لمثل غرضها وقد أصبح اسمها اليوم أكاديمية (القناصل) (٦) .

وأدخلت الحكومة السوفيتية تعليم العربية في معهد التجارة الخارجية ، ومعهد العلاقات الدولية (١٩٤٦) الذي صنف لفييف من أساتذة قسم اللغة العربية فيه القاموس الروسي العربي (موسكو ١٩٥٥ ، ١٩٥٧) .

وقد انجلى الاستشراق الرسمي عن علاقات بلاده ببلدان الشرق على أيدي العلماء والقناصل والمدارس ، وعمل المستشرقون رحلات استكشافية وطبية في أنحاء متفرقة من العالم العربي .

وتخرج (بازيل) من مدرسة العلوم العليا بمدينة (نيجين) في معهد أوديسا بأوكرانيا ، وعين قنصلاً في سورية ولبنان (١٨٣٩ — ١٨٥٣) فصنف كتابه : سوريا وفلسطين تحت الحكم التركي (١٨٦١ — ٦٢) ، وخلفه (بتكوفيتش) في قنصلية روسيا بسوريا ولبنان وفلسطين (٧) ...

ومامن شك أن في مقدمة أعمال الدبلوماسيين السوفييت مراقبة النشاط الشيوعي ودعمه مادياً ومعنوياً وربط أحزابه وجماعاته بروسيا الأم التي تحرص الحرص كله أن تتوازن مع القوة الأمريكية العالمية في مكاسبها الفكرية والمادية الى جانب مصالحها الدولية .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية كما سيأتي الكلام كانت الجامعة كولومبيا المبادرة بالاهتمام بلغات الشرق الأوسط واتفقت مع (١٨) معهداً وجامعة في إعداد منح شرق حديث تسهم الحكومة في نصف نفقاته ، ثم أعدت برامج عن الشرق الأوسط درست في (٢١) جامعة وكلية - (١٩٦٢ - ٦٣) ، وثلاثا أساتذتها أجنب بينهم لبنانيون كالدكتور شارل مالك ، ثم الدكتور جورج مقدسي في جامعة هارفارد ، والدكتور جورج حوراني أستاذ العلوم الإسلامية بقسم دراسات الشرق الأدنى في جامعة ميتشيجان ، والدكتور شراييه مضاف كتاب : حكومات الشرق الأوسط وسياسته في القرن العشرين (١٩٦٢) ، والدكتور عزيز عطية رئيس مركز الشرق الأوسط في جامعة أوتاوا ، ماعدا المتجنسين بالجنسية الأمريكية وهم كثيرون مثل : د / فيليب حتي ، و : د / نوفل المترجم الشرقي في البيت الأبيض ...

ومعروف أن هاملتون جب الانكليزي الجنسية كان مشرفاً على مركز الشرق الأوسط في جامعة (هارفارد) الذي يدرس فيه (٢٨) برنامجاً وذلك في سنة ١٩٥٥ (٨) .

وتشترط جامعة برنستون على طلاب الدراسات العليا القيام بسياحة في ربوع الشرق الأدنى ، إلى جانب الدراسات الجامعية .

وواضح هنا أن الدراسات الشرقية وبخاصة العربية والإسلامية قامت في معظمها على أيدي أساتذة من النصارى الذين تأثروا بعاملين في دراساتهم : الأول : الرواسب الدينية الكنسية التي لا يستطيعون الانفكاك منها . والثاني : الحصيلة الدراسية والثقافية الأجنبية التي طعموها بدراسات عربية وإسلامية لم تكن لتتحرر من الشبهات والمطاعن التي تلقن للطلاب عموماً وللدبلوماسيين خصوصاً .

ولكن المعهد الدبلوماسي المتخصص هو ذلك الذي أنشأته وزارة الخارجية باسم : (معهد السلك الخارجي) (١٩٤٧) بناء على توصية من الكونغرس ، وقد درست فيه (٧٠) لغة ، منها العربية الفصحى ولهجاتها العامية كالشامية والعراقية والسعودية والمصرية والمغربية ، وبها (١٤) ألف شريط مسجل ، ومكتبة خاصة خلا مكتبة وزارة الخارجية تحتوي على ٨ آلاف كتاب و ٧٥٠ مرجعاً و ٥٠ صحيفة ، وثلاثة فروع : في بيروت للعربية ، وفي فرموزا للصينية ، وفي طوكيو لليابانية .

ثم أوصى الكونغرس (١٩٦٠) بتوسيع برامجه فأشرف على برنامج الشرق الأوسط (ادوين رايت) ، وكان من برنامجه دراسة التيارات السياسية في الشرق الأوسط وسياسة أمريكا تجاهها .

ولا يفوتنا الكلام على معهد آخر هو : (معهد الثقافة الآسيوية) الذي أنشئ في سان فرانسيسكو بفضل هبة لويس جنربرج من كبار رجال الأعمال ، لإعداد الطلاب للعمل فيما له علاقة بالشرق ، وقد أشرف على المعهد (ألن وطسون) (١٩٥٦) .

بالإضافة إلى جامعات ومعاهد اتفقت مع جامعة كولومبيا على المنهج الشرقي الحديث ، وبينها جامعات نيويورك وويسكونسن ، وكان من أساتذتها (وسترمن) فعينه (ولسن) في أثناء الحرب العالمية الأولى مستشاراً في الشؤون العثمانية .

ويلحق بما سبق جامعتا بيروت والقاهرة ، ومدرسة الدراسات الشرقية الأمريكية في القدس ، والمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في بغداد^(٩) .

وفي البلدان الأخرى شرقية وغربية معاهد أو مراكز للدراسات الشرقية تغطي الدراسات الدبلوماسية بنصيب وافر أو ضئيل .

يقول الدكتور محمد عبد الفتاح عليان ناقلاً ومحللاً^(١٠) .

ومن الملاحظ أن الدول الغربية لما قويت في العصور الحديثة وبدأت تتطلع إلى استعمار الشرق لعب الاستشراق دوراً هاماً في هذا الانفتاح الغربي على الشرق ، فلما

أرادت هذه الدول عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاعتراف من ترائه ، والانتفاع بثماره والتزاحم على استعمارها ، أحسنت كل دولة استعمارية الى المستشرقين فيها ، فضمهم الملوك إلى حاشيتهم كأمناء أسرار وترجمة ، وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجيوش والدبلوماسية الى بلدان الشرق ، وولوهم المكتبات الخاصة والمكتبات العامة والمطابع الوطنية ، وأجزلوا لهم عطاءهم في الحل والترحال ، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية الجامعات العلمية .

ثم يذكر أن الشركة الهندية الشرقية الانكليزية ضمت عدداً من المستشرقين الذين وضعوا نتائج دراستهم بين أيدي السلطات الانكليزية ، كما اشترك مستشرقون فرنسيون في الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) . حيث ظهر قائدها نابليون أمام المصريين بصورة المستشرق ، إذ تظاهر باعتراف الإسلام ، وشارك المصريين احتفالاتهم الدينية وارتدى العمامة والحية والقفطان في بعض الأحيان ، وزار علماء الأزهر في بيوتهم ... ولكن جنده اقتحموا جامع الأزهر فيما بعد .

ومن ناحية ثانية : فإن الاستعمار الغربي مكن هؤلاء المستشرقين من الصولان والجولان في حرية تامة بالتجول بين مكتبات الشرق ، يسطون أحياناً على مخطوطاتها ، أو يصورونها وينسخونها بحسب رغبتهم ، وينبشون الآثار القديمة ويسلبون معظمها ليملكوها المتاحف الغربية ...

ثم يقول ناقلاً عن محمد عزت الطهطاوي في كتاب (الاستشراق والتبشير) : وكان الغرض الأساسي من إنشاء المؤسسات المذكورة هو تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشؤون الإسلامية ، وأن تكون في خدمة الحكومات المستعمرة ، لتحقيق أهدافها في البلاد الإسلامية ، حتى إن رجال السياسة هناك كانوا على صلة وثيقة بأساتذة تلك الكليات ، ويرجعون الى آرائهم في البت في المسائل السياسية ، (بل إن بعض أولئك الأساتذة كان يستغل صداقته للبارزين من رجال تلك الدول الشرقية ، ويتخذ منها ستاراً يقوم من ورائه بأعمال التجسس في السلم والحرب)^(١١)

٢ - رحلاتهم السياسية :

والأسلوب النظري والعمل من المستشرقين هو قيامهم برحلات علمية واستكشافية واستطلاعية ، يخدم بعضها جوانب علمية للمستشرق ، كما يخدم بعضها الآخر جوانب سياسية توضع في إطار الفكر والعمل الإستعماريين .

فلم يعرف عن (جولدزهرير) (١٨٥٠ - ١٩٢١) المستشرق المجري صلات سياسية في رحلاته إلى مصر ولبنان وسورية سوى استطلاعه على المكتبات الإسلامية ولقائه بالعلماء المسلمين .

ومثله (رينان) (١٨٢٣ - ١٨٩٢) الذي نزل بدير الآباء اليسوعيين في (غزير) بلبنان ، وألف كتاب : حياة يسوع^(١٢) .

ويادى ذي بدء فإن من المناسب أن ننوه برحالة غربيين ليست لكثير منهم صفة الاستشراق ولا صلات المستشرقين ، وهم يحاولون أن يشبعوا تطلعاتهم إلى معرفة أحوال الشرق بلاداً وعباداً ، ثم تدوين الغرائب والعجائب من هذه الأمصار التي يغلب عليها رونق الخيال والإثارة أكثر مما تحقق رصداً علمياً في حاضر المجتمعات وجغرافية بلادها .

ومن ذلك رحلة (ماركوبولو) المدونة في جزئين (١٤٨٥) ، ورحلة (شاباي) التي تكثر فيها الضلالات ليس أقلها قوله : إن للمشرقين ثمانية أنامل ورأسين .

ومن أواخرها تجنياً وافتراء ماكتبه (دي بروسلس) بعد أن طوّف بسورية ولبنان وفلسطين ومصر (حيث اتهمهم بأنهم واليهود سواء ، لاعداد تجاري لهم ، ولا ذمام فيهم ، فهم مراعون متقلبون انتهازيون ، يخفون جميع ذلك تحت برقع من السداجة المصطنعة والكلم المعسول) .

ويفترض أن مثل هؤلاء الرحالة وإنتاجهم لم يحقق كثيراً من المكاسب السياسية ، سوى أنهم يشوهون صورة الشرق في عيون الغربيين ، ويدفع بهم إلى اغتنام مواقع الضعف فيهم ، والتفكير في استعمارهم فيما بعد .

وحسب الاستعماريين من مطبوعات الرحلات أنهم يكسبون إعلاماً مضللاً يدفع بأقوامهم إلى الزحف العسكري والفكري بأي دافع كان .

ولكن الكتابات الإستشراقية لها وزنها وأهميتها في المعايير الاستعمارية ، فكانت الدول تقدمهم للتنقيب والدراسة الجزئية أو الشاملة للشعوب الشرقية ، وفي طليعتها الشعوب الإسلامية .

فقد عرف عن (ماسكراي) (١٨٤٣ — ١٨٩٤) عميد كلية الآداب في الجزائر دراساته عن التقاليد الشعبية في الجزائر (١٨٧٩) ، وعن لهجات البربر والطوارق (١٣) .

ثم صنف (جرنيه) كتاباً بعنوان : البربر والاسلام وفرنسا ، في مجلدين ، وضمنهما خرائط للمغرب العربي (١٩٥٠ باريس) ، وكذلك الرحالة (ديفريه) (١٨٤٠ — ١٨٩٢) عن : طوارق الشمال (١٨٦٤) ، ومباحث في الطريقة السنوسية (١٨٨٤) (١٤) .

وسياتي معنا تفصيل الكلام عن المستشرق الانكليزي (فيليبي) (١٨٨٥ — ١٩٦٠) الذي رأس البعثة البريطانية إلى الجزيرة العربية (١٩١٧ — ١٩٨٠) ، والبعثة البريطانية في الأردن (١٩٢١ — ١٩٢٤) ، واجتاز صحراء الربع الخالي وزود أجهزة المخابرات البريطانية بخرائط طبوغرافية ومعلومات بشرية وطبيعة هامة . وكذلك (كراوس) التشيكي (١٩٠٤ — ١٩٤٤) المتجول بين فلسطين ومصر حيث كان يقوم بدوره الإرهائي الصهيوني في المستويات العلمية والسياسية الاستعمارية .

و(هورجرنيه) (١٩٥٧ — ١٩٣٦) الهولندي الذي كتب عن الحج : موسم الحج في مكة ، بعد أن زار جدة مدة استعدادا لدخول مكة باسم مستعار : عبد الغفار ، ثم اقام في (جاوة) عاصمة اندونيسيا (١٧) سنة يزود بلده بمعلومات عن البيئة الإسلامية من النواحي الاجتماعية والدينية والجغرافية والتاريخية . وأمثالهم كثير سياتي الحديث عنهم فيما بعد .

وإذا قام بعض المستشرقين السابقين برحلات علمية حرة فإن آخرين منهم وظّفوا من قبل حكوماتهم ليقوموا برحلاتهم السياسية في وظائف قنصلية أو سفارات بين حكوماتهم والدول الأخرى .

وبين هؤلاء وأولئك نجد فئة عريضة من المستشرقين الموظفين في عمليات أو رحلات استكشافية وعلمية وتنقيية في ظاهرها ، ولكنها سياسية ماهرة في حقيقتها ، وربما تكون جاسوسية في دوافعها وأعمالها .

ولا يضير هؤلاء أن يتعرضوا إلى مخاطر الصحراء والغابات ، وغربة الأوطان والديار بعد أن تعرضوا الى شطف العيش ومشاق السفر .

كما لا يهمهم أن يقدموا بعد رحلاتهم رصيذاً علمياً مبتكراً أو مكروراً عن آثار كشفوا عنها ، وعن مجاهل اكتشفوها ، وغرائب وعجائب أجلوا أسرارها ودقائقها .

ومع الرصيد المعرفي المجهول والتنقيب في مجالات الطبيعة والإنسانية المغرصة كانت أقلام بعض الكاتبين تعرض ذلك كله في أسلوب أدبي ، عرف بأدب الرحلات ، الذي يشد إلى معرفته طوائف من الناس لما فيه من الإثارة في الشكل والمضمون ، إلى جانب مايفيد منه السياسيون الإستعماريون إعلامياً وعلمياً .

(وقد أفاد هذا اللون من الأدب الغربي سياسياً وعسكرياً في معرفة الطرق البرية والبحرية ، والمواقع الاستراتيجية في بلاد المسلمين ، بل وأكثر من ذلك ، أفاد في معرفة خصائص الإسلام وأحوال المسلمين ، الأمر الذي سهل للغرب غزو البلاد الإسلامية عسكرياً وفكرياً ، كما أفاد أدب الرحلات الغربيين في حملاتهم التجسسية على المسلمين)^(١٥) .

وسواء اتسم انتاجهم عن (الرحلات) بالطابع الأدبي أو بالطابع العلمي ، أو جمع بعضهم هذا إلى ذاك فإن الاستعمار أفاد من أدبها وعلمها ، كما أفاد من الكفاءات الشخصية والخاصة لمؤلفيها ، بالإضافة إلى التقديرات والملاحظات والاستنتاجات غير المدونة ، والتي يحرص الاستعمار عليها أكثر من حرصه على المدونات الأدبية والعلمية المتداولة ، كما يفترض أن يكون .

٣ - بواعث سياسية فكرية محتملة :

ويتساءل الباحثون عن البواعث التي دفعت معظم الدول الأجنبية الى توظيف كثير من المستشرقين ، والعمالة منهم خاصة في مناصب عديدة في العمل السياسي الخارجي .

وهؤلاء المستشرقون المتفرغون للأعمال الفكرية يواصلون بحوثهم ودراساتهم في الثقافة الشرقية وخاصة العربية الإسلامية ، وفي مقدماتها الأصول الإسلامية والتراث . فما الصلة بين اختصاصهم وتفرغهم وبين هذه الأعمال الدبلوماسية ؟ ولماذا خصت الدوائر الرسمية نوعية معينة منهم ؟ وتعبير آخر : ما معنى أن يصبح المستشرق سياسياً أو في منصب تتوقف عليه سياسة بلده الخارجية ؟ ثم مامدى ما يتوقع من إنتاجه وأعماله من دراسات موضوعية ؟

كان بعضهم يزيد من إنتاجه الفكري عن أربعة مئة أثر مثل (ماسينون) الفرنسي الرحالة المستشار في وزارة المستعمرات الفرنسية الذي تربو آثاره على ٦٥٠ بين مصنف ومحقق ومترجم ، وبين مقال ومحاضرة وتقرير ونقد ومقدمة وسيرة ، وكان عضواً في مجامع علمية عدة منها : الجمع اللغوي المصري والجمع العلمي العربي بدمشق^(١٦) .

ومثل (بروفنسال) الفرنسي الجوال المكلف بمهام خطية (١٩٤٣ - ١٩٤٤) والذي عدت آثاره بالمئات أيضاً^(١٧) . و (فييت) الفرنسي الملحق بالمفوضية الفرنسية بسوريا (١٩١٨ - ١٩١٩) والذي زاد إنتاجه على (٢٢٩) أثراً .

هؤلاء وأمثالهم من المستشرقين الكثيرين ، كيف يمكنهم القيام بالمهام السياسية إلى جانب أعمالهم السابقة ؟

وكان بعضهم الآخر يعلن زهده بالسياسة وبوظائفها ليتفرغوا للبحث والدرس ، وأنهم تركوها فعلاً مثل (رنية باسية) Basset, R الذي أثر التدريس والاستشراق على وظيفة (قنصل) في الجزائر .

ومثله (هيار) Huar, Cl الذي انصرف الى التدريس والتصنيف بعد أن شغل مناصب عديدة : مترجماً ففقتصلاً ، ثم قنصلاً عاماً .

وكذلك (أماري) Amari, M الايطالي الذي عاش حياة سياسية متبلدة . فهو لاء الزاهدون وأمثالهم بالسياسة وأعمالها إنما عرفوا أنها قائمة على الخداع والمكر والنفاق ، وأساليب الكيد والتآمر ، فرغبوا عنها ليس التزاماً بفضائل العلم وأخلاقية الفكر ، وإنما كانت محاولة منهم في تحقيق نجاحهم لتدمير الفكر الاسلامي إن عاجلاً أو آجلاً بما كانوا قادرين عليه من اختلاق الوسائل الدراسية التي تمكنهم من هذا النجاح دون المجال السياسي الخاضع للفشل والنجاح في بادئ الأمر ، ثم الآيل إلى الفشل الذريع فيما بعد .

أ — فقد يحتمل توظيف هؤلاء لما يتمتعون به من كفاءات ذاتية ، وعلمية تحصيلية لا يحملها سواهم .

ب — وقد يحتمل توظيفهم لما تقدمه لهم دولهم من التكريم والتقدير بسبب اتقانهم لغات وعلوم متعددة ونتاجاً زائراً .

ج — وقد يحتمل أن يقصدوا من ذلك إبراز واجهات علمية فكرية لتحقيق لهم أصداء عالمية رضية ، وسمات دعائية مغرضة ، وقناعات واهمة خادعة .

د — إن أي احتمال سابق وإن كان وارداً ومقبولاً فإنه ولا ريب يدعم الاختيار الكوعي لأفضل الوسائل الفكرية وأنسبها لاستتباب الغزو الإستعماري العسكري والنفوذ . إن توظيف الفكر الإستشراقي في خدمة السياسة الإستعمارية يعدّ المجال الفعال في توجيه الطاقات الإنسانية المتفوقة نحو استعباد الأرض والإنسان والمبدأ ، والمستشرقون من أكثر الغربيين علماً بمواطن الضعف فيدخلون منها ، وبمواطن القوة ويستخدمونها لصالح بواعثهم وبواعث دولهم .

إنهم وإن كانوا غرباء أجاناب عن الاسلام والمسلمين فإنهم أعرف بتاريخهم ولغاتهم وأحوالهم الإجتماعية وراثتهم ، فهم لهذا أقدر على التشكيك في معطيات الحضارة الإسلامية ، وأبلغ في طرح شبهاتهم وزيفهم حولها ، وأنفع بالمشورة والرأى

لصالح أقوامهم وأوطانهم .

فكان منهم المخطط والمستشار والسفير في وزارات الخارجية ،
والمستعمرات ، والمخابرات .

٤ - زحف إستشراقي سياسي :

وسواء تضافرت البواعث أو انفردت فإن العالم الغربي والشرقي دفع بالكثيرين من المستشرقين ليساهموا في إدارة البلاد العربية ، وتنوّه دراسة معجمية مستفيضة بأهمية الآثار في (العوامل السياسية والثقافية والاقتصادية يوم ألّفت الولايات المتحدة نفسها في حاجة الى تفهّم شعوب البلاد الإسلامية ، فأعدت لها عدة برامج دراسية في الجامعات ...) . ثم تبرز أشهر المستشرقين السياسيين مثل (فيلبس تالبوت) المولود (١٩١٥) أحد خريجي مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية (١٩٤٨) والحاصل على الدكتوراه من جامعة شيكاغو (١٩٥٤) ، وهو اليوم مساعد وزير الخارجية للشئون الشرقية ، و(أوكلينكوس) أخو (جاكين كندي) رئيس منظمة الشئون الإسلامية بنيويورك ، وخير الوفد الأمريكي لدى الأمم المتحدة في الشئون العربية ، و(جون بارد) سفير أمريكا في القاهرة سابقاً ، ومدير معهد الشرق الأوسط بجامعة كولومبيا (١٩٦٤) ، وقد درس العربية يوم كان أستاذاً فعميداً للجامعة الأمريكية في القاهرة (١٩٤٧) .. (١٨) .

والمتابع تراجع المستشرقين لابد من أن يضيف الى ماسبق (جورج رنس)
Rentz, G المولود (١٩١٢) الموظف في السفارة الأمريكية في القاهرة ،
و(د / تشارلز آدمز) Adams, CH. المنتدب عميداً لمعهد الدراسات الشرقية في
الجامعة الأمريكية بالقاهرة ... وغيرهم .

وعرفت مجلات ذات طابع استشراقي سياسي مثل : مجلة جمعية الدراسات
الشرقية ، ومجلة شئون الشرق الأوسط ، ومجلة الشرق الأوسط ... (١٩) .

ومن بلجيكا ترد أسماء (جاك بيرين) Pere nne, J مستشار الملك ليوبولد
الثالث معيداً في جامعة القاهرة ، و(أرمان أبيل) Abel, A مدير المركز الوطني

لدراسة شعون العالم الإسلامي وهو أستاذ في الجامعة المصرية أيضاً
(١٩٢٦ — ١٩٢٨) .

ومن إنكلترا كثيرون أخص منهم (وليم موير) Muir, S, W الأسكتلندي
الذي عين أميناً لحكومة الهند (١٨٦٥ — ١٩٦٨) ثم اختير رئيساً لجامعة
أدنبرا ، واللورد (كتشنر) Kitchener, H الذي تولى الحملات الى مصر والسودان ثم
جنوب افريقيا (١٨٩٩ — ١٩٠٢) ثم صار وزيراً للحربية (١٩١٤) ، و (ادوارد
جرانفيل براون) Browne, E, G الذي صنف في دستور إيران ، و (ستتيورات هنري
براون) Browne, S, H مساعد في قسم فلسطين (١٩٣٠) ومساعد مفوض عام
(١٩٣٢ — ١٩٣٤) ، ومنظم البرامج العربية في الإذاعة البريطانية (١٩٣٨) ،
وضابط استعلامات في عدن (١٩٣٩ — ١٩٤١) ، و (آيري) وزير الأنباء
(١٩٤٠ — ١٩٤٤) ، ولاريب أن في مقدمتهم علماً وخبرة وحظوة (جب)
الذي قال عنه د / محمد محمد حسين في (الاتجاهات)^(٢٠) : مستشار في
الخارجية البريطانية ، وكان يشارك بخبرته في نشاط الجاسوسية أثناء الحرب
الأخيرة ، ثم تحول الى امريكا يخدم وازثة الاستعمار الأوربي في العالم الاسلامي .

وفي ألمانيا كان (فرموند) Wuhmmund, A معلماً للخديوي عباس الثاني ،
وشاه ايران ، و (مارتسن هارتمان) Hartman, M مستشاراً في بيروت
(١٨٧٦ — ١٨٨٧) و (جوهان هنريخ مورتلمان) Mordtmann, J,H المعين
قنصلاً في الآستانة .

وفي السويد كان معظم المستشرقين يوجهون الى استنبول ، كالآب (ستور
سينكر) Stutz Zeneker, A ، المترجم في السفارة السويدية هناك ، و (دوهسون)
و (أكربلاد) .

ونذكر من الدول الشرقية : (الويز موزيل) Musil, A التشيكي ، والمعلم في
معهد الآداب الشرقية بالقدس ، ثم تقلد رتبة لواء ، وصحب الأمراء ، وهو عضو في
مجمع دمشق اللغوي .

ومن بولونيا (سكورا توفيكس) نائب قنصل بولونيا في دمشق وغيرهم .

وهناك مايزيد عن مئة مستشرق اختلفت اعمالهم السياسية سنجد أسماءهم-
وجنسياتهم وحياتهم وأبرز أعمالهم في جداول لاحقة .

نماذج متغايرة ولكنها متشابهة : إن الاتجاه السياسي والروح الاستعمارية
تجمع بين المستشرقين على اختلاف أصقاعهم في إطارها الكبير وإن تسلم بعضهم
قيادة عسكرية أو منصبا دبلوماسيا أو جمع بينهما .

والروح الاستعمارية التي سيطرت على أوربة في القرن التاسع عشر لتمتلك
منافع الشرق وتسيطر على خياراته كانت في تنافس شديد فيما بين دولها ، حتى أدى
بها الى صراع تجاري أو مواجهات دولية ، كما هو معروف .

ولكن الملاحظ أن التغير في البيئات والاتجاهات والدول لم يكن ليؤثر على
اتجاههم السياسي الموحد في حب السيطرة الاستعمارية ، كما لم يؤثر على منزعهم
الاستشراقي في تناول الدراسات المختلفة بين مستشرق وآخر .

ف نجد مستشرقاً بولندياً أو مجرياً يتلمذ على مستشرق ألماني ، وآخر تحملة
دراسته الجامعية على الانتفاء الفكري لأساتذتها ، وثالثاً يستعين في بحوثه بمصادر
سابقة أو معاصرة لمستشرق بعيد عنه في الديار ولكنه قريب منه في المبدأ والأفكار .
وإذا انتسب الفرنسي أو الإنكليزي أو الألماني أو المجري الى بلده فان آراءه
وأقواله قد تنطلق إلى بلاد أخرى كما تترجم كتبه وبحوثه .

وعندئذ فإن الحواجز الدولية والموانع المادية لا تقف دون العمل الاستشراقي
والاتجاه السياسي وإنما تلف الجميع أهداف واحدة أو متقاربة يمكن ان تبرز للعيان
في مؤتمراتهم ودورياتهم واعمالهم الجماعية .

وحسبنا ان نعلم أن ١٠ ٪ من مستشرقى فرنسا البالغين ٣٠٠ مستشرق كانوا
في مناصب سياسية مختلفة ، وهذا لايدل على تطلع للمعرفة العربية وحدها وإنما
يظهر الزحف الاستشراقي للأعمال الاستعمارية . وإذا كان ينبغي أن نسلط الأضواء
الفاحصة على دراسات المستشرقين من الناحية العلمية الموضوعية فإن توظيف هذه
الدراسات في المجال السياسي الاستعماري وخدمته يجعلنا أكثر حذراً منها في أي
وقت مضى .

٥ - أعلام مستشرقون سياسيون :

إن الاتجاه التوسعي في الاستعمار الحديث جند الفكر الغربي لخدمته في بسط نفوذه العسكري والفكري تستوي في ذلك دول كبرى وصغرى ، ورأسمالية وشيوعية .

ويعجب الباحث من ظهور أعلام السياسة الاستشرقية في دول لم يكن لها وزن في المجال السياسي الاستعماري مثل بولندا ، والبرتغال ، وهولندا .

ثم يزداد عجبه من استمرار هؤلاء فترات طويلة وهم يقدمون جهودهم الفكرية المشبوهة لدولهم في الوقت الذي يتأكد فيه من تخلف العالم العربي والإسلامي في المجالات الفكرية ، وضعفه وتفرقه في المجالات السياسية والاجتماعية .

ومع هذا وذاك فإن الزحف الاستشرقي السياسي الذي يمثل الفكر الاستعماري دوافع وأعمالاً وأهدافاً أخذ ظاهرة عموم البلوى المرفوضة في المنشأ وفي العمل ، تزامن وتآزر مع الأعمال العسكرية الاستعمارية في هجمات غازية ، أو توزيعات دولية لحساب الدول الأجنبية .

وإذا تحررت معظم البلاد العربية والإسلامية من التسلط العسكري وبعضها من النفوذ الفكري فإن تداول الفكر الاستشرقي عموماً والسياسي خصوصاً يجعل رواسب الغزو الفكري تنشط في فترات يخطط لها الغزاة على صور بعثات أو إرساليات أو إعلام ظاهر ومستور .

إن جامعاتنا ومعاهدنا العلمية وجامعنا اللغوية أضحت مراكز هامة للعمل الاستشرقي الذي حمل في طياته أو انطلق من دوافعه ، بدوافع سياسية استعمارية . والفصول القادمة تظهر عمق الصلات بين نواح من التعليم الجامعي والجامع العربية وبين الاستشراف السياسي ورجاله الذين قاموا بأخطر الأدوار التفرغية لصالح الاستعمار الدولي .

وسأكتفي بتفصيل الكلام على شخصيتين سياسيتين مشهورتين لسببين :

١ — إن الإحصائية التي سأذكرها في ختام هذا الفصل توضح الحجم العددي الكبير لهم وتغني عن ذكر آخرين .

٢ — إن جلّ ما تحدثت أو أتحدث عن المستشرقين (الجامعيين) و (المجمعين) كانوا معروفين بوظائف سياسية وبعضها عسكرية ، وهم أمثلة للاتجاه الاستشراقي السياسي .

١ — الشخصية الأولى :

كريستيان سنوك هورجرونييه Christiaan-Smowek-Hurgronje

(١٨٥٧ — ١٩٣٦) الهولندي ، تخرج من جامعة (ليدن) بعد دراسته اللاهوت فيها عام ١٨٧٨ ، وبعدها بعام واحد حصل على الدكتوراه برسالة عنوانها : موسم الحج في مكة ، وفي عام ١٨٨١ عين مدرساً للعلوم الاسلامية في ليدن وفي عام ١٨٨٤ رحل إلى الجزيرة العربية وأقام بجدة حتى شهر شباط (فبراير) ١٨٨٥ استعداداً لدخول مكة ، وقد دخلها تحت اسم مزور : عبد الغفار ، وأقام فيها ستة أشهر ثم طرد منها ، ثم أقام في (جاوة) مدة ١٧ سنة مستشاراً في خدمة حكومته حيث عمل كتاب (مكة) في جزئين ١٨٨٨ و ١٨٨٩ و (أهل أتية) في جزئين ١٨٩٣ و ١٨٩٤ كما ألقى محاضرات عن الاسلام ١٩١٤ الى جانب مقالات صغيرة عن الإسلام نشأة وتطوراً ومعاصرة . ومات في ليدن بعد أن عدّ عميد العربية عقب (جولدزهيير) .

ويورد د / حافل بعض آثاره بعنوانين أخرى مثل : الحج الى مكة وهو كتاب بالهولندية حافل بالرسم ، والفقه الإسلامي (١٨٨٦) ، والقانون الإسلامي (١٨٩٨) ، وإبراهيم في القرآن (١٩١٢) ، بينما اشار (بارث)^(٢١) في رسالة : العيد المكي (١٨٨٠) (لسنوك) الى حياة إبراهيم في القرآن .

ويبدو من حياته أنها حافلة بالدراسة والتدريس والتأليف ثم في خدمة الاستعمار الهولندي .

١ — هورجرونييه ودائرة المعارف الاسلامية : وربما كان من أخطر نشاطاته الاستشراقية هو إنشاء دائرة المعارف الاسلامية التي (تختلف عن كتاب بروكلمن

في تاريخ الأدب العربي — أنها قامت من الأصل على أساس من التعاون العالمي ،
وأنها تمت على مر السنين والأعوام .

وقد اشترك (سنوك) في التخطيط لها اشتراكاً حاسماً ، وقام على التنفيذ
خلفه على كرسي ليدن ، المستشرق : ارنست بان فنسنت (١٨٨٢ — ١٩٣٩)
واشترك لفيف من المستشرقين الألمان في كتابة عدد عظيم من المواد (٢٢) .

ولارب أن التخطيط لمثل هذا العمل الضخم يقتضي تعاوناً دولياً في استكتاب
لفيف من المختصين غالباً ، وكان نجاحه في طبعاته الثلاث الألمانية والانكليزية
والفرنسية بعد جهود طويلة ، يعد ثمرة من تخطيط (هورجرونيه) المحكم ،
بالإضافة الى تحقيق أعظم البواعث الاستشرقية خطراً وأثراً في تداول الموسوعة
الكاملة في شتى بقاع العالم ، وباللغات الحية ومنها اللغة العربية التي لم تتم
ترجمتها .

٢ — من شبهاته الاستشرقية : ان (بارث) (٢٣) كان يعلي من قيمة (هورجرونيه)
الثقافية وبخاصة في الفقه والقانون ويقول : كان متضلعا من الفقه خاصة ، ويجيد
تاريخ الشريعة ، وتاريخ القانون الوضعي جميعاً ، وكان نقده الذي كثيراً ما اتسم
بالحدة نقداً مثمراً دائماً .

أ — دفعوع مغرضة : فقد عودنا المنهج الاستشرقي بذل بعض الثناء ، أو إقامة
بعض الدفعوع عن قضية أو ترجمة اسلامية ، ولكننا إذ نتابع دراسة المستشرق فإننا
نجد أبلغ الطعون وأشد الافتراءات بشكلها الخفي أو السافر .

وعندئذ يفهم الغرض من المدح أو الدفاع أنه مكيدة فكرية يراد منها السيطرة
النفسية الذهنية على القارئ عموماً والقارئ المسلم خصوصاً .

والسيطرة النفسية الذهنية عند المستشرقين تتخذ لها وجوهاً عديدة منها :
محاولة الاقتناع الذهني بالموضوعية ، والتجرد من الرغبات الشخصية والقومية
والدينية ، ومنها اصطلياد الثناء أو الدفاع عن شبهة انتشرت في أعلامهم لتهرب شخصية
المادح أو المدافع أكثر من أن تعبر عن حقيقة مغمورة أو خطأ فاش ، ومنها :
التظاهر بالاستعلاء العلمي واللغوي والبحثي ، والسيطرة على المصادر العربية وغير

العربية المخطوطة والمطبوعة ...

وقد يكون في مقدمتها إعلان الاسلام والتسمي بأسماء المسلمين والتردد على أماكنهم ومقدساتهم والتزبي بأزياء علمائهم ، ومن ثم يعود المستشرق الى سابق عهده في بحوثه وحياته وشبهاته . وربما يستخدم كل ذلك لإثراء بحوثه بمزيد من الضلالات والأباطيل .

ومهما يكن من أمر فإن المستشرق الفرنسي المسلم (آتين دينيه) صرح في آخر كتابه : الشرق كما يراه الغرب بقوله : لقد أصاب الدكتور (سنوك هورجرونيه) بقوله : ان سيرة محمد الحديثة تدل على أن البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم ، اذا سخرت لأية نظرية أو رأى سابق^(٢٤) .

ان مقالته (هورجرونيه) سليم من الناحية النظرية المبدئية ، وواقعي من الناحية العملية البحثية ، ولكن : هل هناك دراسات أكثر التواء وأعظم انحرافاً من تلك الدراسات التي تنطلق من رواسب لاهوته لتسخر في خدمة الاستعمار ؟

فحياة (هورجرونيه) الفكرية التي امتزجت بالآفاق الاستعمارية تدينه فكراً وعملاً بالتحيز والخضوع للآراء السابقة ونظرياته المدروسة ولا يمكن أن ينطلي قوله على المثقفين الواعين بتمرير افتراءاته عن الاسلام ونييه .

وعلى كل حال فإن أهمية التظاهر بالنزاهة والموضوعية في منهجه يقترب أو يتماثل من نزاهة أمثاله اللاهوتيين والسياسين .

فالمستشرق البلجيكي اليسوعي الأب : لامانس (١٨٦٢ — ١٩٣٧) أعلن في مقدمة كتابه : الإسلام عقائد ونظم قوله : كتاب حسن النية ، وأنه عرض موضوعي تماماً^(٢٥) . ثم إذابه يضع كتاباً بعنوان : هل كان محمداً أميناً (ابحاث في علوم الدين باريس ١٩١١) .

وواضح أن كليهما متحامل على الاسلام ونييه مهما تظاهرا ، بالمنهجية الموهومة والأمانة المفتعلة ، والثناء المزيف الذي يقصد منه ترويح الفكر الاستشراقي والتسليم بأباطيله وضلالاته .

ب — افتراءات قرآنية : عمل (هورجرونية) كتاب : ابراهيم في القرآن (١٩١٢)
وقبله رسالة عن : العيد الملكي (١٨٨٠) وعرض فيها مطالعته عن علاقة
الرسول بأبيه ابراهيم عليه السلام في النسب والملة ، وتناول فيما تناوله قضية الكعبة
والذبيح ، وفي كل ذلك يحاول تعطيل القرآن نصاً ومفهوماً ومصدراً ، حتى إن
(بارث) الذي كان قد أعلى من قيمته الثقافية وبخاصة في الفقه والقانون ، نوه
بافتراءه على القرآن بقوله : وقد قام في رسالته : العيد الملكي (١٨٨٠) —

تلك الرسالة التي لم تفقد قيمتها الى اليوم — بفحص ناقد للتصريحات
القرآنية الخاصة بإبراهيم ، واعتباره الأب الأول للإسلام ومنشئ الكعبة^(٢٦) .

ثم انتقلت هذه الافتراءات وغيرها وبألوان شتى إلى د / طه حسين في كتابه :
في الشعر الجاهلي ، عن المستشرق الإنكليزي (مرجليوث) .

ج — في نشأة الإسلام وهورجرونية : وكانت قضية نشأة الإسلام أو مهد الإسلام
ومصادره الأولى الشغل الشاغل للمستشرقين سواء منهم اليهودي مثل : جولدزهير ، أو
المسيحي مثل : نيكلسون ، أو العلماني مثل : رينان — ومرجليوث ، حتى إن أية
دراسة استشرافية لا تخلو من الكلام عليها بصورة مجملة أو مفصلة ، أيا كانت صلة
الموضوع المعالج بها .

ولارب أن هذه القضية تستتبع افتراءات شتى من : بشرية القرآن ، وتجريد
الرسول من النبوة ، ومدى الاقتباسات الوثنية والدينية السماوية من المصادر الجاهلية
والشرقية والأديان السابقة .

ويبدو أن رواسب الدراسات (اللاهوتية) في الأديرة والكنائس ، وتآزر الأعمال
الراهبية وبيئاتها كان لها الدور الهام في اعتناق قضية التأثيرات الدينية الخارجية على
القرآن خاصة وعلى الإسلام عامة .

ونكاد لانعثر على مستشرق راهب — وخاصة اليسوعيين منهم — أو مستشرق
نشأ في بيئة كنسية ، لايقحم تعليمات المتطرفين المعادين للإسلام في أية مناسبة
ليظهر تبعية الدين الإسلامي لما سبقه من الديانات ، وتبعية الرسول محمد ﷺ

لمن تقدمه من الأنبياء .

وأحياناً تتناول بحوثهم إلى اعتبار الرسول أنه مسيحي لم يفهم (التثليث) النصراني ، وأنه (نسطوري) خارج عن تعاليم الكنيسة ، وأنه (مكرر) تعاليم الكنيسة كما قال ماكدونالد (١٨٦٣ — ١٩٤٣) : لا يعني الا أن اعتقد هنا بأننا أمام حالة من حالات التكرار على لسان محمد ، وعلى نحو غير مقصود بالمرّة لعبارة من العبارات التقطتها ذاكرة اللاوعي لديه حينما كان في كنيسة مسيحية سمعها في أثناء صلاة مسيحية^(٢٦) .

أو كما يدعي كازنوف (ت ١٩٢٦) أن فكرة يوم القيامة التي استولت على عقلية الرسول ذات (منشأ) نصراني ، أو كما يزعم لامانس في : مهد الاسلام ، من وجود علاقات في العقيدة والأعمال والأحكام بين الاسلام والمصادر الجاهلية والمسيحية ...

وتجلت أبعاد هذه القضية عند (هورجرونيه) في مقالاته « الصغيرة » (التي تعالج موضوعات متنوعة من بينها مايتخذ شكل مناقشات نقدية للكتب — مادة قيمة في الدراسات الإسلامية)^(٢٧) مثل : نشأة الاسلام ، التطور الديني للإسلام ، التطور السياسي للإسلام

وقد نوقشت هذه القضية ورّدت جملةً وتفصيلاً بأقلام عربية وغربية إسلامية وغير إسلامية ، وليس هنا مجال التفصيل فيها .

ولا يصدق الحال السابق على أحد مثل ما يصدق على (هورجرونيه) الذي كان قد سجل نفسه طالباً للاهوت في جامعة ليدن ١٨٧٤ واجتاز امتحانه فيه عام ١٨٧٨ ، وكان من بواكير انتاجه : موسم الحج في مكة ، أطروحته في الدكتوراة عام ١٨٧٩ (وفيها بيّن أهمية الحج في الاسلام وما يصاحبه من مراسم وعادات ، وانتهى من هذه الدراسة الى القول بأن الحج الإسلامي هو بقية من بقايا الوثنية العربية)^(٢٨) . وهو غير كتابة (مكة) في جزئين (١٨٨٧ و ١٨٨٩) حيث حاول بتسلله الى مكة المكرمة ومشاهدات الحجيج أن يعدّه مصدراً محسوساً

معائناً هاماً له . يضاف إلى ما سبق حضوره دروساً على المستشرق الألماني . تيودور نولدكه (١٨٣٦ — ١٩٣١) مؤلف كتاب : تاريخ القرآن ، والمعروف بعنائه للإسلام ^(٢٩) ، و (وأن فواتح السور القرآنية رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني) ^(٣٠) .

وعلى الرغم من أنه لم يعتمد في بناء شخصيته العلمية على مستشرقين كثيرين آخرين فإن دراساته المتواصلة جعلته متأثراً بأرائهم وافتراءاتهم . وربما كان في تنافس شديد مع المستشرق المجري كبيرهم : جولدزهير (١٨٥٠ — ١٩٢١) في تتبع التأثيرات الأخرى على الإسلام (فإذا ما قارنا بين جولدزهير وهورجروني ، وكيف أن كلاهما كان يسعى لتدقيق مختلف التأثيرات التاريخية على الإسلام ، فإن ذلك سوف يلقي بعض الضوء على هذه الاختلافات . ولقد بحث جولدزهير عن العلاقة بين الإسلام وسائر التيارات ، وخلص إلى أن الإسلام قد تأثر بالفرس والبوذيين ... وأهتم هورجروني بتبيان التأثيرات المسيحية على الإسلام ...) ^(٣١) .

وواضح أن التنافس بينهما لم يؤد إلى تعارض في الآراء والشبهات وإنما أدى وبشكل مقصود أو غير مقصود إلى تجميع الشبهات والآراء وتنسيقها في إطار واسع من التأثيرات الوضعية والدينية معاً .

ولقد كانت دراسته للشريعة الإسلامية وكتابته عنها ومحاضراته فيها سواء كانت دراسة شاملة أو دراسة مصنفة مجزأة تدور حول محورين : التأثير بالمسيحية ، ومدى التطابق بين أحكام الإسلام وواقع المسلمين ، وبخاصة في زيارته الجزيرة العربية وإقامته الطويلة (١٧) سنة في مدينة (جاوة) الأندونيسية .

فقد كان من مناهج رواد ^(٣٢) الغزاة من المستشرقين في القرن المنصرم باحثان كبيران قضياً جزءاً غير قليل من حياتهما في دراسة الشريعة الإسلامية هما : سنادك هورجروني وجولدتسير ، وقد تحديا ما هو معلوم عند المسلمين بالضرورة — بداهة — من منزلة السنة النبوية ، وأصالة التشريع الإسلامي ... ولم يكن في وسعهما أن يأتيا بنظرية متناسقة متجانسة ، شاملة متكاملة يعارضان بها عقيدة المسلمين ...)

ولكن استطاع أن ينقل هذه القضية وسواها إلى مشاهير المستشرقين من أمثال : تلميذه (فنسك) ومعاصره (شاخت) (ت ١٩٦٩) ، و (بيكر) (ت ١٩٣٣) و (ماكديونالد) (ت ١٩٤٣) ، وآخرين نجد اسماءهم في مقال (الطياوي) :

إن الدراسات اللاهوتية والإستشرافية لايمكن أن تقرب أصحابها من تتبع الحقيقة والكشف عنها وإعلانها لأن ذلك مخالفة للمنهج اللاهوتي والإستشرافي الذي غرق في أحواله هورجرونيه وأمثاله .

٣ — في نشاطاته السياسية : يقول (بارث) الألماني^(٣٣) : (إنه كان رجلاً يعتمد على خبرته العملية بالشرق ... وأقام استعداداً للعمل في خدمة الاستعمار — نصف عام متخفياً (١٨٨٥) — بين المسلمين في مكة ، ووضع في كتابه « مكة » الذي أصدره باللغة الألمانية في جزئين (١٨٨٨ — ١٨٨٩) النتائج العلمية لمهمته الفريدة تلك ... إلى أن يقول : وشغل بعد ذلك مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية الهندية ، وأوتي بذلك فيما أوتي ، فرصة معرفة العرف السائر بين المسلمين هناك معرفة وثيقة .

وإذا : فإن ضلالة (هورجرونيه) في السياسة الاستعمارية لم تقصرو على أعماله ووظائفه الرسمية والقيادية المعتادة وإنما دفعت به إلى مغامرة فريدة في رحلته إلى مكة المكرمة للقيام بالأعمال الجاسوسية الخطرة .

ولكن مما ينبغي التنويه به هو أن تطلعاته السياسية كانت مبكرة في حياته بدءاً واستمراراً ، فقد كان أول عمله تعيينه مدرساً للعلوم الإسلامية في (معهد تكوين الموظفين في الهند الشرقية) (اندونيسيا) ومقره ليدن ، وذلك في عام ١٨٨١ ، ثم استأنف نشاطه في التدريس بعد عودته من مكة ، في كل من (ليدن) و (دلفت) وإن كان قد آثر التدريس في (ليدن) فيما بعد .

ويلاحظ أن كلا المعهدين في البلدين مصطبغان بصبغة دينية وسياسية استعمارية لتخريج عمال وموظفين لهذا الغرض ، ثم استمر يخدم الإدارة الاستعمارية

الهولندية في (اندونيسيا) قرابة ١٧ سنة ، بدأها في سنة ١٨٨٩ مستشاراً للحاكم العام الهولندي للشئون الإسلامية ، ومقره في (جاوة) .

وفي آذار (مارس) ١٨٩١ نقل نهائياً للعمل في خدمة إدارة المستعمرات الهولندية بوصفه « مستشاراً في اللغات الشرقية والشرعية الإسلامية » ، وأقام في (أتيه Atijeh) في عامي ١٨٩١ — ١٨٩٢ ، ولم يكن الحكم قد استقر فيها تماماً للحكومة الهولندية — وهناك جمع مواد غزيرة لتأليف كتابه الضخم ، وعنوانه (Deatijehens) « أهل أتيه » . وفي السنوات التالية قام بأبحاث عن اللغات في أندونيسيا وعن أهلها وبلادها ، كما كان مستشاراً للحكومة الهولندية في الشئون الإسلامية بهذه البلاد ... فتعلم لغتها إلى جانب معرفته بالعربية .

وبسبب معرفته بإقليم (أتيه) عين « مستشاراً للشئون الداخلية » أيضاً في هذا الإقليم ، وقام برحلات إلى (سومطرة) ، وبهذا يتبين أن نشاطه السياسي كان ذا جوانب عديدة ، فهو مدرس الموظفين السياسيين ، والمستشار للحاكم العام ، ومن ثم المستشار العام في أندونيسيا مع وظيفته كمستشار للشئون الداخلية أيضاً في إقليم (أتيه) .

ومن غير المستبعد أن نشاطه الفكري في (أمريكا) عام ١٩١٤ على شكل محاضرات عرض فيها الإسلام عرضاً عاماً مشوهاً قد يكون ذا طابع سياسي استعماري أيضاً بعد أن ضعف نفوذ (هولندا) الاستعماري وقوى النفوذ الأمريكي . وعلى كل حال فإن إنتاجه الاستشراقي لم يخدم الفكر الإنساني والاستشراقي بقدر ماقدم خدماته للفكر الاستعماري الجاسوسي .

٤ — جوانب ذات دلالات معينة في شخصيته : إن أبرز مايميز شخصيته الفكرية والسياسية والأخلاقية ، الحدة في الطبع ، والكذب والتزوير في التعامل ، والاستعلاء على الآخرين .

فقد عرفه جلساؤه بالحدة في المناقشة كما وصفه (بارث) بذلك ، ويمكن التعرف على هذه الخصلة من : تعصبه المتطرف للمسيحية وعدائه للإسلام من

ناحية ، ومن طبيعة عمله في خدمة الاستعمار كمستشار من ناحية ثانية ، فالتطرف الديني لا بد من أن يترافق أو ينتج من روح متعصبة حادة وانفعالية مهما حاول صاحبها أن يتكلف الأناة والحلم والرزانة .

والعمل الاستعماري كسياسة لا بد من أن يعرض صاحبه الى أزمات ومشكلات مقلقة تشيع في حياته ألواناً من الاضطراب والقلق ، وذلك بسبب مايفاجأ به من عوامل الثورة وأعمال الاستفزاز وحركات التحرر أيا كانت شدتها .

ولا يخفي أن مثل هذه الحصلة تتنافى مع صفاء النفس ورزانة الطبع وهدوء الفكر مما ينعكس على حياة الإنسان الفكرية وآثارة الدراسية .

أما الكذب والتزوير فلا حاجة إلى البرهان عليه ، فقد غير (هورجرونيه) اسمه ، وتسمى بـ (عبد الغفار) كما تسمى (فيليبي) (١٨٨٥ - ١٩٦٠) باسم (عبد الله فيليبي) ، وكما تسمى (بالمر) (١٨٤٠ - ١٨٨٢) باسم (عبد الله أفندي) ، وكما تسمى (لين) (١٨٠١ - ١٨٧٦) في القاهرة باسم (منصور أفندي) ، وغيرهم كثير ، وهي أسماء إسلامية خالية من مسمياتها وحقائقها .

وإنما تسمى (هورجرونيه) باسم (عبد الغفار) حين كان مقيماً وبوظيفة مستشار في أندونيسيا .

وقد بدا الكذب والتزوير واضحين في تسلله إلى مكة المكرمة بعد أن تزيا بالزي العربي الاسلامي الذي يوهم السلطات حينذاك بأنه فرد من المسلمين . وإذا وقع التزوير في مثل هذه الأحوال التي يمكن لبعضها أن تسبب إلى شخصه وإلى حكومته فأي مانع يمكن أن يمنعه من التزوير في الفكر والتضليل في التأليف ؟

وأما التعالي على الآخرين : فإن الخطوة التي نالها من المستشرقين ومن حكومته تمكن هذه الحصلة من نفسه حتى وإن كانت على أساذته .

فقد وصف أستاذه ، دي خويه (١٨٣٦ - ١٩٠٩) : إنه لم يتألق ولم يسترع الانتباه ، ولكن محياه كان يشرق بنور لطيف ناصع ، وحرارة نبيلة حبيت

إلينا الإلتفاف حوله^(٣٤) .

وإذا فإن مالفت إليه الانتباه هو إشراقة الوجه وحرارة النبيل وليس العلم والمعرفة اللذين لم يتألق بهما ولم يسترع الانتباه . وهو موقف ينم عن اعتزاز بشخصية هورجرونيه ، ومقدرته العلمية وتفوقه على أستاذه ، مع مافيه من إساءة الأدب وسوء التقدير ، لاثألفه اللياقة الاجتماعية بله العلاقة بين أستاذ وطالب مهما ارتفع مستوى الطالب العلمي والاجتماعي .

ومع هذا فلم يصدر مثله من مسئول تركي صغير حين أبلغه بوجوب مغادرة مكة المكرمة فوراً بعد أن كشف أمره متسللاً إليها عام ١٨٨٥ وأبلغ عنه (لوستالو) مساعد القنصل الفرنسي .

لقد سأل الموظف التركي عن حاجته إلى عدد الإبل التي تقل أمتعته . وأعطاه أربعة منها حسب حاجته بعد وقت قصير ، ثم بدأ (سنوك) عودته الى وطنه ... ثم لاشيء آخر من الإجراءات أو العقوبات .

كما لايتفق مع موقف تلميذه المستشرق الشهير : فنسنك (١٨٨٢ — ١٩٣٩) الذي كان أكثر وفاء وتقديراً في حياته وبعد موته .

فقد جمع له (فنسنك) مقالاته الصغيرة المتفرقة التي كان (سنوك) ألقاها في امريكا ، مع آثاره الأخرى ، تحت عنوان : (كتابات متفرقة لكريستيان سنوك هورجرونيه) في ستة ثم سبعة مجلدات .

أما مقالاته الصغيرة التي بلغت أربع مقالات سبق الكلام عن ثلاثتها ، ورابعها : الإسلام والفكر الحديث ، عرض فيها الإسلام عرضاً مشوهاً وشاملاً .

ويبدو أن بعض مضامين هذه المقالات لم ترق لفنسنك كثيراً حتى عنوان لها في المجلد الأول : كتابات تتعلق بالإسلام وتاريخه . وفي المجلد الثاني كتابات تتعلق بالشريعة الاسلامية .

ومع أن فنسنك كان متأثراً كثيراً بأفكار أستاذه ، وبخاصة فيما يتصل بمصادر الإسلام ونشأته التي ظهرت في كتابه (عقيدة الإسلام) الذي طرد على أثرها من

مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فإن فنسنت أكثر صبراً ، وأتقن عملاً ، وأضبط إحصاء وتصنيفاً من أستاذه ، وذلك على الرغم من التخططات والضلالات في أبحاثه ودراسه .

٢ - الشخصية الثانية :

فيلبي Philby, H-S.J (١٨٨٥ - ١٩٦٠) الإنكليزي السياسي الاستعماري الخطير الذي وسّع نشاطاته السياسية الإنكليزية في العديد من الأقطار العربية الإسلامية .

ولد في جزيرة سيلان وتخرج باللغات الشرقية من جامعة أكسفورد (١٩٠٧) ، ووظف بالهند (١٩٠٨ - ١٩١٥) وفي العراق (١٩١٦) ورأس البعثة البريطانية إلى الجزيرة العربية (١٩١٧ - ١٩١٨) وبعثة المركز العربي السياسي إلى بريطانيا (١٩١٩) وعين مستشاراً لوزارة الداخلية في العراق (١٩٢١) ورئيساً للبعثة البريطانية في الأردن (١٩٢١ - ١٩٢٤) ثم تقلب في وظائف عديدة فعين مستشاراً للمملكة العربية السعودية ، وأشهر إسلامه ، وانتدب أستاذاً زائراً في الجامعة الأمريكية ببيروت (١٩٥٧) وتوفي فيها .

١ - نشاطه الاستعماري : إن الصورة الموجزة السابقة من حياة (فيلبي) تستدعي تفصيل أعماله الاستعمارية في مصر والعراق وسورية وفلسطين والأردن إلى جانب أعماله بالهند ذرة التاج البريطاني حينذاك . وأخص منها نشاطه في العراق حيث كان الاستعمار الأنجليزي قد أُنَاخ بكلكلة فيه بعد أن استعمرت فرنسا سورية ولبنان والمغرب العربي .

ومن الملاحظ بادىء ذي بدء اختلاف شخصية (فيلبي) عن المستشرق الاستعماري الهولندي (هورجرونيه) فقد غلب على الأول الزخم السياسي والفعاليات الاستعمارية طول حياته وبخاصة في الفترة الأخيرة منها وقبل أن يصبح أستاذاً زائراً في الجامعة الأمريكية ببيروت كما أشرت إليه .

بينما نجد الثاني يحتفظ بالجانب الاستشراقي الفكري والعمل الدائب من أجله

من سفينة غارقة ، حيث إن شرقي الأردن قد تتقدم في المستقبل ، إلا أنها سوف لا تكون مستقلة كما كنت أومل لها أن تكون .

وفي مذكرات الملك عبد الله أن (فيليبي) معروف لدى العرب على شيء كثير من الإخلاص في البلاد التي يعمل فيها ..

ثم اغتنم هذه الفرصة فاتفق مع السائحة المشهورة (روزيتا فوريس) على ارتياد الربع الخالي على نفقة (الديلي تلغراف) .

ثم عرض على د / ناجي الأصيل وكيل الحكومة السعودية في لندن أن يضع نفسه تحت تصرف الملك على في جدة ، وبعد موافقته توغل في داخلية الحجاز واتصل بالملك عبد العزيز الذي كان اشبه بمشاور له في شتى الشؤون ، حتى إنه رفض راتباً خصصه له الملك عبد العزيز ، ولكنه استطاع أن يقنع بعض الممولين الانكليز بتأسيس شركة سموها ، الشركة الشرقية المحدودة ، في الحجاز وانكلترا ، وتوسعت أعمالها برؤاسته وكان منها استيراده لسيارات فورد وتصميمها حينذاك ، ويدعي أنه هو الذي أشار على الملك عبد العزيز بوجوب استقدام الأجانب للبحث عن المعادن ، وهو الذي خابر له الشركات الأمريكية والبريطانية وكان من نتيجتها الموافقة على أخذ الأمريكيين امتياز استخراج البترول متسابقين بذلك مع البريطانيين .

ويبدو أن الملك عبد العزيز لم يسمح لـ (فيليبي) بالعودة من أمريكا الى السعودية بعد أن علم من (هوسكينز) الكولونيل الأمريكي والممثل الشخصي للرئيس روزفلت الذي كان يشتغل في دائرة الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية ، أن (فيليبي) كان يحاول رشوته بعشرين مليون باون لبيع لقاءها فلسطين الى اليهود ، كما جاء في كتاب حايم وازمن رئيس دولة اسرائيل : التجربة والخطأ ، والذي نشره في ١٩٤٩ . وبذلك قضى على أحلام (فيليبي) في الاستمرار بعمله كمستشار فيها ، كما انكشفت نواياه في دعم اسرائيل عن طريق السعودية ، وظهرت خيائته فمنع من العودة إليها مطلقاً ، وانتدب أستاذاً زائراً في الجامعة الامريكية ببيروت (١٩٥٧) وتوفي فيها (١٩٦٠) .

٢ — صلاته بالمستعمرين والمستشرقين السياسيين : أشرت خلال حياة فيليبي بالعراق وغيره إلى بعض هذه الصلات التي كانت تتم وفق تنسيق مخطط من مراكز الاستخبارات البريطانية ، وأحياناً كانت تتم عرضاً وفق الأهداف الاستعمارية المشتركة التي تتطلب تضافر الجهود والأعمال . وكان فيليبي يقول (بعد وصوله إنكلترا ١٩١٩) : أشغلت قسماً كبيراً من وقتي خلال هذه المدة بزيارتي إلى وزارة الهند ، ووزارة الخارجية ، حيث وجدت (غاريت) و (هوبرت بونغ) على التعاقب يشغلان منصب الخبراء في شؤون الشرق الأوسط ، وإلى الجمعية الجغرافية الملكية ، وقد جرت لي مقابلات مع (أدوين مونتيفو) واللورد (كرزن) وقضيت جميع ماتيسر لي من الوقت أشغلت اشتغلاً جدياً بإحضار خرائطي عن الجزيرة العربية في الجمعية الجغرافية^(٣٦) .

واتصل بالكولونيل (هـ . ف . جاكوب) حين سافر هذا إلى صنعاء وقال له : أي نوع من اللباس سترتدي خلال رحلتك هذه ؟ فأجاب بلهجة تكاد تكون جازمة : البزة العسكرية كضابط ، وجتلمان بريطاني ومع حاشية من الخيالة الهندية . فأجابه فيليبي : إذا فإنني أعتقد أنك سوف لا تصل صنعاء مطلقاً ، فاستهزأ بمثل هذا الرأي ، غير أنه لم يصل إلى هناك بتاتاً ، حيث إن قبيلة (قهرة) وقفت في طريقه ، وبعد حصار غير مريح دام عدة أسابيع سمح له بالعودة بعدها إلى الحديدة^(٣٧) .

وربما كان (لورنس) أهم شخصية تبادل معها التأثير والمعلومات الاستعمارية . ولورنس هذا (١٨٨٨ — ١٩٣٥) هو الملقب بـ (لورنس العرب أو العربي) حيث جذب الانتباه إليه بأعماله العسكرية والاستعمارية وباتجاهه الفكري مثل : ثورة في الصحراء (١٩٧٧) وأعمدة الحكمة السبعة (١٩٢٦) ... وهو الذي انضم إلى القوات العربية بقيادة الملك فيصل بن الحسين ، وعمل على قطع سكة حديد المدينة دمشق ، ودخل دمشق ١٩١٨ بجنوده العرب قبل أن يحتلها الجنرال (الليني) . و خان العرب في مؤتمر فرساي^(٣٨) .

وكان (فيليبي) قد قابل (لورنس) الذي أطلعته على تطورات الشؤون العربية

التي كان يجعلها (لورنس) ثم اصطحبها معاً الى القاهرة ضيفين على (اللبني) حيث أخذ (اللبني) برأي (فيليبي) بعدم ارسال طائرات انكليزية لمساعدة الشرفاء^(٣٨) .

وكذلك فان (فيليبي) خلف (لورنس) في خدمة بلاده في اماره شرقي الأردن مدة ثلاث سنين وقد أفاد من أعماله واستكمال مهامه .

أما صلات (فيليبي) في العراق فكانت مع شخصيات مشهورة مثل (وكسوس) رئيسه في الدائرة السياسية والذي عمل على إنشاء حكومة مؤقتة وطنية (؟) وكان معه ومع (بيل) يشتغلون معاً بانسجام تام ووحدة متناهية كفرقة واحدة نذرت نفسها لواجب واحد وهو (والكلام لفيلبي) : أن تشكل في بغداد حكومة مؤقتة تحظى بقبول الجميع^(٣٩) .

والشخصيات السابقة لم يعرف لها نشاط فكري استشرافي مع الأعمال الاستعمارية . ولذا فإن من المناسب أن أعرض لشخصيتين استشرافيتين تعاون معهما (فيليبي) في المجال الاستعماري السياسي .

وأولهما : الأنسة جرترودييل (١٨٦٨ - ١٩٢٦) تخرجت من لندن وأكسفورد ، وطوفت في ايران وسورية والجزائر وبلاد العرب (١٨٩٢ - ١٩١٣) وعينت مترجمة في السفارة البريطانية في مصر (١٩١٥) وفي البصرة (١٩١٦) وفي بغداد (١٩١٧) فلقيت فيها بعد الحرب بملكة العراق غير المتوجة ، وقد ساعدت في التنقيب عن آثاره وأنشأت لها متحفاً في بغداد ، حيث توفيت وكانت تحسن الفرنسية والألمانية والعربية والفارسية^(٤٠) .

يقول فيليبي : كان يسرها أن تسمع عما كان يجري في الجزيرة العربية لتجري نوعاً من التوازن تجاه نفوذ الملك عبد العزيز ... وكانت (بيل) قد ركزت نفسها منذ مدة طويلة مع خادم أمين ، استخدمته عندها منذ أيامها الخالية في سورية في (فيلا) صغيرة مبهجة تقع وسط بستان بديع مليء بالزهور أصبحت تعرف بين المتحليلين باسم (مرتع العزوبة) ، فأصبحت هذه الدار بسرعة مركزاً معترفاً به

لشبكة واسعة النطاق من الدس السياسي الذي يشمل البلاد بأجمعها^(٤١)
ومن آثارها سورية ط ٤ (١٩٨٧) ، والفرات (١٩١٠) ، وشمال الجزيرة
العربية (١٩١٤) ..

وثانيتها : أرنولد تالبوت ويلسون (١٨٨٤ - ١٩٤٠) تعلّم في كلية
كليفتون والكلية العسكرية الملكية في ساندهورت ، ثم التحق بجيش الهند ، ثم
نقل الى القسم السياسي في الهند (١٩٠٩) ... ثم انضم الى القوات الهندية التي
حاربت في العراق (١٩١٤ - ١٩١٦) واختير نائباً للمبعوث الإنكليزي السير
(برسي كوكس) ، ومستشاراً سياسياً في الخليج الفارسي ... ثم تطوع بعد
استعفائه من الخدمة في القوات الجوية (١٩٣٩) ، وأسقطت طائرته فوق ألمانيا ،
وكان متخصصاً في اللغات : العربية والفارسية وثلاث لغات هندية ، بالإضافة الى
اللغات الأوربية^(٤٢) .

وواضح أن (ويلسون) كان من الاستعماريين البريطانيين الذين كانوا يناوئون
تأسيس حكم وطني في العراق^(٤٣) .

وذكر (فيليبي) عنه أن الشعب العراقي غير قادر على حكم نفسه ، وأنه يقترح
أن يبادر الى تدريسه في أصول الحكم عن طريق التشكيلات البلدية ، وبذا أعلن عن
قرب إجراء الانتخابات للمجالس البلدية في المدن المهمة ، تلك المجالس التي
سيكون لها رئيس ونائب رئيس وسكرتير من البريطانيين ، بينما يكون للأعضاء
المنتخبين الحق التام في البحث والمناقشة من غير أن يكون لهم حق التصويت .

وكان (ويلسون) طلب من (فيليبي) أن يزور سورية بالنيابة عنه ويقدم تقريراً
عن التطورات هناك والتي كان يمكن أن تؤثر تأثيراً خطيراً على العراق ، غير أن
(فيليبي) تصنّع التعب والملل^(٤٤) .

ومن آثاره : الخليج الفارسي (العربي) وهو صورة تاريخية مجملة منذ أقدم
العصور الى أوائل القرن الثاني عشر (أكسفورد ١٩٢٨) ، وفارس (١٩٣٢) ،
وقناة السويس (١٩٣٣) ، وشط العرب (١٩٤٥) ، والخليج الفارسي العربي

وفي الشؤون الدولية : الشرق الأوسط (١٩٢٦) ، وقناة السويس (١٩٣٩) ، وتاريخ نزول الآباء اليسوعيين في إيران (نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ١٩٢٣ - ١٩٢٩) (٤٥) .

إن النشاط الاستعماري الإنكليزي في صورته السياسية المحضة ، والاستشرافية الفكرية قد قام بدور فعال في الشؤون العربية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقدية .

فأمثال هؤلاء المستشرقين ومن سبقهم من السياسيين والعسكريين كانوا يمتلكون زمام البلاد وقيادتها في جميع النواحي ، ويتصرفون فيها كما لو كانت مقاطعة من بلادهم ، وجزءاً من شعبهم ، ولكنها على كل حال تصرفات فيها من العنف والتجهيل والنظرة التسلطية المألوفة في الشعب الإنكليزي نفسه وفي بلاده .

ويبدو لي بالإضافة إلى التآزر الوطيد بين الفكر السياسي والاستشرافي أن هناك ناحيتين تلفتان النظر . أولاهما تسخير المرأة الانكليزية أحياناً جميع طاقاتها ومواهبها في خدمة الهدف الاستشرافي الاستعماري ، حتى ان سمعة (بيل) كانت متمرعة في الفساد ضمن (الفيللا) التي كانت تسكنها والمسؤولين الذين كانوا يرتادونها لتابعة أعمالهم السياسية ، وهي غير مكترثة لما يقال ويشاع في سبيل تحقيق هذه الأهداف . وثانيهما : بروز الغرض الكنسي من خلال النشاط الفكري الاستعماري ، فقد عمد (ويلسون) الى تتبع النشاط اليسوعي في إيران في جولاته العسكرية وأثبت ذلك في كتاباته الاستشرافية .

وهو غرض ، وإن بدا نزاعاً بين الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية ، فإنه من الممكن أن يوضح محاولة السيطرة الدينية لصالح الإنسان الغازي ، ويحاول وضع الخطط لاجتياح الكنيسة المعادية ، لامن أجل اعتناق وجهة واحدة فيها فحسب ولكن من أجل التقرب الى الفكر الإسلامي ضمن الخطة الاستعمارية في إشاعة البروتستانتية التي حمل الانكليز رايتها إلى العالم العربي والإسلامي .

٣ - في إسلامه وآثاره : وإنما قرنتهما معا لأنني أرجح أنهما يلتقيان ضمن الهدف

الاستعماري الواحد الذي كان يسعى إليه بثتى الوسائل الدبلوماسية والفكرية .
أما إسلامه فإنه يروي قصته ، فيقول^(٤٦) : لقد تعلقت بالجزيرة العربية وغرمت
بها ، وكانت المشكلة التي واجهتني منذ ١٩٢٥ هي : هل أنا مستعد للسير إلى
الأخير مع العرب ؟ ... فقد كنت لا أزال في عمر باكر يؤهلني للطموح في
الحصول على منزلة سياسية في إنكلترا من دون أن يؤثر ذلك على المصالح التجارية
التي أسستها في جدة ... ثم يقول : ومنذ أيامى الأولى في الهند انجذبت الى
الإسلام انجذاباً تاماً لتأكيد الشدائد على ما كان يبدو لي صالحاً من الفلسفة
وأساليب الحياة الخالدة ، ولم أكن مسيحياً منذ مدة طويلة ، بل كنت فيلسوفاً من
دون أن يكون لي إحساس أو اقتناع ديني ... وكان الإسلام في الهند من جهة
أخرى ، يبدو لي أنه قد حمل بأكثر من اللازم من المبادئ والطقوس الدينية غير
الأساسية ... وقد وجدت السنين في العراق على شيء غير يسير من الضحولة
والرسميات في ممارسة الدين والتفكير به ، بينما لم تجذبني العقيدة الشيعية
بقديسيها وعلمائها الأصوليين ، وعلى هذا لم أتصل بما كنت أعتقد الشكل النقي
الظاهر من الإسلام دون شك أو نكران إلا عندما ذهبت الى الجزيرة العربية ، ذلك
الشكل الذي يستمد تعاليمه بالكلية من منابع وحيه الأصلية في القرآن وسنة النبي ،
ولا يمت بشيء الى ما طرأ على التعاليم بعد ذلك من التفسير والتأويل . وقد لاح لي
بعد درس عميق أن العقيدة الوهابية هي الشكل المثالي من الدين ... ثم يتابع
كلامه : ولئن كان تشريعها قاسياً من بعض الوجوه فهي لا تفر الزيف ، كما أن تعدد
الزوجات الذي تقره والذي كان هدفاً للنقد والتجريح ، فيه من التدابير ضد العهر
والفسق ما يفضل على التدابير الموجودة في الوصايا العشر ...
ثم ينهي كلامه بقوله : قال (الملك عبد العزيز) : إننا يجب أن نجد اسماً
جديداً له ، فماذا تقترحون كلكم ؟ (والخطاب للجمع المحتشد عنده) .. ولماذا
لا نسميه عبد الله ؟ نعم ، فليكن اسمه عبد الله ، عبد الله فيلبي ، وهكذا كان منذ
ذلك اليوم حتى الآن .

ونحن لا نستطيع أن نناقش في سلامة نيته حول الاسلام وصدقه فيه . لأن

ذلك مما لا يعرف وهو خفي عن ظواهر الأمور ، كما أننا لا نستطيع أن ننفي أقوالاً نطقها بالإسلام وأعلنها أمام جمهرة من المسلمين فنقول له : إنك غير مسلم مع أنه أعلن هذا الإسلام ، ولا يمكن أن ننكر عليه ظاهر أمره وندعى أنه متظاهر بالإسلام ، متستر به ، ومتذرع بأحكامه ، والإسلام منه براء .

ومثل هذا بعيد عن خلق المؤمن وآدابه ، أفلا يتدخل بالسرية التي يعلم الله صدقها وإنما يكفي بظاهر القول والحال ، والله وحده يتولى نيته وسريته .

ولكن إذا لم يشرع لنا مثل ذلك أصلاً أفلا يحق لنا أن نخلل موقفه المفاجيء من الإسلام من خلال تصريحاته وأعماله ، لا قبل الإسلام وإنما بعده أيضاً ؟

ألا يحسن أن نتحقق من مثل هذه الشخصية الهامة أنه قد حسن إسلامه فالتزم به وعمل له مثل ما كان يعمل ضده قبل الإسلام ؟ ومن أجل ذلك ماذا قدم فكر (فيليبي) للإسلام أو للمسلمين بعد أن أعلن اعتناقه الإسلام ؟

هذه أبسط التساؤلات التي يمكن أن تخطر على فكر أي مثقف يتناول بالدراسة نفسية شخصية هامة في التاريخ .

وللإجابة على مثل هذه التساؤلات يمكن القول : إن (فيليبي) نفسه كان يقول معلناً : وكانت المشكلة التي واجهتني منذ ١٩٢٥ هي هل أنا مستعد للسير إلى الأخير مع العرب ؟ .

وهذه ليست كلمة عابرة وإنما — كما يبدو لي — هو موقف قديم مبيت أو معلن من السياسة الاستعمارية الانكليزية يدفع به إلى أن يتخذ أية وسيلة مشروعة أو غير مشروعة للسير مع العرب كما يدعي .

وإذا ربطنا هذا الموقف المغرض من حياة (فيليبي) الأولى مع آماله العريضة في أن يتبوأ مكانه لائقة بين قومه فإننا نتأكد من ذلك بقوله : فقد كنت لأزال في عمر باكر يؤهلني للطموح .

ثم إن الإسلام في السعودية هو الإسلام نفسه في الهند والعراق لا تختلف أصوله التي يستمدّها منه وهي كتاب الله وسنة نبيه ، وهو يدرك تماماً أن صلاح الإسلام في

عقيدته وعبادته ونظمه يمكن أن تؤخذ مباشرة من هذه الأصول ولا تؤخذ من المسلمين ، وبخاصة من عامتهم الذين يجهلون بعضاً من أحكامه ويخطئون في بعضها الآخر ، وينحرفون أحياناً عن اتباع هذه الأصول اتباعاً دقيقاً .

وهذه القضية — الفصل بين الإسلام والواقع الإسلامي — ملحوظة بذهن معظم المفكرين الذين دخلوا في الإسلام وهم يحاولون حلّها ومعالجتها .

فكيف إذاً يمكن أن نقبل رفض إسلام (فيليبي) في الهند والعراق بمثل هذه المعوقات المفترضة التي يمكن للثقف مثله أن يعتبرها حجاباً دون إسلامه وهي من الواقع الذي أشاعه الفكر الاستعماري وغزوه الفكري ؟

وقد يكون في جانب من قوله بعض الصحة وهو أن الإسلام في الهند قد حمّل بأكثر من اللازم من المبادئ والطقوس الدينية غير الأساسية ... ولكن أحداً لا يقول له : هذا هو الإسلام الذي نريد اعتناقه ، فهل كان عليه أن يعتنق الإسلام تشويهات إسلامية جرى عليها بعض المسلمين في الهند والعراق ؟

إن العلماء أنفسهم في الهند والعراق ينكرون التزييدات والانحرافات التي تقع من عامة الناس ، ويطلبون منهم العودة إلى الأصول الإسلامية فلماذا ينظر باتّباعه الإسلام إلى العامة دون العلماء ؟

ولذا فإنه حين وجد الإسلام في السعودية معلناً ومعمولاً به في الميادين الرسمية الحكومية ، والشعبية بادر إلى اعتناقه حيث إنه توهم أنه قد توفّرت له أرضية صلبة يقف عليها ، وسبيل آمنه يمكنه أن يسلكها وينفذ منها إلى تحقيق أهدافه ، ولكنه منع من الدخول إلى البلاد بعد أن طرد منها بسبب خيائته أو تواطئه مع (هوسكينز) كما تشير الرواية السابقة .

والأمر الذي يلفت النظر هو أنه لم ينشر أي عمل فكري بعد إسلامه يدل على تمكنه من نفسه والتزامه به ، فهل نضبت قريحته وضاعت معارفه عن الإسلام ومبادئه في فترة نضوجه الفكري والعلمي ؟

على أن التداعي الفكري يلحّ على إبراز أسماء إسلامية مثل : عبد الله بالمر ،

وعبد الغفار هورجرونيه إلى جانب عبد الله فيليبي ، وهما مع تزييهما بالزري العربي والإسلامي وتجاهلها وبقائهما في البلاد الإسلامية مدة طويلة لم يعرف عنهما أنهما أعلننا الإسلام أو نطقا به مثل ما فعله (فيليبي) في ظروفه الرسمية الخاصة .

أضف إلى ذلك أن التسمية بعبد الله فيليبي لم تكن من اختياره وبرغبته وإنما هي اختيار الملك عبد العزيز وموافقة جلسائه من غير أن يكون لـ (فيليبي) أي اعتراض أو مدافعة كما تشير الرواية السابقة .

وربما أكد ذلك ما عرف له من آثار فكرية تنحو جميعها المنحى الاستعماري بشكل خفي أو سافر ، ثم أستاذيته في الجامعة الأمريكية التي استغرقت ثلاث سنوات متعاوناً مع انكلترا وأمريكا وأجهزتهما ومؤسساتهما .

ومن هذه الآثار : قلب الجزيرة العربية (١٩٢٢) ، وجزيرة العرب في عهد الوهابيين (١٩٢٨) ، والجزيرة العربية (١٩٣٠) وهارون الرشيد (١٩٣٣) ، والربع الخالي (١٩٣٣) ، ونبات سبأ (١٩٣٩) ، وحاج في الجزيرة العربية (١٩٤٣) وأسس الإسلام (١٩٤٧) ، وأيام في الجزيرة العربية (١٩٤٨) ، ومرتفعات الجزيرة العربية (١٩٥٢) ، والعربية السعودية (١٩٥٥) .

وربما يتصدى بعض الباحثين الى كتبه بالتفصيل والتحليل ويكشفون عن الخطط الاستعمارية التي تضمنتها والخرائط العسكرية التي احتوتها لتتصل حلقات الدراسة حول شخصيته الاستعمارية .

ولكن من الثابت قطعاً أن مثل كتابه (قلب الجزيرة العربية) ، و (الربع الخالي) ، و (مرتفعات الجزيرة العربية) لاتقبل أدنى شك في وجهتها الاستعمارية الاستراتيجية .

أضف الى هذا ماورد سابقاً من أنه اشترك في رحلة مغامرة عبر الربع الخالي . ثم ما عرف من حياته وتردده على وزارات الهند وال خارجية ومكاتب الخرائط العسكرية ، وكذلك تردده بين سورية والأردن والعراق والولايات المتحدة ، ومحاولاته التفاهم مع المسئولين اليهود في فلسطين .

كل هذا وغيره يضعنا أمام اتجاه سياسي واضح المعالم جلّي الأبعاد في شخصيات استشرافية لامعة سخرت مواهبها وقدراتها الفكرية لصالحه يوم أن كان الاستعمار العسكري فلسفة الدول العظمى وعملها المفضل .

جدول بالمستشرقين السياسيين :

إن جدولة المستشرقين السياسيين من أهم الجوانب في فهم طبيعة الاستشراق وإنتاجه ونشاطاته الفكرية المختلفة عامة وفعالياته السياسية والاستعمارية خاصة ، ولذا فمن الضروري تتبع أسمائهم وأبرز أعمالهم وأشهر شباعاتهم .

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
١	آبل — ألمان Abel-A	١٩٠٣	أمريكي	مدير المركز الوطني لدراسة شؤون العالم الاسلامي	محاضر في الجامعة المصرية (١٩٢٦ — ١٩٢٨) .
٢	آربري Arbrry, A.J	١٩٠٥ — ١٩٦٩	أنكليزي	وزير الأبناء	عضو في مجامع ومنها مجمع دمشق
٣	أماري — ميشيل Armari, M	١٨٨٩ — ١٨٠٦	إيطالي	عضو بمجلس الشيوخ — قائد حملات المستشرقين في فيرنه عسكرية — وزير التعليم العالى — ١٨٦٢	رئيس مؤتمر
٤	أوكريلا Akerblad, J, D	١٧٦٣ — ١٨١٩	سويدي	موظف في السفارة باستنبول	
٥	أوسترودج الكونت Ostrorogt-C.L		فرنسي	من رجال السلك السياسي	ترجم قسماً من الأحكام السلطانية للمادري
٦	بارون — نجون Badon-John		امريكي	سفير في القاهرة	عميد الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٤٧

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٧	بارتيلمي — سن هيل Barthélemy, S, H	١٨٩٥—١٨٠٥	فرنسي	كاتب سياسي	له : محمد والقرآن — مصر وقناة السويس
٨	بالمر Palmer-Edward	١٨٨٢—١٨٤٠	انكليزي	عميل استعماري متعاون مع اليهود مراسل صحيفة (ديلي نيوز) وصحيفة (استاندرد)	ترجم القرآن — قتل خائناً من البدو العرب
٩	براون — أدوارد — جرانفيل Broune-E,G	١٨٦٢—١٩٢٦	انكليزي	مستشار بالدولة الدستورية في ايران	مجمعي بدمشق — محاضر اللغة الفارسية في كمبرج
١٠	براون — ستيورات — هنري Bucherd-S, H	١٩٠١	انكليزي	مساعد بقسم فلسطين — مساعد مفوض — ضابط استعلامات	منظم البرامج العربية ١٩٣٨
١١	برتشرد Bucherd-W		انكليزي	قنصل في تونس	له : الاسلام والاصلاح (١٨٧٨)
١٢	برشيه Bercherleon	١٨٨٩—١٩٥٥	فرنسي	ضابط ومترجم	مدير الدراسات العليا بتونس
١٣	بروفتسال — ليفي Prouencal-L	١٨٩٤—١٩٥٦	فرنسي	جند بالقيادة العليا لشمالي افريقية وكلف بمهام خطية بين لندن والقدس ودمشق	استاذ العربية والحضارة الاسلامية في جامعة باريس
١٤	بكر Bekker-Karl	١٨٧٦—١٩٣٣	ألماني	وزير المعارف ١٩٢١	كلفته حكومته بالشرق إبان الحرب العظمى الأولى — مدير مجلس الاسلام

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
١٥	بل جرترود Bellg-J	١٨٦٨-١٩٢٦	انكليزية	مترجمة — لها نشاط مع فيليبي بالعراق	لها : عرب العراق
١٦	بلانتيه Plantet.E		فرنسي	من وزارة الخارجية	له : مراسلات ولاية الجزائر مع بلاط فرنسا ، مراسلات ولاية تونس
١٧	بورجشتال — هامر Hammer-P.J	١٧٧٤-١٨٥٦	نمساوي	جوال في مصر وفلسطين وسورية ولبنان وايران	قنصل ومستشار في باريس
١٨	بوسيه Beassier.A	١٨٢١-١٨٧٣	فرنسي	مترجم الحكومة	له : المعجم العلمي العربي الفرنسي
١٩	بونيون Pognon,H	١٨٥٣-١٩٢١	فرنسي	قنصل في حلب	له : الآثار السامية المكتشفة في الشام وما بين النهرين
٢٠	بياتراسفسكي — انياس Pcitruaszeuski, I	١٧٩٩-١٨٦٠	بولوني	قنصل في يافا	استاذ التركية والعربية بجامعة بطرسبرغ
٢١	بيك — فريدريك Beak. F		انكليزي	عقيد في الجيش	له : تاريخ شرق الأردن وقبائله
٢٢	بيلن Belin	١٨١٧-١٨٧٧	فرنسي	قنصل متنقل بين سالونيك والقاهرة	له : ترجمة السلطان عبد الحميد
٢٣	بيللاريت — اميليو Beladiez, E		اسباني	دبلوماسي — من كبار الخبراء بشؤون الشرق العربي	أمين عام المعهد العربي الأسباني للثقافة

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٢٤	بيرين — جاك J Perenne ١٨٩١		بلجيكي	مستشار الملك ليوبولد الثالث ١٩٤٢	معيد بجامعة القاهرة ، عضو في مجامع كثيرة
٢٥	تالوت — فيليس Tallout, F	١٩١٥	أمريكي	مساعد وزير الخارجية	دكتور من جامعة شيكاغو (١٩٥٤)
٢٦	توماس — سيدني Thomas, B,S	١٨٩٢ — ١٩٥٠	إنكليزي	عمل بجيش العراق والمكتب السياسي برئاسة (أرنولد ويلسون)	مستشار للحكومة العربية بالعراق . مستشار مالي في مسقط — أول من قطع الربع الخالي (١٩٣٠—١٩٣١)
٢٧	تومسون — ر — ك Thompson, R,C		إنكليزي	عمل في العراق مع (فيليبي)	له : ما بين النهرين ١٩١٠
٢٨	جالان — انطوان Galland ١٦٤٦—١٧١٥		فرنسي	سفير في تركيا	
٢٩	جيب — هاملتون Gibb, H.A.R	١٨٩٥—١٩٧١	إنكليزي	مدير مركز دراسات الشرق الأوسط بأمريكا (١٩٦٢)	مجمعي بدمشق والقاهرة
٣٠	جريفيني Griffini, E	١٨٧٨—١٩٢٥	إيطالي	أمين إدارة أركان حرب طرابلس الغرب (١٩١١ — ١٩١٣)	استاذ بجامعة ميلانو
٣١	جرينار Grenard, F	١٨٦٦	فرنسي	وزير مفوض	له : عظمة آسيا وانحطاطها ١٩٣٩

م	المستشرق	حياته	جنسية	عمله	أعمال أخرى
٣٢	Joubert, A جوبير	١٨٤٧-١٧٧٩	فرنسي	مترجم في حملة نابليون	استاذ للتركية — مستشار للدولة وعضو في مجلس الشيوخ
٣٣	Gonyaley, J جونتال		أسباني	قنصل في الجزائر	له : فتح الأندلس (ترجمة ١٨٨٧)
٣٤	Guys, H جي	١٨٨٤	فرنسي	قنصل في بيروت	له : شرح عقائد الدروز
٣٥	Delaporte ديلاپورت	١٨٦١-١٧٧٧	فرنسي	حملة نابليون — قنصل في طرابلس	له : دراسات عن دين الأقباط والبربر
٣٦	Driver, G. R درايفر	١٨٩٢	انكليزي	التحق بالجيش	له : قواعد العربية العامية في سورية وفلسطين (١٩٥٠) والقوانين البابلية (١٩٥٢)
٣٧	Dozy-Reliniart دوزي	١٨٨٣-١٨٢٠	هولندي	عضو في الحزب الليبرالي	منظم انتاجه في الأندلسيات
٣٨	D'orson, J, M دوهسون	١٨٠٧-١٧٤٠	سويدي	ترجمان السفارة في استنبول	له : السلطنة العثمانية ١٧٩٠-١٧٨٧
٣٩	Caurroy Du دي كوروا	١٨٣٥-١٧٧٥	فرنسي	ترجمان الملك بالسفارة في استنبول	له : علاقات فرنسا بالباب العالي
٤٠	Dumast, G ديما	١٨٦٢-١٧٩٦	فرنسي	التحق بالجيش قائداً على ٢٠ ألف فرنسي	له : حق فرنسا في مسألة الشرق ١٨٤٧
٤١	Demombynes- ديومبين Maurice	١٩٥٧-١٨٦٢	فرنسي	مدرس العربية في مدرسة المستعرات من	استاذ الآداب بجامعة باريس مدير الدراسات الاسلامية ١٩١٢-١٩٠٥

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٤٢	دينجمانس Dingemans H,H	١٩٠٧	هولندي	سفير الباكستان	له : نشر من أحياء العلوم للغزالي
٤٣	دي ساسي Sacy-Antoine	١٨٣٨—١٧٥٨	فرنسي	لقبه نابليون (بارون) ١٨١٤	مراقب ملكي — مكلف بمهمة رسمية ١٨٠٥
٤٤	دي سلان Slan, M	١٨٧٨—١٨٠١	فرنسي	مترجم في وزارة الحربية	اختص بالدراسات المغربية
٤٥	دي مونتيلنسكي Montylinshl,A	١٩٠٧—١٨٥٤	فرنسي بولوني الأصل	مترجم عسكري بالجزائر	استاذ العربية في قسنطينية وكتب عن الاباضية
٤٦	دي مينار Meynard, B	١٩٠٨—١٨٣٧	فرنسي	الحق يقنصله فرنسا في القدس	له : مع غيره مجموعة مؤرخي الصليبية
٤٧	رنتس جورج Renty, G	١٩١٢	امريكي	عين في السفارة بمصر	عضو في عدة جمعيات علمية امريكية وبريطانية
٤٨	روزين — فردريخ Rosen, Fr	١٩٣٥—١٨٥٦	ألماني	قنصل في بيروت وبغداد (١٨٩٩) وسفير طهران والقدس (١٨٩٩) وأخرى	له : حياة دبلوماسي : إيران ارضاً وشعباً
٤٩	روسي Rossi, E	١٩٥٥—١٨٩٤	إيطالي	اشترك في الحرب الليبية ١٩١٢	تخصص في اللبنيات واليمن وعمل بمجلة الشرق الحديث الإيطالية
٥٠	روسو Rosseou, L,J	١٨٣١—١٧٨٦	فرنسي	قنصل فرنسا في المشرق	له : رحلة من بغداد الى حلب ١٨٠٨ ، وشئون الوهابين ١٨١٨

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٥١	ريور — اندر Ryer-Ander	١٥٨٠ — ١٦٦٠	فرنسي	قنصل في مصر	له : ترجمة القرآن ١٤٤٧
٥٢	سانتيلانا Santillana-David	١٨٥٥ — ١٩٣١	إيطالي	السكربتير الدولي لمالية تونس مكلف من إيطاليا وفرنسا بإنشاء قوانين	له : الفقه الاسلامي المالكي ومقارنته بالمذهب الشافعي — الخلافة استاذ بالجامعة المصرية
٥٣	سايكس — بيرسي Sykes Percy	١٨٦٧ — ١٩٤٥	انكليزي	أول قنصل في القرم — قائد عام في فارس اشترك في حرب جنوب افريقيا	تاريخ الخلفاء العثمانيين (١٩١٥) — عشرة آلاف ميل في فارس (١٩٠٢)
٥٤	سكوراتوفيكس Skuratourcy		بولوني	نائب قنصل بدمشق	له : اصول قواعد العربية ، ١٩٥٠ ، ١٩٥٢
٥٥	سوفير Souvair, H	١٨٤٩ — ١٨٩٦	فرنسي	قنصل في سورية	له : مختصر الدارس في اختيار المدارس التعميمي ١٨٩٤ ونشرته مديرية الآثار ت / د / صلاح الدين المنجد
٥٦	سونيك Sonneck, G		فرنسي	استاذ في مدرسة المستعمرات	مدير المدرسة الاسلامية العليا / بقسطنطينة له : نشر الديوان المطرب في أقوال عرب افريقيا والمغرب ١٩٠٢
٥٧	ستورسينكر — الأب	١٧٨٣	سويدي	ترجمان بالسفارة في استبول	راهب — معني بالخطوطات

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٥٨	Schaik-Adolt F شاك	١٨٩٤-١٨١٥	ألماني	دبلوماسي في الحكومة الروسية ومن أسرة نبيلة	آثار في العربية والفارسية والسنسكريتية والآسيانية
٥٩	Spenger, A شبنجر	١٨٩٣-١٨١٣	نمساوي متجنس بانكليزية	رئيس الكلية الإسلامية بدلهي	استاذ للغات الشرقية في جامعة برن بسويسرا
٦٠	Schéfer, Ch شيفرشارل	١٩٨٢-١٨٤٠	فرنسي	من وزارة الخارجية	اشتهر بأبحاثه الفارسية
٦١	Wetzstein-Johann فشتين	١٩٠٥-١٨١٥	ألماني	قنصل بدمشق ١٨٦٢-١٨٤٨	مختص بالشئون السورية والفلسطينية
٦٢	Ferrend, G فران	١٩٣٥-١٨٦٤	فرنسي	وزير مفوض بالشرق	عضو بالجمعية الآسيوية الفرنسية
٦٣	Wahrmund. A فرموند	١٩١٣-١٨٢٧	ألماني	معلم للخديوي عباس الثاني وشاه ايران وغيرهما	له : دين بابل ، ودين اليهود ، ودين النصاري ١٨٨٢
٦٤	Fresnel, F فرنيل	١٨٥٥-١٧٩٥	فرنسي	قنصل في جدة	عني بعرب الجاهلية تاريخاً وجغرافية ولهجات
٦٥	Vitto, E فيتو	١٩٠٤-١٨٤٤	ايطالي	قنصل في بيروت	له : ألفية ابن مالك متناً وترجمة ١٨٩٨
٦٦	Philby, H.S. فيليبي	١٩٦٠-١٨٨٥	انكليزي	سياسي خطير في الهند والعراق والأردن والسعودية	استاذ في الجامعة الاميريكية ببيروت ١٩٥٧ - أشهر اسلامه بالسعودية
٦٧	Cardin, A كاردين		فرنسي	مستشار القنصلية بالاسكندرية ١٨٣٥	ترجم : مظهر التقديس للجبروتي ١٨٣٨

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٦٨	كاسلزكاي هنري Kasliski-H	١٨٢٧-١٩٣٠	انكليزي	مراسل جريدة التايمز بمصر	استاذ اللغات الشرقية بمصر
٦٩	كرومر اللورد Cromer		انكليزي	المنذوب السامي في مصر	له : مصر الحديثة ١٩٥٨ نقله للمعربة عبد العزيز عرابي ١٩٥٥
٧٠	كنشتر - اللورد Kitchener. H.H	١٨٥٠-١٩١٦	انكليزي	تولى قيادة الحملات الى مصر والسودان ثم جنوب افريقيا (١٨٩٩ - ١٩٠٢) ومعتدلاً في مصر - ووزيراً للحرب في بريطانيا	عين رئيس أركان الحرب في الهند (١٩٠٢ - ٩) ومعتدلاً في مصر - ووزيراً للحرب في بريطانيا
٧١	كريمز - فون. Kremer. A,V	١٨٢٨-١٨٨٩	نمساوي	قنصل في مصر ثم بيروت	موظف بعدد من الوزارات ومنها الخارجية
٧٢	كلوب باشاجون Glubb jopon	١٨٩٧	انكليزي	عمل بالعراق ١٩٢٠ والأردن برتبة لواء (١٩٣٨ - ٥٦)	له : قصة الفيلق العربي (١٩٤٨) و : جندي مع العرب (١٩٥٧)
٧٣	كولان Colin-Georges	١٨٩٣-١٩٧٧	فرنسي	عمل بالجيش الفرنسي في المغرب ومترجم في الاستخبارات	قنصل عام ومستشار بشئون الشرق ، مدير الدراسات بمعهد الدراسات العليا ، المراكزية بالرباط
٧٤	كولومودين Kolomolin-J	١٨٨٤-١٩٣٣	سويدي	كاتب بالسفارة باستنبول	له كتب جشنية

م	المستشرق	حياته	بلده	عمله	أعمال أخرى
٧٥	كوندة Conde-Jose	١٧٦٥-١٨٢٠	اسباني	سياسي معارض للملك فرنندو	معروف بتزييف الوثائق التاريخية ، عمل سكرتير مكتبة الاسكوريال
٧٦	كي - أرتور Guy-A	١٨٧٤-١٩٢٨	فرنسي	مترجم بسفارات عربية قنصل في حيفا	عضو بالجمعية الاسيوية
٧٧	ليال lyalle-Charles	١٨٤٥-١٩٢٠	انكليزي	مندوب رئيس الولايات المركزية بالهند (١٨٩٥-١٨٩٨) سنوات	محقق كتاب : المفضليات في عشر
٧٨	مارسل Marcel, J, J	١٧٧٦-١٨٥٤	فرنسي	مترجم بحمله نابليون	محاضر اللغات الشرقية في معهد فرنسا
٧٩	مارتينيت - مونتافيت Marting-Montavey	١٩٣٣	اسباني	مدير المركز الثقافي الاسباني بالقاهرة ١٩٥٨ - ٦٢	مدير مجلة الرابطة للمركز الثقافي التي صدرت ١٩٥٨
٨٠	ماسينون - لويس Massinon-L	١٨٨٣-١٩٦٢	فرنسي	مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية	مجمعي بدمشق والقاهرة - جامعي بالقاهرة غزير الانتاج ونخاضة في التصوف
٨١	ماسة - هنري Masse-H	١٨٨٦-١٩٦٩	فرنسي	مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة	استاذ في جامعة الجزائر - عضو في مجمع دمشق
٨٢	مليار Maillard-P	١٨٩٠	فرنسي	قنصل في طنجة	من اعضاء البعثة العلمية الفرنسية الى طنجة

م	المستشرق	حياته	جنسية	عمله	أعمال أخرى
٨٣	مرسية Mercier, L	١٨٧٩	فرنسي	ضابط ومترجم ثم وزير مفوض	له : الرباط وطوبوغرافية الرباط ، و : أثر لغات البيرر والاسبانية في اللهجات العربية المغربية (١٩٠٦)
٨٤	موردتمان — جوهان Mordtmann-J.H	١٨٥٢—١٩٣٢	ألماني	قنصل في استنبول	استاذ مساعد في فينا
٨٥	موزيل — الوير . Musil-A	١٨٦٨—١٩٤٤	تشيكوي	لواء بالجيش — صحب بعض امراء النمسا	عضو بمجمع دمشق
٨٦	موله Mullet-C	١٨٦٩—١٧٩٦	فرنسي	مترجم بوزارة الخارجية	ترجم التوراة من العربية والعربية الى التركية في عشر سنوات
٨٧	مولن — فان Meulen-V	١٨٩٤	هولندا	مثل هولندي في جدة (١٩٢٦ — ٣٢) ثم وزير فيها (١٩٤٨ — ٥٠) (١٩٤١—٤٥)	منظم ورئيس الاذاعات العربية في هولندا (١٩٤٨ — ٥٠)
٨٨	موهل — يوليوس Mohl-Julius	١٨٧٦—١٨٠٠	ألماني	امين عام الجمعية الاسيوية تجنس با الفرنسية في ٢٧ سنة وهو لفرنسية بحرر تقريرها السنوي	له : الشاهنامة للشاعر الفارسي الفارسي (١٨٦٦) في ستة مجلدات
٨٩	موير — وليم Muir-william	١٨١٩—١٩٠٥	انكليزي	أمين حكومة الهند (١٨٦٥—٦٨)	رئيس جامعة ادنبرا (١٨٨٥—١٩٠٢)
٩٠	ميله Millet-R	١٨٤٩	فرنسي	سفير	له : الموحدون — والفيالق الوطنية والفرق الأجنبية (١٩٣٣)

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٩١	Nallino-Carlo	١٨٧٢-١٩٣٨	إيطالي	استعانت وزارة المستعمرات بمعرفته الدقيقة بأحوال العالم الإسلامي	استاذ تاريخ الفلك في الجامعة المصرية ١٩٠٩ ثم تدريس تاريخ الدين ١٩٢٨ ثم عضو في المجمع اللغوي ١٩٣٣
٩٢	Habicht-M	١٨٣٩-١٧٧٥	ألماني	مستشار المفوضية البروسية	اهتم باللهجات العامية وانقنها
٩٣	Hartnan. مارتن	١٨٥١-١٩١٨	الماني	مستشار القنصلية في بيروت ١٨٧٦-٨٧	اقترح انشاء معاهد شرقية في سورية ومصر وتركستان
٩٤	Honz, E	١٩٢٦	الماني	التحق بوزارة الخارجية ١٩٥٩	له : الوثائق العربية للدولة العثمانية في مصر ..
٩٥	Hamilton, هاملتون	R,A,B	إنكليزي	عقيد في الجيش	له : قصة جندي أصبح من رجال السياسة في عدن
٩٦	Herbelot- Barthelemy	١٦٢٥-١٦٩٥	فرنسي	مكتبر مترجم اللغات الشرقية	له : المكتبة الشرقية
٩٧	Hurgronje, Snouk	١٨٥٧-١٩٣٦	هولندي	اقام ١٧ سنة في جاوة ممثلاً لحكومته	زار مكة باسم عبد الغفار (١٨٨٤) وغادرها قبل موسم الحج
٩٨	Hammer-Jesef	١٧٧٤-١٨٥٦	ألماني	مستشار وترجمان البلاط الإمبراطوري وسياسي في استنبول	رئيس أكاديمية فينا ١٨٤٧

م	المستشرق	حياته	جسده	عمله	أعمال أخرى
٩٩	Huart, Cl	١٨٥٤-١٩٢٧	فرنسي	قنصل (١٨٩٧) في استنبول ثم قنصل عام	مترجم وأمين سر في وزارة الخارجية الفرنسية - مثل فرنسا في مؤتمر المستشرقين بالجزائر (١٩٠٥)
١٠٠	Hillison, S		انكليزي	مدير فرقة انكليزية في الشرق الأوسط قُصد السودان ١٩١١	محاضر للتاريخ بكلية غوردان
١٠١	Wilson, Arnold, Talbot	١٨٨٤-١٩٤٠	انكليزي	التحق ١٩٠٣ بجيش الهند ثم نقل الى القسم السياسي في الهند ١٩٠٩ ثم القوات الهندية التي حاربت في العراق (١٩١٤ - ١٦) مستشار سياسي في الخليج	له : ١٩٢٨ الخليج الفارسي ، مابين النهرين

دراسة وتعقيب :

إن الجدول يضع أيدينا على حقائق مذهلة تكشف عن الشخصيات والحكومات والأعمال والآثار المرصودة استعمارياً والمنفذة استشراقياً ، كما ينبه إلى اعتبار الجانب السياسي والعسكري في العمل الاستشراقي وجهات مقصودة للنشاط الفكري لدى سياسة المستشرقين وحكوماتهم .

وهي وجهات كانت غائبة في مشكلات البحث الاستشراقي التي يحاولون فيها إظهار الموضوعية ، والكشف عن الحقائق الفكرية المجردة ، ويوهمون الفكر الانساني بتجردهم في الموضوعات المعالجة .

ويمكن إبراز بعض النتائج المستوحاة كما يلي :

١ — طغيان الفكر الاستعماري والنفوذي علي السياسة الغربية والأمريكية ، بدءاً من القرن التاسع عشر وحتى اليوم ، فقد اشتركت معظم الدول الأوربية في إرسال الأدمغة الفكرية والاختصاصات الاستشرافية الى العالم العربي الإسلامي لإبقائه ضمن السيطرة الأجنبية أرضاً وإنساناً وفكراً وعملاً .

ولارب أن النزعة الإمبراطورية التوسعية كانت تستحوذ على الحكومات الغربية حتى جئدت لها أعلى الطاقات الفكرية ، ودفعت بها خارج بلادها تستغل الرهبة والاستشراق لخدمة مصالحها الاستعمارية الواسعة ، ومثل هذه النزعة أو الروح السائدة ازدهاء بالعلم وأهله أكثر منه كسب للمنافع القومية والاقليمية التي حرص عليها الغربيون .

٢ — يبرز الاستشراق السياسي الفرنسي بعدد أوفر من سواه ، ويتبعه الاستشراق السياسي الانكليزي ، ويقل المستشرقون الآخرون من الدول الأوربية والأمريكية المختلفة . فقد بلغ الفرنسيون قريباً من النصف أي حوالي ثلاثين شخصية ، ونصفهم من الانكليز ، ثم خمس شخصيات من الألمان . أما الأمريكيون والسويديون والنمسا فكان نصيب كل دولة ثلاث شخصيات بينما وظفت كل من إيطاليا وإسبانيا وبولونيا وهولندا مستشرقين ، واكتفت بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا بشخصية واحدة لكل واحدة منهما . والإحصاء السابق وإن كان أقرب إلى الدقة ، وأوفى بالعدد ، فإن الدولة المكثرة والمقلّة تشتركان في القناعة السياسية بتسخير الفكر الاستشراقي وفق النزعة السياسية الاستعمارية ، ومن ثم العمل على الإفادة من تخصصات المستشرقين في هذه الوجهة الخاصة .

وبالإضافة لما سبق فإن عدداً من المستشرقين السياسيين في الجدول كان نشاطهم الإستعماري ضمن بلادهم ، وقريباً من حكوماتهم التي لم يرحوها مع ما لهم من نشاطات استشراقية فكرية .

٣ — ويوضح الجدول الاتجاه العام للنفوذ الأمريكي في الأقطار العربية والإسلامية جميعها ، سوى ما استأثر به السوفييت لأنفسهم ، وهو نفوذ يقوى في مصر والخليج العربي بينما اتجهت الدول الأخرى إلى استعمار إقليمي محدد .

فقد توسعت السياسة الاستعمارية الفرنسية بنشر مستشرقها في المغرب العربي وسورية ولبنان ومصر ، بعد أن عملت شركاتها على توسيع تجارتها في الهند الفرنسية وغيرها من أقطار الشرق الأقصى . وكذلك فقد كانت هولندا في الهند وأندونيسيا ، تحاول السيطرة اقتصاديا وفكريا وتتنازع مع إنكلترا هذه السيطرة .

وكان إخفاق السياسة الاستعمارية الإنكليزية في الشرق الأقصى أعظم دافع لها أن تولي اهتماماتها الاستعمارية إلى الشرق الأدنى في مصر والعراق وفلسطين وشرقي الأردن وسورية ، حتى أجازت لنفسها أن تقدم رجالها ومستشرقها إلى الإمبراطورية الانكليزية المترامية الأطراف .

٤ — وبنه الجدول السابق إلى قيام مستشرقين بأعمال فكرية أخرى لا يظهر فيها الاتجاه الاستعماري بشكل واضح ومباشر ، مثل قيامه بعضوية مجمع أو أكثر من المجمع العربية ، أو تسلمه عمادة كلية أو جامعة ، أو ممارسته التدريس في فرع له صلته بالتاريخ والإسلاميات وحاضر العالم الإسلامي ، مثل (آبل) الأمريكي المحاضر في الجامعة المصرية ، و (أدوار براون) الإنكليزي الجمعي بدمشق ، والمحاضر بالفارسية في كمبرج ، و (بروفنسال) الفرنسي استاذ العربية والحضارة الإسلامية ، و (جب) الإنكليزي الجمعي بدمشق والقاهرة ... ولكن مستشرقين آخرين ينتظمون في أعمالها صلاتها الاستعمارية المباشرة والواضحة مثل : وزارة الأنباء ، والعمل على تنظيم البرامج العربية ، والخدمة بالجيش الأجنبي ، مثل : (آريري) الإنكليزي ، وزير الأنباء ، و (بورجستال) النمساوي مستشار في باريس ، و (دلايفر) الفرنسي الملتحق بالجيش الفرنسي ، و (كلوب باشا) الإنكليزي لواء في الجيش الأردني ، و (مولن) الهولندي رئيس الإذاعات العربية في هولندا ..

٥ — ويتبع هذا أن معظم الآثار الاستشرقية الفكرية التي عملوها كانت ذات شقين : أحدهما آثار فكرية تبدو بعيدة الصلة عن الاتجاه السياسي المباشر مثل : ترجمة الأحكام السلطانية للكونت (أوسترودج) ، والمعجم العلمي العربي الفرنسي

لـ (بوسيه) ، وتاريخ شرق الأردن وقبائله (فريدريك بيك) ، ومصر الحديثة للورد (كرومر) ، ولكنها في معظمها ضمن الاتجاه السياسي غير المباشر ...

وثانيهما : دراسات مستفيضة أو مقتضبة ذات صلات واضحة ومكتشوفة بالاستعمار وسياسته ، ومنها : مصر وقناة السويس لـ (بارتيلمي) ، ومراسلات ولاية الجزائر مع بلاط فرنسا (بلانتيه) ، والسلطنة العثمانية (دوهسون) ، والخليج الفارسي (ويلسون) ... وغيرها كثير .

٦ — بعض المستشرقين تعمقوا بصلاتهم الشخصية والرسمية في أجهزة الحكومات الإسلامية أو مؤسساتها التربوية ، فقد كان (براون أدوار) مستشاراً في دولة إيران لوضع دستور البلاد ، كما كان (فيلبي) مستشاراً خطيراً في العراق والسعودية ، و(توماس) مستشار الحكومة العراقية ، ومستشاراً مالياً في مسقط ، وعمل بجيش العراق والمكتب السياسي مع (ويلسون) ، وكان (كنتشر) رئيس أركان الحرب في الهند ومعتمداً في مصر ، ووزير الحرب في بريطانيا و(جاك بيرك) البلجيكي معيداً بجامعة القاهرة وعضواً في مجامع كثيرة .

أما في المؤسسات الثقافية والتربوية فيمكن أن نذكر على سبيل المثال (مارتينيت) الإسباني الذي كان مدير المركز الثقافي الإسباني بالقاهرة ، و(سونيك) الفرنسي مدير المدرسة الإسلامية العليا بقسنطينة ، وهو أستاذ في مدرسة المستعمرات الفرنسية ، و(شيرنجر) النمساوي الإنكليزي رئيس الكلية الإسلامية بدلهي .

ولا ننسى المستشار الفرنسي الأكبر (ماسنيون) وعلاقاته الوطيدة بشخصيات مغربية وتونسية ، كما لانتسي (فرمونه) الألماني معلم الحديوي عباس الثاني شاه إيران ، وغيرها .

٧ — وكتيجة عامة : فإن دراسة الجدول السابق توضح وجهة المستشرقين في أعمالهم الفكرية باعثاً وغرضاً ، وهي من غير شك وجهة مشبوهة ومطعون بها لامن حيث توجيه الحكومات الاستعمارية لدراساتهم ورحلاتهم وإقاماتهم في بلاد عربية

وإسلامية وحسب ، وإنما من حيث أفكارهم وشبهاتهم وافتراءاتهم المطروحة في ميدان الفكر والثقافة الإنسانيين .

وهي إذ تنافي المنهجية الموضوعية — فإنها تحاول غزوه فكرياً من أجل استغلال الطاقات البشرية والمادية ، وتشتت البلاد العربية والإسلامية على أيدي الاستعمار الغربي والأمريكي ، ومن ثم العمل على تكريس التخلف المدني والاجتماعي والحضاري عن مواكبة النهضة الصناعية والتقدم التقني .

وإذا نجح الاستشراق في خدمة السياسة الاستعمارية الرسمية فإن استقلال معظم أجزاء العالم الإسلامي سياسياً يدفع بها الى أن تستفيد من صحتها وتعي أوضاعها وعلاقاتها مع الدول الغربية والشرقية ، فتقيم الحواجز على الأفكار الوافدة وتحصن حياتها متحررة من النفوذ الاستشراقي الاستعماري الذي ماتزال أفكاره في المنشورات والمطبوعات يتداولها المسلمون وغير المسلمين .

ونجاح الاستشراق الذي يشمل اليهودي منه والمسيحي يعني تلاحم الصلات بين هذين النوعين بقدر ما يعني إبراز الآثار السياسية السيئة لهما ضمن خدمة الاتجاه السياسي الاستعماري عبر التاريخ .

يقول (الطياوي) : « وبينما نجد هناك علاقات اتصال عضوي Organic Relationship مسلم به بين اليهود والمسيحية فإنه ليس من المسلم به أو المدعّم بالبرهان العلمي وجود أي علاقة اتصال ... بين أيهما وبين الإسلام . وإنما نجم العداء اليهودي أو المسيحي للإسلام من صراع سياسي وعقائدي على مدار التاريخ ... ولابد أن يتقبل المستشرقون نصيباً من المسؤولية عن استدامة هذه الحالة المحزنة للأمور » .

على أنه ينبغي ألا تتأثر الأعمال السياسية الاستشرقية بإظهار القرآن حقائق الطبيعة اليهودية والانحرافات الكنسية ، لأن القرآن نفسه الى جانب نعيه مواقف هؤلاء وهؤلاء من الدين الصحيح يعدّهم من الكتائب الذين يعاملون بأكرم مزايا الأقليات الدينية في إطار التسامح القرآني الرحب .

٨ — وإذا طوت النتيجة العامة أبعاداً فكرية عدائية وأعمالاً جاسوسية خطيرة فإن مما لا يمكن أن يخطر بالبال أن تطفئ أبعاد الخيانة وأعمال العنصرية على كل من (بالمر) الإنكليزي (كراوس) التشيكي الصهيوني ، و (اشتيشيدر) النمساوي الصهيوني .

ومهما تكن مصائر القوم بأيدي العرب الشرفاء أو بأيديهم فإن وصمة عار كبرى في العمل الاستشراقي أن يجتهد الفكر والعلم والإنتاج البحثي لا في خدمة السياسات الاستعمارية فحسب وإنما في خدمة المواجهات الفكرية والعسكرية ضد الفكر الإسلامي والعسكرية العربية .

لقد قتل (بالمر) وانتحر (كراوس) وطرد (فيليبي) من السعودية وأبعد (كلوب) عن الأردن ، وقتل (غوردون) بالسودان ، وحصل لأمثالهم من المستشرقين مثل ما وقع لهؤلاء ، فنالوا حظوة في بلادهم وبين أقوامهم ، واكتسبوا أمجاداً عسكرية وسياسية في التاريخ الاستعماري ، فهل استطاعوا بذلك أن يخدموا بلادهم وأفكارهم حقيقة بالأدوار التي لعبوها على الساحات السياسية والفكرية ؟ وهل تعدّ مثل أعمالهم لبناتٍ في البناء الحضاري الفكري مهما تقدّمت هذه الأعمال في ميادين البحث والدراسة ؟

إن مقام به بعض المستشرقين السياسيين من خدمات استشارية ورحلات استكشافية ودراسات طوبغرافية ، ثم من إنتاج فكري لجميع هذه النشاطات باسم العلم والبحث خلق أن يعاد النظر فيه لامن حيث الأبعاد السياسية الاستعمارية وحسب وإنما من الناحية الفكرية والعلمية والبحثية أيضاً .

من مراجع وتعليقات البحث :

- (١) المستشرقون : د / نجيب عفيفي ١ / ٩٨ .
- (٢) السابق : ١ / ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .
- (٣) انظر شبته في مشروعية الحج في موسوعة المستشرقين د / عبد الرحمن بدوي ص ١٨٢ وقارن بمقال للمؤلف لي : التضامن الاسلامي (مجلة) الجزء العاشر ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ .
- (٤) المستشرقون ٢ / ٤٣٨ .
- (٥) أضواء على الاستشراق د / محمد عبد الفتاح عليان ص ٢٨ .
- (٦) المستشرقون ٢ / ٦٢٤ .
- (٧) السابق ٣ / ٩٢١ .
- (٨) السابق ٣ / ٩٨١ .
- (٩) السابق ٣ / ٩٨٦ . وانظر : التبشير والاستعمار : د / عمر فروخ ومصطفى الخالدي من ص ٩٠ .
- (١٠) كتابه : أضواء على استشراق من ص ٢٥ — ٢٧ .
- (١١) السابق عن : ابراهيم خليل ص ٧٩ .
- (١٢) انظر موقفه من الفلسفة العربية في التبشير والاستعمار ، السابق ص ٢١٨ .
- (١٣) المستشرقون ١ / ٢٠٤ .
- (١٤) السابق ١ / ٢٠٥ هامش .
- (١٥) الاستشراق والمستشرقون : د / عدنان وزان ص ١٧٢ .
- (١٦) التراجع في جميع الموضوعات من : المستشرقون السابق ، والأعلام : الزركلي . والمبشرون والمستشرقون د / محمد الهي ، وموسوعة المستشرقين د / عبد الرحمن بدوي ، الاستعراب في الاتحاد السوفيتي : المعصراني ، والدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية : روي بارث ، ترجمة د / مصطفى ماهر ، مجلات المجمع العلمي العربي بدمشق الأعداد : ١ / ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ٢ / ٩٣ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، و ٢٨ / ٦٤٥ ،

- وتاريخ المجمع العلمي العربي : احمد الفتيح ، ومجلة المجمع اللغوي المصري :
الأعداد : ٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٤ ، ومجلة المشرق : ٣٣ / ٧٢٤ ، وتاريخ آداب
العربية : جرجي زيدان ، والموسوعة العربية الميسرة ...
- (١٧) ذكرت آثاره في (المستشرقون) في سبع صفحات .
- (١٨) المستشرقون ، السابق معجماً ودارسة ٣ / ٩٨٠ .
- (١٩) انظر المبشرون والمستشرقون ص ١٣ ، ١٤ .
- (٢٠) وانظر ١ / ٣٤٧ و ٢ / ١٤٧ و ٢١٢ و ٣١٥ حاشية . وقد يفيد في
الموضوع عموماً : علماء أجناب في خدمة الثقافة العربية من ص ٢١ د / جمال
الدين الرمادي و : أحداث وأعلام ، الجزء الثاني ، والفكر الاسلامي الحديث
وصلته بالاستعمار ص ٢٣ — ٢٨ والتبشير الاستعمار السابق : ٢٦٠ ، ٤٤ ،
٥٠ ، والفصول الخامس والسادس والسابع .
- (٢١) في كتاب الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية ص ٣١ .
- (٢٢) السابق : ٣٨ .
- (٢٣) ص ٣٠ ، ٣١ .
- (٢٤) مناهج المستشرقين : مقال د / عماد خليل ١ / ١٣٣ ، وانظر كلام
(دينيه) في كتابي : الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ط ٢ مقدمة
ص ٣ — ٤ .
- (٢٥) معجم المستشرقين د / البدوي .
- (٢٦) مناهج المستشرقين ١ / ٣٨٩ .
- (٢٧) ص ٣٠ — ٣١ من كتاب بارث .
- (٢٨) معجم المستشرقين السابق .
- (٢٩) د / البهي في : المبشرون المستشرقون .
- (٣٠) مناهج المستشرقين ١ / ٢٣ .
- (٣١) السابق : ١ / ٣٥٣ .
- (٣٢) السابق ١ / ٦٧ .

- (٣٣) في كتابه السابق ص ٣٠ — ٣١ .
- (٣٤) مناهج المستشرقين ٢ / ٨٨ .
- (٣٥) مقتبس من كتابه : أيام فيلبي في العراق ترجمة وتعليق جعفر خياط دار
الكشاف ١٣٦٩ / ١٩٥٠ .
- (٣٦) السابق ص ٢٠ .
- (٣٧) السابق ص ٣١ .
- (٣٨) انظر تفصيل ترجمته في الموسوعة العربية الميسرة ، والمستشرقون
د / عقيقي .
- (٣٨) كتاب أيام فيلبي في العراق ص ٣٠ .
- (٣٩) السابق ص ٤٣ .
- (٤٠) المستشرقون ٢ / ٥٠٣ .
- (٤١) كتاب أيام فيلبي في العراق ص ١٧ ، ٤٣ .
- (٤٢) المستشرقون السابق .
- (٤٣) تعليق الخياط ص ١٧ على كتاب فيلبي .
- (٤٤) السابق ص ٢٠ .
- (٤٥) المستشرقون ٢ / ٥٢١ .
- (٤٦) من كتاب : أيام عربية (١٩٤٨) والمقتطفات السابقة من مقدمة المترجم
الخياط (١٣ ، ١٤) .

ثانياً

مستشرقون جامعيون

إن الزحف الاستشراقي على الثقافة العربية والإسلامية ومؤسساتها العليا ربط جوانب من هذه الثقافة بأفكار وقيم دخيلة تتبعها مفكرون مسلمون ، كما كان تغفل المستشرقين في المؤسسات العربية الإسلامية العلمية والتعليمية ونفوذ سلطانهم الفكري عليها وعلى أهلها قد حمل آثاراً سلبية وأكثر خطورة تدميراً للقيم والمبادئ والأصالة التي أقيمت عليها هذه المؤسسات .

ذلك لأن المتخرجين من هذه المؤسسات والمحتضنين لأعمالها في التحام فكري مستمر بينهم وبين العناصر الاستشراقية الأجنبية ، ومن ثم فإن القيادة الفكرية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية التي تتلمذت على الأفكار المغربية والمباديء المستعربة ستبني اتجاهها الفكري والسياسي والعلمي على أسس الاستعراب الذي يعدّ في معظم جوانبه استعماراً فكرياً دائب الغزو والاجتياح .

وقد أجملت كتابات عربية بعض النشاطات الاستشراقية فعرفت (المؤسسات الرسمية — وفي بعضها نفر من أولئك الناقدين ، للمستشرقين فضلهم ، واستعانت بهم في مكتباتها ، مثل سترن ، وشبيتا ، وفولرس ، وموريتس ، وشاده ، في دار الكتب المصرية ، وفي متاحفها : الفرنسيون في المتحف المصري منذ إنشائه حتى عام ١٩٥٣ ، وفيبيت في دار الآثار العربية ، وفي معاهدها : الإيطاليون والفرنسيون والبلجيكيون والأسبان والألمان والانجليز وسواهم في الجامعة المصرية ، ثم في غيرها ، وفي مجامعها : خمسة أعضاء في المجمع اللغوي بمصر عند تأسيسه ، وكثير في المجمع العلمي العربي بدمشق ..)^(١) .

ويبدو أن الجامعات العربية استوفت معظم المستشرقين في تدريس طلابنا وبخاصة عقب إنشاء هذه الجامعات وأثناء نشاطها الجامعي الذي حاول التعرف والاقتراس من مناهج ومعارف أعلامهم .

وفي معظم الأحيان تطبق معاهدات ثقافية بين البلاد العربية والإسلامية وبين البلاد الغربية ، ويوفد تنفيذها لها شخصيات معروفة بولائها الفكري الاستعماري ، وبقدرتها على تخصصاتها الفكرية وباحتضانها أفكاراً وشبهات معينة تحاول طرحها في المحاضرات كتابة أو القاء .

والدولة الغربية التي تبعث بالفكر والعلم والتجربة الانسانية لانتفد في الحقيقة بنوداً من المعاهدات الثقافية المبرمة وحسب وإنما تسير وفق مخططها الاستعماري في إرساء النفوذ الأجنبي وإبقاء الانسان العربي خاضعاً للفكر الأجنبي وسياسته الغازية .

أولاً — في المغرب العربي :

فقد انتدبت الدولة الفرنسية (شربونو) J. Aug. Cherbneau (١٨١٣ — ١٨٨٢) لتنظيم مدارسها في (الجزائر) ، فاهتمّ بالأمر اهتماماً عظيماً وعلم في (قسطنطينة) مدة وكان ينشط الطلبة على درس آداب العرب وآثارهم ... ونشر مقالات متعددة في شعراء العرب وكتبهم ، ونقل إلى الفرنسية عدة تأليف قديمة منها : رحل وتواريخ ، وقصص ، كرحلة (العبدري) ، وتاريخ (ابن حمّاد) وكان مغرماً بتاريخ المغرب والجزائر ، وله في ذلك عدة آثار ، وفي آخر حياته ، استدعته الحكومة لتدريس العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس^(٢) .

وفي الجزائر أيضاً قام (بليتة) Peltier, Fr بتدريس الحقوق في كليتها ، إلى جانب ما أنتجه من الآثار العربية الاسلامية ، فقد ترجم من صحيح البخاري : الوصايا (الجزائر ١٩٠٩) ، وكتاب البيوع والسلم والخيار (١٩١٠) ، وكتاب البيوت من الموطأ للإمام مالك (١٩١١) ...^(٣) .

وواضح أن ترجمة مثل هذه الأبواب من صحيح البخاري يقصد منه الفقه المقارن وموازنته بالفقه الروماني والفرنسي .

وقد ينتقل الأستاذ أثناء عمله إلى مهمة أخرى لها صلة وثيقة بالتدريس لتحقيق مكاسب استعمارية أكبر حجماً وأعظم وزراً ، فالمستشرق (هوداس) Houdas, O

(١٨٤٠ - ١٩١٦) عينته فرنسا أستاذ العربية في الجزائر ثم أصبح مفتشاً عاماً للتعليم فيها ، وقد صَنَّف عدة كتب لتدريس العربية ثم انصرف إلى دراسة المغرب الأقصى والتاريخ الحديث للمغرب ... ثم أضحى في اللجنة التاريخية بقسم تاريخ المغرب ، وعمل على ترجمة (٦٤) سورة من القرآن الى جانب أعماله في الفقه المالكي والتاريخ المغربي الحديث ، وطرف مغربية (وهي مختارات من الأدب المغربي) (ذيلها بمعجم لتفسير ألفاظها) (باريس ١٨٩١) كما ترجم جزءاً من صحيح البخاري ، بالإضافة الى كتاباته عن (تونس) مثل : رحلة علمية الى تونس ، في جزئين ، وثلاث كتابات في مجلة الآثار (١٩١١) .

ويشبهه (دوما) Dumas, C الذي عينته الحكومة الفرنسية أحد مفتشيها في مدارس الجزائر . وكثيرون عينوا في مناصب إدارية فنية وتدرسية مثل (درمنغم) مدير مكتبة الجزائر و(بروفنتسال) مدير معهد الدراسات العليا المغربية بالرباط . وتلمع أسماء جامعية كثيرة مثل : (ماسة) و(كانار) و(بيروس) و(إيفر) و(بوسكة) و(ريكار) وغيرهم .

ويعد (رينه باسيه) Basset, René (١٨٥٥ - ١٩٢٤) في طليعة محوري المجلة الإفريقية ونشر الآثار الإفريقية ووجد من وقته متسعاً للتطواف فقدم الى (تونس) منقياً عن الآثار الاسلامية والمخطوطات العربية ورأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر (١٩٠٥) ، وعرفت له وزارة الخارجية فضله فعيّنته قنصلاً في الجزائر ولكنه آثر التدريس ، ولما حوّلت مدرسة الجزائر الى كلية (١٩٠٩) انتخب عميداً لها ، وانتخب من مديري دائرة المعارف الاسلامية ، وعضواً في مجامع علمية كثيرة في : باريس ، ولشبونة ، ومدريد ورومة ، ودمشق .. فقد جمع التدريس الى التحرير والتأليف والعضوية العاملة والفخرية في عواصم مختلفة .

وفي (المغرب) كان (هنري باسه) Basset, H (١٨٩٣ - ١٩٢٦) ابن (رينه) السابق من أكثر المستشرقين الفرنسيين اهتماماً وعناية ، وذلك بعد أن عين مديراً لمعهد الدراسات العليا في الرباط ، وعمل : تاريخ آداب قبائل البربر (الجزائر

(١٩٢٠) ، والتأثيرات الفينيقية لدى البربر ، وغيرها ...

ولا ريب أن مثل هذه الآثار الفكرية تقصد الى ايقاع الخلاف بين العرب والمسلمين البربر في المغرب أكثر مما ترمي اليه من دراسات لغوية واجتماعية وإسلامية ، فإنها تبرز حضارة إقليمية نوعية متفوقة على الحضارة العربية وتصل حضارتها بحضارة دول البحر المتوسط التي يعنى باظهارها بعض المستشرقين والمستغربين على السواء .

كما كان (دي سنغال) Cenival, P,de (١٨٨٨ — ١٩٣٧) من أبرز المستشرقين الذين تسلموا وظيفة مدير المحفوظات في المغرب وقد تعاون مع (دي كاستري) على إصدار مجموعة بعنوان : مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب (باريس ١٩٠٥) ، وقد استغل منصبه فعمل : المصنفات العامة في المغرب ، (معهد الدراسات المغربية العليا ١٩٢٠) ، والكنيسة المسيحية بالمغرب في القرن الثالث عشر (١٩٢٧) ، وزاوية البرادعة (١٩٢٣) ، وعلاقات فرنسا التجارية بالمغرب في القرن الخامس عشر

وهذه الآثار المتنوعة والمعرضة في اللغة والتاريخ والدين لابد من أن يعتمد عليها المحاضرون والمتخصصون .

وقرب منه (كايه) Caille,J الذي عين مديراً لمعهد الدراسات العليا في الرباط قبل عام ١٩٤٩ حيث قدم كتابات عن : فرنسا والمغرب (١٨٤٩) ، وسفراء فرنسا ومبعوثوها وممثلوها في المغرب (١٩٥١)^(٥) فقد أهله دراسته في الحقوق والآداب لمثل هذه الدراسات المتنوعة .

وربما كان (بلاشير) Blacher,R,L (المولود عام ١٩٠٠) من أشهر المحاضرين في معهد مولاي يوسف بالرباط ، ثم انتدب سنة ١٩٢٤ مديراً لمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط وكانت له سمعته العربية والفرنسية . وسنعود إلى إبراز شيء من آثاره فيما بعد .

وإذا كان عدد المستشرقين في المغرب العربي أقل من الجزائر وفق السياسة

الاستعمارية الفرنسية فإن عددهم في تونس يقل عما كان في المغرب أيضاً .
على أنه لابد من أن ننوه ببعض الأعمال الاستشرافية الجامعية وغيرها التي تنال حظاً وافياً من جهود المستشرقين الفكرية في الجزائر والمغرب وتونس جميعها ثم ترحال بعضهم بين أرجاء هذه الدول طلباً للمعرفة واستزادة من المصادر ، وقد مر معنا بعض الشخصيات التي تناولت الاضغاع المغربية جميعاً بالبحث والدراسة .

وعلى كل حال فإن من الشخصيات الجامعية في (تونس) (ليون بيرشه) Bercher, L. (١٨٨٩ — ١٩٥٥) الذي كان يجمع بين الوظيفة العسكرية والإدارية حيث كان ضابطاً ومدير معهد الدراسات العليا (١٩٥٠) ومن آثاره : ترجمة كتاب : الإسلام وأصول الحكم : على عبد الرازق (١٩٣٣ — ٣٤) ، وتحليل فتوى كبار علماء الأزهر في هذا الكتاب ، ومقتطفات من كبار : احياء علوم الدين للغزالي (١٩٥٣) ومقتطفات من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، له أيضاً . وترجمات أخرى مثل : التحفة لابن عاصم في الفقه المالكي ، ونهضة الاسلام : لآدم متس ...

وشخصية أخرى أغنى بالمعرفة العربية واللغات الأخرى والعلوم الاسلامية هو (وليم مارسه) Mareais, W (١٨٧٤ — ١٩٥٦) حيث كان ينتقل من الجزائر إلى تونس والمغرب — ويتردد على علمائها ومدارسها ، وحين أصبح استاذاً في الدراسات العليا ومعهد فرنسا في باريس لم يقطع صلته بتونس ، بل طفق يتردد عليها أسابيع كل سنة ، لالقاء دروس بالعربية وأصبح مديراً للمدرسة العليا في الجزائر ، وقد مثل الدراسات العربية والعلوم الإسلامية في مجمع الكتابات والآداب خير تمثيل ، وكان يقول : إن القرآن ليس بشعر ولا نثر وأنه فن قائم بذاته ، وأن المسلمين ينظرون اليه نظرة مقدسة فلا يقلدونه وبقي القرآن خالياً عن التأثير في الادب العربي ... (٤) .

ومن آثاره : ترجمة أحاديث البخاري في ٤ أجزاء .. و : كيف استعرب شمالي إفريقيا ، إلى جانب تصنيفاته اللغوية مثل : المعجم وهو قاموس كبير جمع

فيه اللهجات المغربية ونصوصها وأصواتها ، وكذلك : التعليق على لغة تاكرونة ، ومؤلفات وترجمات أخرى لها صلة بالأدب العربي والتعريب والإسلام ، وشيء من تراجم المستشرقين .

وأخيراً : (ادولف فور) Faure,A الذي عرف أنه من اساتذة معهد الآداب العربية ، كما عرف ببعض ترجماته مثل : محمد بن محمد الموقت المراكشي ، والتشوق الى رجال التصوف للشاذلي في ٥٥٢ صفحة (الرباط ١٩٨٥) .

وهناك موظفون مستشرقون في حقل التعليم أو اداراته مثل (روا) Roy,B الذي عمل أعمالاً عن تونس مثل : وثيقتان غير منشورتين عن حملة الجزائريين على تونس (١٩١٧) ، وكتابات عربية في (موناستير) (١٩٢٨) ، وكتابتان على قبور (القيروان) من القرن السادس عشر (١٩٣٢) ...

ومثل (ماشويل) Machuel,L (المتوفي ١٩٢٢) الذي كان مديراً لمدرسة تونس وأستاذ العربية فيها ، وله من الآثار : معجم فرنسي (١٨٧٧) ، والتعليم العام في إيالة تونس (باريس ١٨٨٩) ، ولهجات العامة في تونس والمغرب ورواياتها الفكاهية ، ونبذة عن إصلاح الكتابة العربية (١٩١٣) .

ونماذج من الشخصيات والأعمال الأخرى تقنع الباحثين بأن الإنتاج الاستشراقي الفكري كان وسيلة هامة يعتمد عليها من وسائل الغزو الاستعماري في مختلف المجالات الفكرية والشرعية واللغوية والاجتماعية والتاريخية ، وأن الجهود الغازية قد سخرت تماماً لحمل الإنسان العربي المسلم في أصقاع المغرب جمعية على (التغريب) الفكري بوجه عام ، وعلى (الفرنسة) الاستعمارية بوجه خاص .

ولا غرو فإن آثار التغريب والفرنسة ومظاهرها ماثلة للعيان في التعليم ومؤسسته وفي كثير من المرافق العامة ونواحي الثقافة والاجتماع ، وذلك على الرغم من حركة التعريب والعودة إلى الأصالة العربية والإسلامية على المستويين الرسمي والشعبي .

ثانياً - في المشرق العربي :

وهنا تتعدد مصادر الفكر الاستشراقي وتتنوع نشاطاته حسب البلد العربي الوافد منه ، وذلك ضمن إطار النفوذ الأجنبي على البلد العربي المسلم الوافد إليه .

ومعروف أن (فرنسا) دفعت بعدد كبير من الأدمغة الاستشراقية الى سورية ولبنان ومصر ، في الوقت الذي دفعت إنكلترا رجالها ومفكرها إلى فلسطين وشرقي الأردن والعراق إبان احتلالها .

وأحياناً كان البلد العربي الواحد يستقبل راضياً أو مرغماً شخصيات متعددة فرنسية وإنكليزية وإيطالية ومجرية ... متزامنة مع الفترات الاستعمارية التي كانت تستوعب أكثر من أقليم أو أمة ، كما حدث في كل من مصر وسورية إبان الاحتلال الانكليزي والفرنسي .

١ - مصر والمستشرقون :

ولارب أن في طليعة البلاد العربية وفرة في استقبال المستشرقين مصر ، وبخاصة في الجامعة المصرية المعروفة حينذاك .

وكان الدكتور « طه حسين » يمتدح اتجاه الجامعة في تدريس الأدب العربي على الطريقة الاستشراقية الحديثة فيقول : إنه كان لسنة ١٩١٥ في مصر مذهبان . أحدهما مذهب القدماء ، والآخر مذهب الأوربيين ، استحدثته الجامعة المصرية بفضل الأستاذ (نيلنو) ومن زامله وخلفه من المستشرقين مثل (جويدي) و(فييت) ، وقد عهدت إليهم بدرس تاريخ الأدب فدرسوه بمناهجهم الحديثة ، فعلموا الطلاب كيف يبحثون ... ثم يقول : وكيف نتصور أستاذاً للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرغ من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة ، وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس ، ولابد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن نهض على أقدامنا ، ونطير بأجنحتنا ، ونسترد ماغلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا ...^(٥) .

وليس من الاستطراد أن نشير الى أنه لا مانع أن يتعلم الجامعيون المناهج

الحديثة ، ولكن نتساءل : ألا يجدر بطالـب الأدب العربي أن يدرس المناهج القديمة أولاً ، وذلك لتساعده على فهم أدبهم الأدب القديم ؟ وإذا كاد للأدب العربي خصائص كأي أدب آخر فهل يصح عرض مناهج غيره عليه مادام الاختلاف واضحاً في المنطلق والطبيعة والغرض ؟

وهل يصح للباحثين الجامعيين أن يستسلموا لما (انتهى إليه الفرنج من النتائج العلمية المختلفة) (فيلموا بها وبخاصة في دراساتهم لتاريخ الشرق وأدبه ولغاته) ؟ ومتى كان العلم — إن سمينا تاريخ الأدب علماً — (يلمس عند هؤلاء الناس) وهم متعارضون فيما بينهم أحياناً ؟

أقول : ليس هذا استطراداً ولكنه بيان للون من ألوان التبعية الفكرية المغربية التي يعتز . بها تلاميذ المستشرقين من عمالقة الفكر والأدب المستغربين .

وربما ظن الظان أن المستشرقين كانوا يقتصرون على تدريس مناهج الأدب العربي كما تفيده العبارة السابقة ، ولكن المحاضرات كانت (تلقي في الأدب والتاريخ والفلسفة يلقيها أساتذة مصريون وأوربيون من المستشرقين أمثال جويدي ونالينو)^(٦) .

وسنعرض فيما بعد ، شيئاً من آرائهم ومواقفهم ، وآراء ومواقف الآخرين .
أ — مستشرقون متقدمون :

ولكن الباحثين يعولون على الحملة الفرنسية الأولى بقيادة نابليون بونابرت (١٧٩٨ — ١٨٠١) فإنها (كانت مجهزة بالآثرين والأطبـاء والمؤرخين والمستشرقين والمترجمين اللبنانيين والسوريين ...)^(٧) .

ويذكرون أهميتها في الاجتياح العسكري والزحف الفكري الذي أعده له وسائله المادية من المطابع والنشرات والبيانات ، والوسائل الإنسانية من العلماء الذين رافقوه ، وكان لهم إنتاجهم الضخم المرجعي (وصف مصر) ، وفي مقدمتهم المستشرقون أمثال : (فيلوتو) في الموسيقى ، و (جوير) في الهندسة والبحوث ، و (ديلاپورت) في الجغرافية والتاريخ ...

وإذا كان عام ١٩٠٨م افتتاح الجامعة المصرية فإن العمل الاستشراقي كان أسبق عموماً من العمل الاستشراقي الجامعي بقرون ، ولكنه قائم على منهجيته وإنتاجه وآثاره ، ولذا فإنه يعدّ رصيذاً ثقافياً وأعمالاً متقدمة يمكن للجامعيين الاعتماد عليه والاقتباس منه .

فالمستشرقون الفرنسيون كما سبق القول قاموا بأبحاث ودراسات شتى في اللغات والهندسة والتاريخ والأديان ، وأبرزها (وصف مصر) إلى جانب أعمال بعضهم السياسية .

والمستشرقون السابقون عليهم ، تركوا آثارهم الفكرية مثل : (بوستل) في اللغات وقواعدها ، والرياضيات ، والطبيب (فايته) في الترجمات الطبية والتاريخية ، و (هربلو) المعجمي الموسوعي ، و (انطوان جالان) الأثري الاستاذ ... ومثلهم الإيطاليون الذين كتبوا عن مصر مثل الأب (اونجاريللي)^(٨) Unyarelli,P و (روزليني)^(٩) Rosellini,N . أما طلائع المستشرقين من سنة (٩٣٨)م والذين بلغوا حوالي ثلاثين مستشرقاً من جنسيات متعددة فقد زوّدوا المستشرقين الفرنسيين وغيرهم بترجمات وإحصائيات ومعاجم ودراسات علمية وأدبية وفلسفية ودينية ، كما كان لهم أكبر الأثر في تطور الاستشراق عامة والجامعي خاصة .

ب — مستشرقون في الجامعة المصرية :

فمنذ إنشائها (١٩٠٨) استقدم (جويدي) Guidi,L الإيطالي لتدريس الأدب جغرافياً وتاريخياً ، و (سانتيلانا) Santillana, D لتدريس تاريخ الفلسفة وكان إيطالياً أيضاً^(١٠) ، ومن الفرنسيين (روجيه) Rougiea,L في الفلسفة و (كليرجه) Cleaget,M في الجغرافية ، وبعد سنة انتدبت (نلينو) Nallino, C,A لتدريس الفلك أولاً ثم الأدب العربي^(١١) .

وسنفصل بعض الشيء ترجمة استاذين أحدهما . فرنسي والآخر إيطالي .

فالفرنسي هو (كازانوفاف) Casanova,P المتوفي ١٩٢٦ ، فقد انتدبته الجامعة (١٩٢٥) استاذاً لفقه اللغة العربية (عن العلاقة بين الأدب العربي

والغربي) (١٢) ، ووجه عنايته إلى مصر الإسلامية ومن أعماله : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، وإعادة تخطيط مدينة القسطنطين (١٩١٣) ج ١ ، ثم ج ٢ ، ثم ج ٣ مع الرسوم والخرائط ، والأسماء القبطية في القاهرة وضواحيها مع خارطة بالألوان (١٩٠١) ، وعقيدة الفاطميين السرية في مصر (١٩٢١) ، وحريق مكتبة الاسكندرية (١٩٢٣) ...

وأخطر آراء (كازانوف) اعتقاده ببشرية القرآن وأنه من تأليف الرسول وأن أسلوبه مختلف بين المكي والمدني بتأثيرات يهودية . وفي مفاهيمه اتصال بالفكر التلمودي وله صلته بدوائر الاستعمار والكنيسة ، وكان د / طه حسين معجباً بشخصيته ، وتفسيره القرآن وأنه اقدر على فهم القرآن وتفسيره من علماء المسلمين (١٣) وسيأتي تفصيله ...

والإيطالي هو (سانتيلانا) السابق (١٨٥٥ — ١٩٣١) واشتهر بمعرفته بالإسلام وفلسفة المسلمين ، ودعاه المقيم الفرنسي في تونس للاشتراك في لجنة إعداد القوانين التونسية (١٨٩٦) فوضع القانونين المدني والتجاري معتمداً على الشريعة الإسلامية ؟ ومنسقا بحسب القوانين الأوربية ، وله معرفة واسعة بالمذاهب المالكي والشافعي ، ثم استدعته جامعة رومة لتدريس القانون الإسلامي فيها .

ومن أعماله : القوانين المدنية والتجارية (١٨٩٨) ، والفقهاء الاسلامي المالكي ومقارنته بالمذهب الشافعي ، وزيد بن علي ونظام الزيدية (مجلة الدراسات الشرقية ١٩١٩) .

وخطورة (سانتيلانا) استخدام معارفه الجامعية من أجل السياسة الإستعمارية ومصالحها في الشرق والغرب العربيين .

وهناك جامعيون آخرون من إنكلترا وأمريكا وألمانيا وبلجيكا أقل شأنًا وأضعف أثرًا .

إن استقدام أو انتداب مثل هذا العدد الضخم من المستشرقين منذ إنشاء الجامعة المصرية يؤكد على سير الجامعة في خط تعليمي تربوي حديث يواجه

ومناهض أحياناً للجامعة الأزهرية العريقة ، وكان تمكهم من العربية كتابة وإلقاء
ساعد على تخرج (نخب من الأساتذة المصريين) الذين نعلم من أفكارهم وآثارهم
مناوأة كثير منهم للأساتذة الأزهريين في أفكارهم وآثارهم^(١٤) .

وسنذكر بعض شبهاته الجامعية ...

٢ — مستشرقون في المعاهد العليا بدمشق وغيرها :

ذكر د / محمد البهي عن المستشرق الأمريكي (الفردكارلتون) Carlton,A ،
أنه كان مديراً لكلية (حلب) ، ثم عين نائباً لرئيس جمعية البعثات الأمريكية في
الخارج^(١٥) .

وعرف أن المستشرق الفرنسي (بلاشير) المشهور عضو المجمع العلمي
العربي بدمشق قدم محاضرة أو محاضرات في الأدب العربي عام ١٩٥٠ فيما
أذكر .

كما عرف أن جميع المستشرقين من الأصقاع الأوربية لم يقوموا بالتدريس
الجامعي السوري مثل زملائهم في الجامعة المصرية ، وإنما احتضنهم المجمع
العلمي العربي حتى زاد عددهم على الأعضاء في كل من الجمعيتين اللغويتين :
المصري والعراقي ، ماعدا المجمع اللبناني .

وإذاً فقد فتح لهؤلاء باب المجمع العلمي وأغلق في وجههم باب الجامعة ،
وذلك انتظاراً للتجربة المصرية وآثارها ، وإبقاء للجامعة بعيدة عن التيارات الغربية
والاستشراقية فكانت أكثر حذراً وحيطة ، وقد أنشئت بعد الجامعة المصرية كلية
الطب والحقوق ثم كلية الآداب وذلك سنة (١٩٢٤)^(١٦) . وأفادت الجامعة
السورية فتجنبت الزواجر والأزمات الفكرية التي وقعت في مصر إبان تدريس
المستشرقين في جامعتها ، فأرسلت البعثات الطلابية إليها وإلى غيرها من الدول
الغربية ، أو شجعت على ارتيادها ، ومن ثم فقد عاد المتخرجون إلى سورية ومعهم
مناهج المستشرقين على أيدي العرب والمستعربين والمستغربين .

وأذكر على سبيل المثال أن معظم الأساتذة العرب السوريين في كلية التربية

كانوا مبتعثين لاتمام تحصيلهم التربوي في البلاد الغربية ، وفي مقدمتها فرنسا ، وكذلك في كلية الآداب مثل : د / أجد طرابلسي ، د / عمر شخاشيرو ، محمد المبارك . ود / شكري فيصل ود / مصطفى السباعي من مصر ، ود / امين المصري من إنكلترا ، ثم د / عمر فروخ من الجامعة الأمريكية في بيروت ، وغيرهم كثير ، أما مديرها حينذاك (١٩٥٠) فكان د / قسطنطين زريق الاستاذ في الجامعة الامريكية ببيروت من قبل ومن بعد .

وبينا كان بعضهم يعدّ المنبر الجامعي موئل العلم والدعوة وكانت لهم جولات ومناقشات مع مستشرقين أعلام ، كان بعضهم الآخر على الحياء بالرغم من فكره الإسلامي ، وبعضهم الآخر يطرح شبهاته الاستشراقية بسبب تلمذته على المستشرقين أو على كتبهم ودراساتهم .

ومهما يكن من أمر فإن فرنسا أقامت جهازاً استشرافياً على مستوى رفيع من الثقافة والمؤهلات والألقاب العلمية ، وهو (المعهد الفرنسي) بدمشق ، حيث استعان بمركز التوثيق العلمي الذي يعد من أغنى المراكز التوثيقية العالمية .

ومثل هذا المعهد^(١٧) الذي يمكن أن يعد مؤسسة عالية للبحث العلمي أو الدراسة الاختصاصية يمكنه أن يؤهل شخصيات وفق خطته وبرامجه ، كما يمكن أن يمد الجامعيين وأمثالهم بمزيد من الدراسات والمصادر والوثائق .

وعلى الرغم من أن مديره (مونتان) Montagne, R (١٨٩٣ — ١٩٥٤) كان ضابطاً بحرياً فإنه أصبح أستاذاً في معهد فرنسا ومديراً لمركز الدراسات الإدارية الإسلامية ، ومجلة إفريقيا وآسيا ، وقام بأعمال فكرية متعددة مثل : نظام القبائل القضائي في جنوب المغرب (١٩٢٤) ، وتطور بلدان الحضارة الإسلامية (١٩٣٨) ، والشرق والغرب وشمال إفريقيا (١٩٥٣) وغيرها .

ومن أعضائه : (سوساري) Sausser, Ed. (١٨٩٩ — ١٩٣٧) وعني باللهجات الدمشقية ، و (جان كانيينو) Cantineau. J (١٨٩٩ — ١٩٥٦) وعني باللهجات بادية الشام حيث قضى بين البدو زمناً طويلاً ، ثم عين استاذاً لفقهِ

اللغات العام واللغات السامية في كلية الآداب بالجزائر (١٩٣٣ — ١٩٤٧) ونشر له المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٣٧) : تأملات في اللهجات العربية ، و (ليسيرف) Lecerf, J (المولود ١٨٩٤) وعني بالحركة الفلسفية المعاصرة في سورية ومصر ، وأدب العامة ، والأدب العربي الحديث .

وربما كان أغزرهم علماً وأخصبهم إنتاجاً د / (سوفاجيه) Sauvaget, J (١٩٠١ — ١٩٠٥) الذي أصبح أمين سر المعهد ، ثم استاذاً لتاريخ الفن الإسلامي في مدرسة اللوفر (١٩٤١ — ٤٤) ، ومحاضراً في اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة باريس (١٩٤٢ — ٤٤) ، ومصنفاً ومترجماً للعدد الوفير من الآثار الدمشقية والحلبية ، وله : قوافل الحج السورية من القسطنطينية (١٩٣٧) ، و : حلب في أيام سيف الدولة (١٩٣٦) ، والآثار الأيوبية في دمشق (١٩٣٠) ، ودراسة عن توسع مدينة سورية (رسالة دكتوراه ١٩٤١) ، والمدخل إلى تاريخ الشرق الاسلامي (١٩٤٣) واختصرو بالعربية د / صلاح الدين المنجد بعنوان : رائد التراث العربي ونشرته دار العلم للملايين (بيروت ١٩٤٧) ، وقصور الأمويين بدمشق ... وأعمال أخرى كثيرة .

ان العمل الاستشراقي الجامعي يضعنا أمام قضايا ثقافية خطيرة :

أ — اهتمام الأعلام المستشرقين ومن ورائهم دولهم بالقطاع الجامعي .

ب — تأثير العرب والمستغربين السلبي والايجابي ثم أثر ذلك في تفكيرهم وإنتاجهم القيادي .

ج — مستويات الذروة في الإنتاج الفكري العالمي للاستشراق الجامعي دعاية اعلامية وبعضه حقيقة واقعة .

وإذا توفي جلّ أو كل هؤلاء المستشرقين وبقيت آثارهم سائدة ومتناولة على الصعيد الإسلامي والإنساني ، فهل نأمل انتقائه وتحليله ورد الزائف بعد نقده ، وقبول السليم منه بعد التعليق عليه ، وذلك على المستوى الجامعي الجماعي ؟ هل ذلك على المجامع والجامعات العربية عسير ؟

أعلام جامعيون :

إن أية مساهمة جادة في هذه الناحية المرجوة لاتقف عند حدود إزالة الشبهات والمفتريات وإنما يمكنها أن تزيل (مفاهيم) استشراقية في الأوساط الجامعية العربية القادرة على أن تشع (المعرفة) الحققة في صفوف عامة الناس وبخاصة في المرافق التي سيتولى الجامعيون مسئوليتها في مستقبل حياتهم .

وتلك لعمرى (الدعوة) (الهادية) التي يؤجر الإنسان على نشرها فيما عناه الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح برواية أبي هريرة : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) (أخرجه مسلم وغيره) إلى جانب تبين حقيقة فكرية ودينية ربما طمست في كثير من الأوقات .

ولذا فإنني أفضل الكلام بقدر على بعض :

١ — أعلام المستشرقين في الجامعات العربية والإسلامية .

٢ — كبرى المفتريات الاستشراقية من الأعلام الجامعيين .

وأورد شبهات خمسة منهم مع الرد عليها ما أمكن . وهم :

١ — كازنوفال الفرنسي وشبهته عن (محمد ونهاية العالم) تشكيكه بآيات من القرآن الكريم .

٢ — سانتلانا الايطالي اليهودي وشبهته في : التشابه بين الفقه الاسلامي والفقه الروماني والأوربي ، وشبهته في فتح الأندلس .

٣ — بروفيسالال الفرنسي اليهودي ، وموقفه المشبوه من عرب الأندلس وإسلامهم .

٤ — كراواس التشيكي الصهيوني ، وإبرازه دور جماعة الإسماعيليين الباطنية ، ونشاط الصهيوني .

٥ — لاووست الفرنسي وتخليطه في فكر ابن تيمية وعقيدته .

١ - كازانوفافرنسي :

ان (كازانوفافرنسي) الذي تقدمت ترجمته حين تحدّث عن القرآن فإنه حاول أن يبرز (البشرية) في مصدره والنحل في آياته ، فقد أراد أن يتر صلة الرسول بالوحي الإلهي ليربطه بالسيرة النبوية ربطاً يلقي ظلال الشكوك والشبهات على صحة النص القرآني وثبوته .

وبنما يبنه التفسير الاجتماعي لسيرة الرسول على هيمنة التفسير المادي وبخاصة الاقتصادي والاجتماعي في دراسات (مونتغري وات) ضمن كتابه (محمد في مكة) ، و(محمد في المدينة) فإن آخرين ينحون المنحى ذاته ، بل ويشنون على جهود (وات) في تذليل الصعاب التي واجهته في دراسته .

فالماركسي (رودينسون) يعرب عن ثنائه على كتاب (وات) بقوله : ولكن كل هذه الصعاب لا تشكل في حد ذاتها هدفاً من أهداف (وات) بل إنها كانت مجرد نقطة انطلاق تسمح بمناقشة المشاكل الحيوية التي هرب أمامها الكثيرون عند رؤيتها ، ولقد واجه تلك المشاكل بعقل مفتوح وبمنظرة جديدة .

ويضيف في مقدمة كتاب (وات) (محمد في مكة) : إنها سلامة العقل وتفتحها ، والأمانة العلمية ومعالجة الجوهر مباشرة ، كل هذا أضاف أهمية إلى كتابه عن « محمد » الذي يشكل شيئاً مهماً في تاريخ الدراسات عن نبي الاسلام^(١٨) .

ويبدو أن التفسير الاجتماعي والمادي لم يرق لـ (كازانوفافرنسي) في كتابه (محمد ونهاية العالم) ، فعمد الى تفسير مسيحي آخر هو سيطرة فكرة يوم القيامة على الرسول ، مثل ماكان يفسره آخرون بسيطرة فكرة الإله الواحد ، أو سيطرة (مشكلته المرضية) كما فعل (بانكاك بلاك ماكدونالد) وغيره .

ومهما يكن اتجاه التفسير الغربي أو الاستشراقي للسيرة النبوية مادياً أو روحياً فإن أي اتجاه فيه لا يحاول تجريد الرسول من الوحي الإلهي عند الماديين وغيرهم فحسب وإنما يحاول ان يربط ذلك كله بالقيم المسيحية الزاهدة عند المستشرقين المتأثرين بها .

وبذلك يمكنهم الطعن بالقرآن والسيرة معاً .

وكازنونا يقول : بقي علينا نحن غير المسلمين حين ننظر الى محمد كرجل عبقرى عادي أن نوضح لماذا أهمل العناية بمسألة لها هذه الأهمية الكبرى ، فنعلن أن السبب في إهمال أمر الخلافة بسيط ، وهو اعتقاده بأن نهاية العالم قريبة ، وهي عقيدة مسيحية محضة ، ومحمد كان يقول عن نفسه : إنه نبي آخر الزمان الذي أعلن المسيح بأنه سيحيي ليتيم رسالته^(١٩)

والقضية هنا وهي عدم النصية على الخلافة ليست ذات أهمية عنده في حد ذاتها ، وإنما المهم هو سيطرة فكرة يوم القيامة القريب فليست إلا محاولة لربطها بالقيم المسيحية من ناحية ، وعدم ثبوت النص القرآني من ناحية ثانية ، وهما من الافكار المنسقة والمفترضة قبل الإقدام على مثل هذه الدراسة والتحليل .

ومع هذا فإن مما يلاحظ عزو هذه القضية الى محمد (كرجل عبقرى عادي) فليس بنبي أو رسول ، وإنما هو عبقرى عادي .

وواضح أن (عبقريته) التي جردته من النبوة على رأى (كازنونا) هي من النوع العادي الذي لا يرقى إلى المستويات العليا في العبقریات . فالصحابة في زعمه هم الذين وضعوا آيات من القرآن منها :

١ — قول تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تَرِيَّتْكَ بَعْضُ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْتَوْفِينَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ (الرعد : ٤٠) . نزعهم أن الصحابة حين رأوا الساعة لم تقم ، وضعوا في صيغة التعبير صورة الشك موضع اليقين ، ولا يستبعد أن الآية كانت قبل التبديل : سنريك بعض الذي نعدهم .

٢ — ثم يقول هناك آيتان يشك في صحة نسبتها الى الوحي النبوي ، والراجح أن يكون أبو بكر هو الذي أضافهما على إثر موت النبي ، فأقره المسلمون على ذلك وهما قول القرآن : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... ﴾ (آل عمران : ١٤٤) وقوله : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ (الزمر : ٣٠ ، ٣١)^(٢٠) وبالمناقشة العامة يمكن القول :

١ — ان فكرة (النصية) تتنافى مع مضمون (الخلافة) فلكل منهما طريقه الدستوري الذي يقف منه النبي موقفاً ، معيناً فالتعارض واضح فيما بينهما ، فإن (النصية) تعنى تحديد اسم أو اسرة لحكم المسلمين وهذا هو (التعيين) الدستوري الذي لا يتلاءم مع (الخلافة) التي تقوم على (البيعة) الإسلامية . ومن دعائم الحكم الاسلامي . أن الرسول عليه الصلاة والسلام يوجه المسلمين الى (الخلافة) ولا يوجههم الى (التنصيب أو التعيين) .

٢ — وفي الآيات التي يعتبرها منحوالة عن الرسول فإن ابن كثير يقول في الأولى : يقول تعالى لرسوله (وإما نرينك) يا محمد بعض الذي نعد أعداءك من الحزبي والنكال في الدنيا ، (أو نتوفينك) أي قبل ذلك (فإنما عليك البلاغ) أي إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد فعلت ما أمرت به (وعلينا الحساب) أي حسابهم وجزاؤهم ...

فواضح هنا بيان الحزبي والعذاب للكفار في الدنيا قبل وفاة الرسول أو بعده ، أو خزيهم وعذابهم يوم الحساب ، حيث ان مقصود القرآن التحقق من عذابهم إن عاجلاً أو آجلاً وبيان واجب الرسول في التبليغ وليس هناك أية إشارة إلى سيطرة نهاية العالم أو يوم الحساب على الرسول في هذه الآية ، فالاستشهاد بها كما يحلو لـ (كازانوف) أن يفعل — في غير موضعه بغض النظر عن صحة مايقوله أو عدم صحته .

ويؤكد هذا تماماً ما ذكره الرازي بقوله : والمعنى : سواء أريناك ذلك أو توفيناك قبل ظهوره فالواجب عليك تبليغ أحكام الله تعالى وأداء امانته ورسالته وعلينا الحساب .

وأما الآيتان الأخريان فالثابت أن آية (الزمر) مكية ، وآية (آل عمران) مدنية ، وإذا كانت فكرة (نهاية العالم) سيطرت على الرسول في مكة ولما ينزل الله تشريعاً كاملاً للحياة فإن هذه الفكرة أو ما يسميه المسلمون : ركن الايمان كان يعيش في حياتهم الدينية والدنيوية بالمدينة المنورة . ليهذب من أعمالهم وتصرفاتهم ، كما كان تعيش معهم سائر الأركان .

فآية (الزمر) تصرح بموت الرسول وموت قومه ، وقد فرق اللغويون بين لفظتي : (مَيِّت) بسكون الياء و (مَيِّت) بتشديد ها : فقالوا : إن الحي الذي سيموت (مَيِّت) بالثقل ، وأما (الحي) فهو (المَيِّت) و (المَيِّت) بالثقل والتخفيف ، واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر :

وليس من مات فاستراح بمَيِّت إنما المَيِّت مَيِّت الأحياء
ونقل الشوكاني في فتح القدر قول الفراء والكسائي : المَيِّت بالتشديد من لم يمَت وسيموت ، والمَيِّت بالتخفيف من قدمات وفارقه الروح ...

واستبعد استحسان بعض المفسرين قراءة غير الجمهور : « مائت ، ومائتون » لكون موته وموتهم مستقبلاً ، وقال : لوجه للاستحسان فإن قراءة الجمهور تفيد هذا المعنى ... ثم قال : ووجه هذا الإخبار الإعلام للصحابة بأنه يموت ، فقد كان بعضهم يعتقد أنه لا يموت ، مع كونه توطئة وتمهيداً لما بعده حيث قال (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) .

على أن كثيراً من المفسرين يسوقون الآية ضمن آيات تبدأ بقوله : وضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ... إلى قوله : تختصمون أو قوله : أليس في جهنم مثوى للكافرين^(٣٢) .

وبينا يقول ابن كثير إن أبا بكر (استشهد) بها مع آية آل عمران عند وفاة الرسول فإن الرازي يصرح بسياقها فيقول : والمراد أن هؤلاء الأقوام وإن لم يلتفتوا إلى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص عليهم والحسد عليهم في الدنيا ، فلا تبال يا محمد بهذا فإنك ستموت ، وهم أيضاً سيموتون ثم تحشرون يوم القيامة وتختصمون عند الله تعالى ...

فالمستشرق (كازانوف) الذي يعدّ نفسه ويعده بعض كبار تلامذته من أعظم المفسرين لم يفرق بين اللفظتين في الاستعمال اللغوي الدقيق أولاً ، ولم يربط الآية بسياقها وسباقها ثانياً ، ثم لم يدرك النسق الفني الصوري والداخلي في الآيتين بالمقارنة مع مثيلاتها ثالثاً .

أما آية آل عمران (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ...) فقد اتفق المفسرون ماعدا (كازانوف) ! على أنها تثبت لعزائم المسلمين في غزوة أحد ، وتقبيح (اليهم انصراف من انصرف منهم من عدوهم وانهمامه عنهم) ، ونقل الطبري أكثر من عشر روايات تتفق أنها نزلت في ذلك ، كما نقل ابن كثير ثبوتها في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من كتب الاسلام من طرق متعددة تفيد القطع .

مثل ما نقلوا اتفاقهم على استشهاد أبي بكر بها عند وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام التي افقدتهم المصيبة ذكرها .

إذاً فقد خرج (كازانوف) عن إجماع العلماء والمفسرين والمحدثين وأصحاب السير إذ لم يكن منهم ، فما قيمة شكه أو تشكيكه في مقابلة اليقين العلمي ؟ ثم إذا تأملنا قليلاً في نص الآية فإننا نجد ما يدحض شكه ذلك ، فالآية تصرح بشيئين : القتل ، فالموت ، مما يتناسب مع ما اتفق عليه العلماء في سبب نزول الآية .

وكذلك قوله : وسنجزي الشاكرين بصيغة الجمع تصریح من الله الذي يجزي من شكر ، ولا يصح مثل هذا التعبير ولا مثل هذا الجزاء من إنسان ، فهما من اختصاص الله لا يمكن لأبي بكر ولا لغيره أن يفتات بمثله . ثم إن الآية التالية (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً ...) تؤكد معنى الآية المعنية بما لا يدع لريب .

فالمستشرق (كازانوف) أعرض عن اجماع المسلمين أولاً ، ولم يتأمل بنص الآية التي تصرح بالقتل والجزاء على الشكر ثانياً ، ولم يفهم الآية ضمن الآيات التي تليها وتؤكد معناها ثالثاً .

٣ — وفي القرآن سور وآيات تنعى رسول الله ﷺ إشارة وتصريحاً فمنها سورة (النصر) كما ورد في الصحاح ، والرسول قد نعى نفسه في خطبة الوداع كما هو مشهور ، فهل يعني ذلك أن مانزل من القرآن خلال هذه الفترة التي تقارب السنة

منحول أيضاً ؟

وإن أبا بكر لم يستشهد عند وفاة الرسول بأية آية منها حيث نقلت جميعها بالتواتر فهل نحكم عليها كلها بالنحل لأنها تفيد نعي الرسول ؟ ومن نحلها أيضاً غير أبي بكر من الصحابة ؟

وهناك آيات مثورة ضمن سورها تصرح بموت الرسول منفصلاً أو مقترناً مع أحوال أخرى .

فإنه يأمر رسوله بقوله : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) (الأنعام : ١٦٢) .

ويعاتب رسوله ليثبتته على الدعوة ، وعدم الركون إلى الكفار (إذاً لأذفناك ضعف الحياة وضعف الممات) (الاسراء : ٧٥) ، ويقرر قضية البشرية الفانية بقوله (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مئ فهم الخالدون) (الانبياء : ٣٤) ، كما يقرر القرآن أحقيه الموت على سائر الأنبياء . فعيسى عليه السلام يؤمن به قومه قبل موته (وإن من أهل الكتاب ليؤمننّ به قبل موته ...) (النساء : ١٥٩) .

وإبراهيم عليه السلام يعدد من خصائص الربوبية : (والذي يمتيني ثم يحين) (الشعراء : ٨١) ، وآيات أخرى تنبه الى نهاية الأحياء بالموت ، ثم مصيرهم إلى الجنة أو إلى النار .. وفي هذه القضية تشترك الكتب المقدسة جميعاً بالتنبيه إلى قصر الحياة الدنيا والزهد فيها ، وقضاء الله بالموت على جميع الخلائق .

٢ — دافيد سانتلانا :

والإيطالي (سانتلانا)^(٢٢) السابق David Santillana (١٨٥٥ — ١٩٣١) هو اليهودي السياسي الجامعي ، وضمن هذه الأطر تستمر حياته الدينية والسياسية والفكرية ، فقد ولد من أسرة يهودية في تونس ومن أصل إسباني قديم لجأت إلى تونس واستقرت بها ، لكنها كانت تحمل الجنسية الإنكليزية ، وكان أبوه قنصلاً لبريطانيا في تونس .

وقد ظهرت مقدرته السياسية في السادسة عشرة من عمره حين أصبح سكرتير اللجنة الدولية لشئون تونس المالية ، بيد أنه استقال تضامناً مع نائب رئيس اللجنة بسبب حادث سياسي ، وبعد حصوله على الإجازة في الحقوق استدعي ليكون مستشاراً لهيئة الدفاع عن (أحمد عراقي) أثناء محاكمته عقب احتلال إنكلترا مصر ١٨٨٢ والحكم عليه وعلى رفاقه بالإعدام في ٤ ايلول (ديسمبر) ١٨٨٢ .

وفي سنة ١٨٩٦ دعاه المقيم الفرنسي عضواً في اللجنة المكلفة بتقنين القوانين التونسية باعتباره متخصصاً بالشرعية الاسلامية حيث اقتصر عمله في القسم المدني وبخاصة في (الالتزامات) وصاغه في ٢٤٧٩ مادة ، وألح دون برهان صريح إلى إمكان أن تكون بعض قواعد الفقه الاسلامي مستمدة من القانون الروماني . وهي شبهة لا تستند الى أي دليل تاريخي أو فقهي . فالفقهاء لم يدرسوا القانون الروماني ولم يجعلوه مصدرهم في تأليفهم ، ولم تكن طبيعة أعمالهم الفقهية ولا مصدرتها مثل ما كانت عليه في القانون الروماني .

وإن وقع بعض التشابه في قاعدة أو مسألة أو عدد منها فهو ناتج عن الاتجاه الاجتماعي في بعض الفروع التي يمكن أن تكون استجابات فطرية بشرية ، مثل حرمة الدماء والأعراض والأموال ، والبيئة على المدعي ... وغيرها من المسائل التي اتفقت العقول والشرائع على حفظها ورعايتها .

ومثل الشبهة السابقة شبهة أخرى كان قد أخلص لها حياته في كتابه : نظم الشريعة الاسلامية (ج ١ روما ١٩٢٦) وتتلخص في التشابه القوي بين الشريعة الإسلامية والقوانين الأوربية ، حتى إنه قرر أنه من الممكن تقنين الشريعة الإسلامية على نحو مناظر — وإن لم يكن مساوياً للقانون الروماني ..

والعجيب أن (سانتلانا) يحاول أن يقيم تشابهاً بين الإسلام (أو الفقه الإسلامي) مرة بالقانون الروماني القديم ومرة أخرى بالقانون الأوربي الحديث .

ولكن هذه المحاولة لا يقوم عليها دليل أو حجة سليمة في كلتا الحالتين .

لأن القوانين الأوربية امتداد للقانون الروماني وعلاقته بها واضحة في القانون

الفرنسي والانجليزي والألماني ... وطبيعة كل منهما ، وبيئته ، وعمالقة فقهاؤه ، واعتقاد المتأخرين منهم على السابقين في المصدرية والتقنين ، وكثير من الأحكام ترفض مثل هذه العلاقة وامتدادها عبر التاريخ القديم والحديث .

ولم يكن عمله الجامعي في (روما) و(القاهرة) نهاية أو محصلة أعماله السياسية والدينية والاستعمارية وإنما كان في خضم هذه الأعمال وأثناءها .

فقد كان من قبل ومن بعد على الصورة التي تتجلى فيها روحه الاستشراقية ، وتطلعاته التشريعية التي خدمت انكلترا وإيطاليا وفرنسا معاً .

وفي الوسط الجامعي حيث كانت مقدرة اللغوية العربية التي أتقنها وهو في تونس تزيد من شهرته بين طلابه ، فقام بمحاضراته في الفلسفة الإسلامية موازناً بالفلسفة اليونانية ، وبما سبقها عند السريان من دراسات في الفلسفة اليونانية .

ولكن هذه المحاضرات بقيت مخطوطة غير صالحة للنشر ، وإن كان الشيخ مصطفى عبد الرازق يشير إليها وينقل بعض المواضع منها حسب مذكره في كتابه : التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (القاهرة ١٩٤٤) .

فمن العسير التنويه بما فيها من أخطاء وشبهات تاريخية وفكرية وبخاصة إذا أدركنا شغف (سنتلانا) بالحركة الصوفية ورجاها ومبادئها ، وربطه ، بالتصوف اليوناني الأفلوطيني والتصوف المسيحي .

وعلى الرغم من أن الجامعة طلبت إليه الاستمرار في التدريس لأعوام تالية فإنه آثر العودة الى روما التي طلبت إليه أن يضع إمكاناته العلمية التشريعية في خدمة وزارة المستعمرات في القطر الليبي إبان الحكم الإيطالي الاستعماري .

وواضح هنا فعالية بعض العوامل الجامعية المصرية في استبقاء (سانتلانا) محاضراً فيها ، وقد كانت على علم بيهوديته واتجاهاته الاستعمارية .

ولكن الأوضح من ذلك خدمته الأغراض الاستعمارية في البلاد العربية سواء كانت في رُحاب الجامعة أو كانت في رحاب القانون والتشريع خارجها ، وذلك في خطورة ثلاثية الأبعاد : اليهودية والجامعية والاستعمار .

ولارب أن معرفته الواسعة بالمذاهب المالكي والشافعي قد أفاداه لافي تدريسه القانون الإسلامي في جامعة روما ووضعه القوانين المدنية والتجارية للحكومة التونسية وحسب وإنما في بحوثه الفقهية والشرعية الأخرى التي لها صلة بالاتجاه السياسي . فقد ترجم الجزء الثاني من مختصر خليل بن إسحاق إلى الإيطالية (١٩١٩) ، وهو المعروف والمشهور ببيان الحقوق المدنية والجزائية والقضائية في المغرب ، وذلك من ترجمة (اغناطوس جويدي) الجزء الأول منه ، كما كتب عن : الخلافة والسلطان في الشرع الاسلامي (الشرق الحديث : ٤ - ١٩٢٤) حتى ان كتابه : الفقه الاسلامي المالكي ومقارنته بالمذهب الشافعي . عدّ أكمل وأصدق مرجع في الحقوق الإسلامية (جزآن : ١٩٣٨ ، ١٩٤٣) ! .

وهل من غرابة أكثر من أن يحاضر (سانتلانا) في تاريخ الفلسفة (١٩١٠) في الجامعة المصرية ثم يعكف على تخصص فقهي قانوني أبعد مايكون عن اتجاهه الفلسفي ؟

إن شهرة (سانتلانا) بالفقه الإسلامي بعد إحرازه الدكتوراه في القانون يخدم روحه اليهودية السياسية ، كما تخدمها محاضراته الثالفة في تاريخ الفلسفة الاسلامية أية خدمة .

أما الفقه الاسلامي فهناك تعارض مع القانون الروماني في المصدرة والبيئة ورجال القانون ومسائله والأحكام المترتبة عليها مما لايدع مجالاً لأية علاقة مشابهة بينهما .

وأما القوانين الأوربية فقد تكون متأثرة بفقهاء قرطبة والأندلس وصقلية وبطرائقهم في استنباط الأحكام وبعض مسائلهم الاجتهادية مما جعل بعض النظائر الفقهية تبرز في المجالات القانونية والفقهية .

ومهما يكن من أمر فإن الروح السياسية التي كانت تدفع (سانتيلانا) الى مثل هذه الشبهة بعد العمل على تقنين أحكام مدنية وتجارية في تونس وغيرها ، تحاول أن تخدم الأغراض الاستعمارية من قريب أو من بعيد .

ولا أدل على ذلك من أن الحكومة الإيطالية التي جعلته يشغل كرسي الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة روما من ١٩١٣ لجأت إليه في وضع التشريعات الخاصة بـ (ليبيا) فكلفته وزارة المستعمرات الإيطالية هو واجنستيو جويدي ، بترجمة وشرح (مختصر خليل) في الفقه المالكي إلى الإيطالية بعد أن ترجم إلى الفرنسية ، وقد ظهرت الترجمة الإيطالية ضمن مطبوعات وزارة المستعمرات .

ومع كل ماسبق فإنه على الرغم من أنه أثبت في تأليف كتابه السابق (نظم الشريعة الإسلامية بحسب مذهب مالك مع مراعاة المذهب الشافعي) طريقة تختلف عن طريقة الفقهاء والمسلمين فإن ترتيبه المادة الفقهية وفقاً لما رأى أنه التطور المنطقي لمبادئ الفقه الإسلامي بعيداً عن أساليب المسلمين من الفقهاء والأصوليين ، كانت موضع اعتراض لآمن المسلمين وحدهم وإنما من زملائه المستشرقين أمثال (برجستريس) في نقده الكتاب (في مجلة OLZ ١٩٢٩) حيث قال : إنه أول الفقه الإسلامي تأويلاً رومانياً .

وإذاً فإن الدراسات الفقهية لديه أخذت طابعين .

أحدهما - طابعا استعماريًا في كل من تونس وليبيا ضمن القواعد التشريعية والفقهية التي حاول الاستعمار نشرها والعمل بها في مسائل وأحوال تتفق مع أغراضه ومصالحه وعلى الأقل : في أحوال ومسائل لا تتعارض مع أغراضه ومصالحه .

وثانيها : طابع الإحياء الروماني في تقنين الأحكام العلمية سواء كان ذلك في ربط الفقه الإسلامي أو (الشريعة الإسلامية) به من ناحية ، وفي طريقة تأليفه وأسلوب تصنيفه الغريب عن طريقة المسلمين من ناحية ثانية .

وفي كلتا الحالتين فإن (سانتلانا) غارق في السياسة الاستعمارية بمقدار غرقه في الثقافة الأوربية قديمها وحديثها .

وفي هذا التصور الكبير منطلق رحب في عمله الجامعي الذي استقدم له وليقوم به في الجامعة المصرية منذ سنة ١٩١٠ ، ولكن لآمن أجل أن يدرس الفقه الإسلامي على أية طريقة من الطرق الإسلامية أو الرومانية وإنما ليحاضر في (تاريخ

الفلسفة الإسلامية) طول العام الدراسي ١٩١٠ — ١٩١١ ، باللغة العربية شأنه شأن (نيلنو) و (ماسينون) وسائر المستشرقين الذين دعوا للتدريس في الجامعة المصرية القديمة .

٣ — ليفي بروفنسال في المغرب العربي :

وربما كان أوضح مثال عن الجامعيين في المغرب العربي (ليفي بروفنسال) Evariste levi-Provençal (١٨٩٤ — ١٩٥٦) فهو الفرنسي واليهودي والاستعماري والأستاذ الجامعي .

ولد في الجزائر العاصمة من أسرة يهودية وشب على أيدي كبار المستشرقين الفرنسيين من أمثال : (رينيه باسيه) و (جيروم) بالإضافة إلى دراسته الجامعية طالباً في جامعة الجزائر . وبعد قيام الحرب العالمية الثانية وهزيمة فرنسا في ١٩٤٠م صدرت في فرنسا قوانين ضد اليهود ، ولكن تدخل بعض أصدقائه الفرنسيين أعفاه من تطبيق القوانين عليه ، وعُين اسماً أستاذاً في كلية الآداب بجامعة (تولوز) .

واستطاع بذكائه الماكر أن يخفي مشاعر اليهودية على الرغم من تورطه في كثير من كتاباته في الإساءة إلى الإسلام والنفور من مجتمع المسلمين ، مما حقق له ولأمثاله لمعاناً وشهرة في مجتمعاتهم وبين قومهم .

ومن نشاطاته العسكرية الاستعمارية التحاقه بالجيش الفرنسي في الشرق ، وكان أن أصيب بجروح في معركة (الدردنيل) الشهيرة ، وبعد أن عولج منها أرسل إلى (مراکش) حيث عهد اليه بقيادة موقع وادي (ورجلة) بالقرب من حدود الريف المغربي .

وظهر ذكاؤه الماكر في تأييد ثورة الجزائر فيما بعد في سنواتها الأولى ، وذلك على الرغم من وجهته الاستعمارية الفكرية والعسكرية .

كما ظهر أيضاً في تكذيب زملائه المستشرقين من أمثال (دوزي) و (بلاثيوس) و (فليان) في مقدمته التي كتبها لكتاب : تاريخ قضاة الأندلس ، لأبي الحسن

البناهي ، وقرر فيها أن أخبار القضاة الثلاثة (موضوع التكذيب) صحيحة^(٢٣) .
ومع هذا فإن السياسة الاستعمارية الفرنسية كانت تعكس أبعادها في كتابات
المستشرقين الفرنسيين التاريخية مهما تظاهروا بالعلمانية والموضوعية .
وفي حقيقة الأمر نجد أن (بروفنسال) ومن ورائه غيره من المستشرقين الفرنسيين ،
كان يعكس ماتوصل اليه المؤرخون الفرنسيون الاستعماريون للمغرب في تاريخه
للأندلس .

ظهرت الأبعاد الاستعمارية في نظرية (الصراع القبلي) بين العرب والبربر باعتبار
ذلك قوة اجتماعية أساسية في التاريخ^(٢٤) ، ومن ثم كان كتاب (بروفنسال) :
تاريخ المسلمين في اسبانيا ، برغم اسهامه المؤكد في فترة تاريخية لاتزال بحاجة
الى مزيد من الدراسة من نواح متعددة — ينعكس كعمل تاريخي .. في افتراضات
تظهر في كتابه من قبيل سيطرة (القبيلة) باعتبارها قوة ذات حركة ديناميكية
اجتماعية في الأندلس^(٢٥) .

ويبدو الفكر الاستعماري في الروح الاستشراقية العلمانية التي تظاهر فيها
بدراسته الأندلسية ، كما يبدو من خلال تركيزه على البربرية خصوصا والقبيلية عموماً
في السيطرة على الحياة الاجتماعية ، وذلك ليعزز للفرنسيين مكانا القوة والضعف
عند المغربين من ناحية — ويبين المداخل الاستعمارية الهامة والممكنة للنفوذ
الفرنسي في بلادهم .

وإذا تجاوزنا نظريته القبيلة مثل تجاوزنا اشتراكه في معارك فرنسية استعمارية
داخل المغرب العربي وخارجه فإن الباحثين المسلمين ينهون بعدد من الشبهات
الحاطقة التي تساهم جميعا ، في الغزو الفكري الاستشراقي .

١ — اهمال البعد الديني في انتشار الإسلام السريع والمبكر في العالم حينذاك
وبخاصة في الأندلس والمغرب العربي : ويرجع الباحثون المسلمون ذلك الى ظاهرة
العلمانية التي كانت منطلق الكثير من المستشرقين الذين يركزون على أبعاد أخرى
من مثل : الانحلال الاجتماعي ، وروح الاعتداء التي كانت سمة من سمات البدو

الأعراب ، وت فوق الأسلحة التي كانوا يستعملونها وعدم الاستقرار الداخلي لمملكة القوط ... وذلك على عكس ما فعله (ماسينون) و (بلاسيوس) من اعتبار العامل الديني حاسماً في الفتوحات الإسلامية المبكرة (٢٦) .

٢ — الاضطراب في تصوير المجتمع الأندلسي : وهو واضح من تقسيم (بروفنسال) السكان إلى أربع فئات أو أجناس هم : العرب ، والبربر ، وأهل البلاد الذين دانوا بالإسلام ، واليهود الذين أسلموا ... ولكنه يعود مرة أخرى فيقسمهم تقسيماً آخر ، هم : أبناء الأسبان الذين دخلوا في طاعة المسلمين صلحاً وأسلموا ، وأبناء الأسبان الذين دخلوا في طاعة المسلمين عنوة فأصبحوا بحكم الفتح أسرى ثم أسلموا ، وأبناء المستعمرين الذين أسلموا بعد الفتح ، وأبناء أسرى النصارى الذين أتت بهم الفتوحات والغزوات ثم دانوا ، بالإسلام ويؤكد (بروفنسال) أن هذا التقسيم الأخير هو الصحيح ...

ولكنه في تقسيمه الأول أسقط النصارى الذين ظلوا على دينهم ، وكانوا يشكلون نسبة كبرى من السكان ، كما أسقط اليهود الذين ظلوا على دينهم ... وتمتع الفريقان : من أسلم منهم ، ومن بقي على دينه بحرية الفكر والعقيدة ، وتولوا المناصب الكبرى التي منها الوزارة ، وفي تقسيمه الثاني : نسي العرب والبربر وأسقطهم من جملة السكان الأندلسيين (٢٧) .

٣ — العرب طبقة أرستقراطية خاصة في الأندلس : وفي هذا مخالفة لتاريخ (ابن القوطية) الذي يسوق أخباراً عن القادة العرب وأمرائهم ، يطلبون أراضي ليعيشوا منها ومن غلاتها ، بينما كان الموالي على مدى ثلاثة قرون إلى آخر الخلافة الأموية يشكلون هذه الطبقة الأرستقراطية المستعالية .

والخطأ الذي وقع فيه (بروفنسال) هو استنتاجه أن العرب في المغرب كانوا يشكلون الصفوة مثل إخوانهم في المشرق ، وزاد غيره فوصف العرب أنهم غاصبون مستبدون (٢٨) .

ولكن القضية في نظري ليست تابعة لجنس أو لأسرة بقدر ما هي تابعة إلى

إشباع الأفكار بأخلاقية الإسلام وتمثلها في الحياة الخاصة والعامة .

فالمولى أو العربي لا يقوم أي منهما بتصرفات السادة وكبرياء القادة إلا حين تضعف في نفسه القيم الإسلامية التي انطلق من أجلها فاتحاً ومنتصراً ، ولا يقوم بتصرفاته المعتادة وأدى منها إلا حين تنمو في نفسه مسئوليات الجهاد والحكم الإسلاميين .

والأمير الأندلسي وإن كان عربي الأرومة فإن معظم بطانته وأكثر جنده من غير العرب ، أو خليط منهم ومن غيرهم يقر بهم العدل والإحياء ويحكم بينهم بحكم الإسلام .

فالتزعة ليست عنصرية في غالب الفترات الأندلسية وإنما هي نزعة فكرية يعيش المسلمون عرباً وبربراً وغير المسلمين في رحابها الشامل .

ولا أدعي أن هذه سيرة متبعة وسنة دائمة في جميع العهود والأسر والأمراء وإنما هي طريقة سائدة في نفوس الأندلسيين تطبق أحياناً وتهمل أحياناً أخرى .

٤ — كراهية المسلمين انتشار الاسلام : فيينا يقرر (بروفنسال) أن العرب الفاتحين كانوا يكرهون انتشار الاسلام لأن انتشاره يضر ببيت المال بسبب نقص (الجزية) يرى آخرون أن العرب كانوا يجبرون الآخرين على الإسلام بالسيف . والحقيقة الإسلامية والتاريخية تبعد المسلمين من أن يلجئوا إلى مثل هذه الأغراض وقد تعمقت معاني الجهاد والفتح وأغراضه في نفوسهم الا ما كان من روايات إن ضعفت بعضها فإن بعضها الآخر لا يرقى الى القبول تباتاً ، وهي من دسائس (المستعمرين) .

وقد يزداد الأمر وضوحاً حين نعلم أن سلطان الفقهاء وخضوع المسلمين قادة وأفراداً إلى الأحكام الفقهية كان مستمراً في معظم الأوقات ومهيمناً على مرافق الدولة والحياة بغض النظر عن فترات تفلتت من زمام الحكم الفقهي الإسلامي ، فلم يقتصر ضررها على الأندلسيين غير المسلمين وإنما شملهم وشمل المسلمين أيضاً ، وبخاصة حين ركنوا الى الدعة والبدخ وتفرقت بهم السبل وقعدوا عن الجهاد

العام ضد الفرنجة .

ومثل هذه الشبهات الخاطئة كانت تطرح على الصعيد الجامعي مثل ما طرحت في الإنتاج الفكري التاريخي . فهي شبهات غازية يشجع لها الاستعمار لينال من التاريخ الإسلامي مثل ما ينال من وحدة المسلمين وقيمهم الدينية في حاضرمهم .

ومن الجدير بالذكر أن (بروفنسال) كان ذا نشاط كبير في العديد من الجامعات العربية والفرنسية .

ففي سنة ١٩٢٠ عين استاذاً في « معهد الدراسات العليا المراكشية » في الرباط ، وفي سنة ١٩٣٥ عين أستاذا للتاريخ الاسلامي في كلية الآداب بجامعة الجزائر ، وفي سنة ١٩٤٤ عين أستاذ للدراسات العربية في كلية الآداب (السوربون) بجامعة باريس ، واستمر في هذا المنصب حتى وفاته .

إن مايزيد عن خمس وثلاثين سنة قضاها (بروفنسال) في رحاب الجامعة العربية والفرنسية لم تشغله عن تأسيس مجلة Arabica عام ١٩٥٤ المتخصصة في الآداب العربية والعلوم الاسلامية والتي لا تزال تصدر حتى اليوم .

كما أن كتابه الذي اشتهر به : تاريخ إسبانيا الاسلامية في ثلاث مجلدات (١٩٤٤ — ١٩٥٣) كان من أواخر المؤلفات المغربية والأسبانية .

فقد سبقه : وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين (باريس ١٩٣٨) ، والمخطوطات العربية في الأسكوريال (١٩٢٨) ، والجزء الثالث من : البيان المغرب لابن عذارى (١٩٣٠) ، و : إسبانيا الإسلامية في القرن العاشر (١٩٣٢) ... وكتب مغربية واسبانية أخرى ، ولا يفوتنا أن نذكر له آثاراً أخرى بعيدة الصلة نوعاً ما عن الدراسات الأندلسية والمغربية مثل : الاسلام في الغرب (١٩٤٨) ، ونسب قريش لمصعب بن عبد الله الزيري (١٩٥٣) و : جمهرة أنساب العرب : لابن حزم الأندلسي ... السابق . (وقد كوفي على بلائه في الحرب وجهوده في الاستشراق — إذ عد المرجع الأول في الغرب بتاريخ الأندلس ،

وأتم في دائرة المعارف الإسلامية ما كان بدأه (زايولد) عن الأندلس — بأوصاف ريفية ، وعضوية جمعيات عدة ، منها المجمع الإسباني ، والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية) وترجم له زملاؤه وفي مقدمتهم (بلاشير) (مجلة أرابيكا ٣ / ١٩٥٦) .

٤ — بول كراوس Kraws, -P (١٩٠٤ — ١٩٤٤) تشيكي سياسي جامعي صهيوني ، بدأ نشاطه الاستشراقي بترجمة حياة (جابر بن حيان) (برلين ١٩٣٠) ، ثم تابعت أعماله عنه وعن ابن الراوندي ، ومحمد بن زكريا الرازي (١٩٣٥) وأخبار الحلاج بمساعدة ماسينون (١٩٣٦) ، ونشر أربع رسائل للجاحظ مع مقدمة (١٩٤٣) ، وكتب في دائرة المعارف دراسات عن : المستنصر ، والراوندي ، وابن جبير .

ويبدو نشاطه الاستشراقي في :

١ — محاضرات في نقد التاريخ أشهرها : الجديد في التوراة ، وكتابة من الرسول . وبحثاً بعنوان : أفلوطين عند العرب ، ألقاه في الجمعية الجغرافية ضمن محاضرات أو (اجتماعات) معهد مصر ١٩٤٢ ، ومحاضرة عن الجاحظ في الجمعية الجغرافية ١٩٣٧ .

٢ — مقالات في مجلة (الثقافة) عن ابن المقفع ، وتاريخ الفلسفة والعلوم لدى المسلمين .

وذلك ضمن عنوان من منبر الشرق (يكتب فيها مقالات بسيطة عن بعض المخطوطات العربية وما يشبه ذلك ، ولكن ليست لها أية قيمة علمية) ، ومقالاً في مجلة كلية الآداب عن كتاب الأخلاق لجالينوس (١٩٣٩) .

٣ — تدريس اللغات السامية في الجامعة المصرية (١٩٣٦) ولم ينقطع عنه حتى انتحاره ، وقبله محاضرات في المدرسة العلمية للدراسات العليا (فرع العلوم الدينية) بباريس (١٩٣٣) وفي المعهد التاريخي للعلوم في السوربون .

خلف (إسرائيل ولفنسون) اليهودي المعروف بعد خروجه من كلية الآداب

(١٩٣٧) في تدريس السريانية ثم العبرية ثم فقه اللغة العربية ، وأخيراً حول تأثير التراث اليوناني في العربية ، على طلاب (الماجستير) ، ومعها : قراءة وشرح بعض النصوص العبرية في (الكتاب المقدس) (١٩٣٨ — ٤٢) .

٤ — محاولته تنعيم وتنظيم أسفار الكتاب المقدس بإيجاد تلاوات صوتية خاصة بها ، وذلك بسبب فكرة خطرت بباله ، وهي أن النصوص شعر وليس بنثر ، وذلك في عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ أى قبيل إنتحاره ، وراح يلقي المحاضرات في تأييد فكرته في القاهرة أولاً خريف ١٩٤٣ ، ثم في القدس بعد ذلك في يناير (كانون ثاني) ١٩٤٤ ، وقد هوجم في القدس هجوماً عنيفاً .

٥ — تركيز بحثه على الكيميائي العربي جابر بن حيان (ت ٨١٥ م) وذلك في عدد من المقالات والكتب مثل : تحطيم أسطورة جابر بن حيان ، و : مختار رسائل جابر بن حيان ، و : جابر بن حيان : إسهام في تاريخ الأفكار العلمية في الإسلام (بالفرنسية) ... ولكن بحثه الأول الذي نشو ١٩٣٠ انتهى به الى (القول بأن الرسائل العديدة المنسوبة الى جابر بن حيان هي في الواقع من تأليف جماعة من الإسماعيلية) .

وينوه (الدوميلي) الإيطالي في كتابه (العلم عند العرب) (٢٩) بأسطورة نسبة بعض الرسائل إلى جابر بن حيان في الكتب اللاتينية وفي الكتب العربية ، ويفصل الكلام على دور الاسماعيلية العلمي الذي لم يكتب له الظهور بأسمائهم وأعيانهم كما عرف عن العلماء السنيين وذلك لأسباب سياسية معروفة .

ثم يعرض (الدوميلي) قول (كراوس) : ... كما نجد في هذه الكتب (المنسوبة الى جابر) وهي تشبه في ذلك رسائل إخوان الصفا التي تستمد من نفس (كتاب الطبيعة لأرسططاليس) ، وهذا يؤكد مرة أخرى أن هذه المجموعة لا يمكن أن تكون صنفت قبل القرن الثالث الهجري ، وزيادة على ما ذكر يبدو أن للكتب المنسوبة الى جابر علاقة قوية بالحيط الوثني المتبحر في العلم في منطقة « حران » .

وفي الواقع تشتمل هذه الكتب على نقول عن الصائبة ، تصور جدلهم ومناقشاتهم حول مسائل ميتافيزيقية مختلفة^(٣٠) .

ولكن المتبع للأعمال التي سبقت (كراوس) توضح أن أستاذه (يوليوس روسكا) (١٨٦٧ — ١٩٤٩) وقد اختص بالكيميائي العربي محمد بن زكريا الرازي (٨٦٥ — ٩٢٥ م) ينوه أنه لا يوجد دليل قاطع على أنه قد اطلع على المؤلفات المنسوبة إلى جابر بن حيان في الكيمياء^(٣١) .

وحين تولى (روسكا) رئاسة معهد البحث . في تاريخ العلوم الذي أنشأه (١٩٢٧) في جامعة برلين كان (كراوس) يعاونه في مثل هذه الأبحاث العلمية العربية الهامة .

ويبدو من تقرير (روسكا) السنوي للمعهد السابق ، والذي نشر مقال (كراوس) في أوله^(٣٢) أن (روسكا) كان يبحث مسبقاً في (مشكلة) جابر بن حيان وما ينسب إليه من كتب ورسائل ضمن دراساته عن الكيميائي السابق محمد بن زكريا الرازي ، كما ينوه (الدوميلي) بالعديد من المستشرقين الذين سبقوا (كراوس) مثل هوبليارد في : مؤلفات جابر مترجمة إلى الانكليزية بقلم : ريتشارد راسل (١٦٧٨) و : أرنست دارمشر في كتاب ، بيان جميع فنون الكيمياء المنسوبة الى جابر الكيميائي (١٥٣١) ...

وبالإضافة الى الجهود الغربية أو الاستشرافية في تحقيق المشكلة السابقة نجد (الدوميلي) يصرح في عدد من أماكن كتابة اشتراك (كراوس) مع (روسكا) في الدراسات عن علم الصنعة (عند جابر وما نسب إليه من كتب مثل : كتاب الملك ، وكتاب الرحمة ، وكتاب المعادلات ، وكتاب الشفقة ، كتاب التكيف ، وكتاب السبعين ...

وإذا رجعنا إلى تقرير (روسكا) الآنف الذكر الذي قدم له (كراوس) فإن أقوالاً أخرى تنبه الى جهود مشتركة بين الأستاذ وتلميذه في حل (المشكلة) وأنها لم يختص بها (كراوس) بأية حال .

فمثلاً : يقول (الدوميلي) : ومن هذا الحين (القرن التاسع) ... نسبت الى جابر أبوة كتب الكيمياء التي صنفها الفرقة (الإسماعيلية) لإعارتها أهمية أعظم ، وحجية أوثق ... ثم يقول : هذه — على الأقل — النظرية التي تتفرع من الدراسات العميقة ليوليون روسكا وتلميذه باول كراوس والتي لها في ذاتها كل حظ من الرجحان (٣٣) .

ومهما يكن من أمر فإن أي فضل في كشف ذلك فإنما يرجع أولاً الى (روسكا) أستاذه ومدير معهده ، وكذلك الى من سبق في الكلام عليه مع آخرين متقدمين . وفي الحقيقة فإن (الدوميلي) الذي يؤيد ماتوصل اليه (روسكا) و(كراوس) من أسطورة هذه النسبة فإن احتمالات أخرى يمكن أن تبرز في أحقية هذه النسبة طالما أن أساسيات العلم الكيميائي والتأليف فيه قد ذاع عند جابر بن حيان بإجماع العلماء المسلمين وغير المسلمين .

وعلى كل حال فإن العالم المسلم جابر بن حيان لا يغض من قيمته العلمية ولا من انتاجه الوافر في العلوم ، وبخاصة الكيمياء إذا أثبتت الوقائع البحثية عدم صحة بعض الرسائل المنسوبة اليه ، مهما حاول (كراوس) وغيره الغض من هذه القيمة وإن كان ذلك بصورة غير مباشرة . وربما أعيد النظر من قبل المختصين المسلمين في الاستنتاج السابق (تحطيم أسطورة جابر بن حيان) ضمن دراسة أكثر موضوعية وأوثق مصداقية وأدق استنتاجاً .

٦ — نشاطه السياسي الإرهابي : وعلى الرغم من أن د / نجيب عقيقي في كتابه . المستشرقون ، لم يذكر شيئاً عن يهودية (كراوس) ، ولا عن عضويته في العصبة الإرهابية (شتيرن) ، ولا عن تجواله وتردده بين القدس والقاهرة ، فإن يهوديته عريقة في أسرته وفي حياته ، وكذلك فإن عضويته في (شتيرن) وتردده بين القاهرة والقدس معروفان من مصادر عدة .

فقد ولد (كراوس) في مدينة براغ من أسرة يهودية ، وفي سنة ١٩٢٢ (أي في سن الثامنة عشرة) سافر الى فلسطين ، فأمضى فترة في مستوطنة إسرائيلية

(كبتز) ، وبعدها دخل « مدرسة الدراسات الشرقية » التابعة للجامعة العبرية في القدس ، وفي تلك الفترة اتقن اللغة العربية (٣٤) .

وبعد حصوله على الدكتوراه من جامعة برلين ١٩٢٧ ومجيئ النازية الى حكم ألمانيا ١٩٣٣ قرر كراوس مغادرة ألمانيا تحسباً للخطر الذي ينتظره من البقاء فيها ، فسافر إلى باريس حيث عاونه (ماسينون) ، وقد تعاونوا معاً على نشر « أخبار الحلاج » ، وكان « كراوس » يتردد بين القاهرة والقدس في القاء محاضراته عن (تنعيم أو تنظيم الكتاب المقدس) كما سبقت الإشارة وذلك بين عامي ١٩٤٣ — ١٩٤٤ .

وأخيراً في يونيو (حزيران) ١٩٤٤ سافر الى القدس ليحضي عطلة الصيف لكنه لما عاد في الاسبوع الأول نشر نبأ انتحاره في جريدة البلاغ المصرية .

ويفترض د / عبد الرحمن بدوي أن جماعة (شيرن) وهو عضو فيها كلفته بقتل اللورد الانكليزي (موين) بدعوى أنه الممالي للعرب على حساب اليهود ، وخرج من هذه المعضلة بأن انتحر ولم يقدم على قتل (موين) .

يضاف الى هذا أنه كان يسكن معه ضابطان بريطانيان بحجة معاونته في دفع الأجرة للدر التي يسكنها ، وهي حجة غير منطقية لأن كراوس كان يستأجر شقته أو داره مع زوجته الأولى ثم مع الثانية منفردين من غير أن يفكر بمقاسمة الأجرة .

ومع أن د / العقيلي يعمم أسباب انتحاره إلى أسباب عائلية وفكرية وسياسية ، أسر ببعضها اليه عام ١٩٤٤ فإن زمالة كراوس للدكتور البدوي ومعرفته الوثيقة به ترجح انتحاره لسبب سياسي إرهابي ، أكثر من أية أسباب أخرى ، وإن احتمل ان تكون اسباباً ثانوية أو غير مباشرة .

ولا نقف طويلاً عند حادثة انتحاره ، كما لا يهمننا المصير الذي اختاره لنفسه بقدر ماتعنيا حياته الإرهابية التي امتزجت بالاتجاه الاستشراقي ، وكان ثمرتهما تدريسه في الجامعة المصرية وزمالاته لمستشرقين آخرين ومسلمين أعضاء في هيئة

التدريس .

وسواء مارس عمله الإرهابي (الشيرن) داخل الأراضي الفلسطينية وخارجها أم لم يمارسه فإن اتصالاته الشخصية والعلمية والجامعية بالعديد من العرب على المستويات المختلفة ، ومعرفة بعضهم بعضيته الإرهابية ، وتردده باسم العلم والجامعة بين مصر والقدس من غير قيود ولا حساب ، ينوه بعمق المداخلات الصهيونية وأخطارها في أرض الكنانة وفي قمة المؤسسات الفكرية فيها ، في الوقت الذي تتشوق فلسطين الى حمايتها والحفاظة على عروبة أهلها وتقدم حركاتها الشهداء تلو الشهداء مثل حركة الشهيد عز الدين القسام لتحريرها من السيطرة الانكليزية والصهيونية ١٩٣٥ ، وحركات الحاج أمين الحسيني وتأليفه جيش الجهاد المقدس ١٩٤٧ بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني ، وحركات تحريرية أخرى لم تبخل بالأموال والدماء .

٧ - في الجامعة المصرية : ويبدو من ترشيح ماسينون له ضمن مذكرة أشاد فيها بمناقبه وما يؤمل منه ، نفوذ ماسينون أستاذ د / طه حسين ، عليه وعلى كلية الآداب وبخاصة بعد خروج سلفه اليهودي أيضاً إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب) ١٩٣٧ ، فقد دخل الى الجامعة ١٩٣٦ مفضلاً التدريس فيها على التدريس في الجامعة العبرية التي عرضت عليه العمل سابقاً (بسبب الامكانيات الهائلة المتوافرة للبحث في تاريخ العلوم في القاهرة : سواء من حيث المخطوطات حيث تشتمل دار الكتب المصرية ، وخصوصاً مكتبة تيمور وطلعت بدار الكتب على مخطوطات فريدة في هذا الميدان) (٣٥) .

وهو تبرير غير مقبول بالنسبة الى كراوس الذي يستطيع ارتياد هذه المكتبات في كل وقت دون حاجز أو عائق ولكنه تفضيل مقصود لغايات استشراقية وصهيونية لا تتحقق له إحداها على الوجه المطلوب فيما إذا كان بعيداً عن مصر وجامعتها ، وطلابها وأساتذتها .

وعلى كل حال فقد حاضر (كراوس) في المستويين الجامعيين : مستوى

الإجازة ، ومستوى الدراسات العليا ، وكان الدكتور البدوي من طلابه المستمعين ، وذلك في سنة ١٩٣٨ الى ١٩٤٢ .

ويفترض أن معرفته باللغات المتنوعة القديمة والحديثة من أكبر العوامل التي ساعدته في استمرار تدريسه حتى انتحاره ، فقد عرف الألمانية والفرنسية والعبرية والسريانية واليونانية الى جانب معرفته العربية ، مما مكنه من المقارنة بين العربية واللغات السامية ، وتدريسه التراث اليوناني والكتاب المقدس بلغته العبرية .

ولا ريب أن صلته الجامعية بالأستاذة والطلاب أكسبته أبعاداً جديدة في العلاقات الموطدة كزميل بين زملائه ، وأستاذ بين طلابه ، استمرت هذه الصلة الى النهاية .

وإذا تساءلنا عن مثل هذه الصلات فإن أخبارها معروفة ومتداولة من غير ماحرج أو تضيق ، ولها ما يبررها لدى عميد الأدب حينذاك ، ولكن التساؤل يطرح نفسه بقوة : مامدى صلة د / طه حسين باليهودية المحتملة أو المفترضة ؟ وهل قبله عضواً في كلية الآداب بسبب تقديره لأستاذه ماسينون وترشيحه له فقط ؟ وفي كلتا الحالتين مامدى كفاءات كراوس العلمية في المجال البحثي والتدريسي ؟

إن معظم الأعمال التي قام بها كراوس مشبوهة ، فقد عمل مقالات في تاريخ الإلحاد في الاسلام ، وابن المقفع ، وأخبار الخلاج ، وشروحاً للكتاب المقدس .

ثم إن مدى الصلات بين ماسينون وكراوس من ناحية وصلة ماسينون بكلية الآداب والدكتور طه حسين من ناحية ثانية وصلة الجامعة بفئة من أساتذتها وعمدائها بالأحداث العربية وفي طليعتها القضية الفلسطينية ، تقوي مثل هذه التساؤلات وتطبع في حياة قادة الفكر والأدب الجامعيين سمات سياسية استعمارية فيها الكثير من الممالة الأجنبية الى جانب الأبعاد الفكرية والعلمية التي استخدمت لصالحها ومن أجلها .

ومهما يكن لهذه التساؤلات أو الافتراضات نصيب من الصحة والصدق فإن

واقعيّتها تفرض وجودها على الساحة الفكرية والسياسية كما تفرض دعم نشاطاتها المتنوعة في المجالات الجامعية وفي خارجها .

واحتضان كراوس وأمثاله عمليات وواقعيّات ، من قبل المستشرقين والمستغربين في البيئة العربية يحمل في طياته طوايع من التبعية للفكر الأجنبي ، وعمالة للسياسة الاستعمارية أيا كانت التساؤلات والافتراضات .

٥ — لاووست Loust, H (ولد ١٩٠٥) فرنسي اختص بمصنفات ودراسات عن لهجات البربر في المغرب ، وانضم إلى المعهد الفرنسي بالقاهرة (١٩٣١ — ٤٤) وعين مديراً له (١٩٤١) وأستاذاً في جامعة ليون (١٩٤٥) ، ثم ولي كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا (١٩٥٦) ، ونال أوسمة عدة بينها أوسمة عربية ، وانتخب عضواً في مجامع كثيرة منها : المجمع العلمي بدمشق (١٩٥٦) .

ومن آثاره : الخلافة على مذهب رشيد رضا (١٩٣٨) ، ابن حنبل (١٩٥٦) ، والطرائف الأولى لمذهب الحنابلة (١٩٥٧) ، وكتابات متعددة عن ابن تيمية ... وأعمال المجمع العلمي العربي بدمشق من ١٩٢١ — ١٩٥٠ ، وسقته هنا نموذجاً لمستشرق جامعي في غير الجامعات العربية الإسلامية بالإضافة إلى أنه مجمعي في مجمع دمشق .

عالج (هنري لاووست) قضايا إسلامية من خلال الواقع الغربي ومفهومه عنها ، ومن خلال آراء (ابن تيمية) مع التباس في مفهومها ودلائلها . بالإضافة إلى استنتاج هذه القضايا من واقع المسلمين المتقلب .

١ — فعلم السياسة نشأ في الغرب على نمط البيوتوبيا^(١) ، منذ جمهورية أفلاطون إلى بيوتوبيا توماس مور ، ولكن علماء الإسلام في أبحاثهم ذات الصبغة السياسية والاجتماعية عالجوا واقعاً مائلاً أمامهم ، محققاً في أنظمة مطبقة ، وماكان لهم أن يفترضوا فروضاً وعندهم حقائق مقررة تصرفهم عن مثل هذه الفروض ...

٢ — وظن المؤلف (لاووست) وله عذره أن ابن تيمية ، يشبه فلاسفة السياسة

الغربيين ... وهذه النظرة نرى الحكم الخاطئ للمؤلف عندما ظن أن نظريات الشيخ كانت محاولات لتبرير الأمر الواقع ، وما أبعد ذلك عن الصواب
٣ — لذلك من علامات الاستفهام التي تحتاج الى اجابة ، ملاحظناه من الإساءة المتعمدة لشيخ الاسلام واتهامه بالتجسيم ، وترويج كتب خصومه وإذاعتها في الأروقة الجامعية ، وعلى مستوى عامة القراء ...

٤ — وما نأخذه عليه في الباب الأول استغراقه في شرح الآراء الشاذة في العقيدة ، وتنبيه آراء جهم والمعتزلة والأشاعرة ، محاولاً وضع أفكار ابن تيمية وسط هذا الخليط بحيث يصعب على القارئ تمييز صحيحها من سقيمها ...

ومجازاة للخطأ الشائع ، ظن (لاووست) ان الشيخ يرى إنشاء حكومة دينية — أى ثيوقراطية بالمصطلح الغربي ... الذي نقله التاريخ عن أوروبا في القرون الوسطى ، عندما حاولت طبقة رجال الدين أن تمسك بزمام السلطة السياسية العليا ...

٥ — وهناك أمران لابد من توضيحهما :

الأول : مافهمه (لاووست) والتبس عليه عند حديث ابن تيمية عن الإرادة الإلهية ، أنها اخص الصفات وهو ما لم يقله الشيخ سوى وقوفه عند النصوص الشارحة لأفضلية بعض الصفات عن البعض الآخر .

الثاني : اتخاذه المؤلف قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أصلاً في نظام ابن تيمية الاجتماعي والسياسي والأخلاقي مع عدم التفريق بين العبادة التي تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، وبين الدين — وهو داخل في العبادة مستنداً إلى حديث جبريل في الصحيح الذي يقول (هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم) ، ويتضمن معنى الخضوع والذل .

ومع أن ابن تيمية يدخل في دائرة العبادة كافة الأنشطة الإنسانية في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد وغيرها فانه يستبعد ما يفهمه البعض من الآية أن العبادة وردت على سبيل الاجبار والعسر^(٣٧) وربما قصد (لاووست) كما قصد سواه من

المستشرقين الاستعماريين مثل : لامانس ، أن يبرز أفكار (ابن تيمية) في السياسة والاجتماع المناهضة للاستعمار الفرنسي في بلاد الشام والمغرب العربي بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، فقد أوقف (هنري كوربان) و (ماسينون) معاصر (لاووست) أعمالهما السياسية على الجهود الفكرية الفلسفية في التصوف الإشرافي عند السهروردي والحلاج المقتولين .

وإلى جانب هذا الغرض السياسي الذي يلوح في دراسته لأفكار ابن تيمية فإن ما عرض له من قبل ينسب عن خلط فكري عقدي بين امام مسلم وبين نظريات فلسفية غربية ليس بينهما أية صلة في المنطلق والمضمون والهدف ، كما أنه ليس بينهما أية علاقة في الواقع والتطبيق .

ولا حاجة بنا الى أن ننوه بالأمانة العلمية المعتبرة عند ابن تيمية في نقوله عن كتب خصومه وإن فسرها (لاووست) أنها تروج لأفكارهم وكتبهم ، فالموضوع ليس دعاية وإنما هو تحقيق ودراسة . ولكن تعميم (لاووست) (السلفية) عند ابن تيمية في خضم الأقوال والآراء الشاذة الأخرى لايشوه إمامته فيها ، وذلك على الرغم من انحراف دعواه في نسبة التجسيم والثيوقراطية (الدينية) الى سلفية ابن تيمية والتزامه بالنصوص .

٦ — وفي القسم الأول الذي عقده لاووست في الدعائم الدينية في مذهب الاجتماع السياسي الذي نقلنا جانباً من نظراته الخاطئة في الكلام السابق نسوق في الفصل الرابع الذي عقده في أصول الفقه مايلي :

أ — موقف ابن تيمية من الإجماع : فان (لاووست) ظن ان ابن تيمية هوّن من قيمة الإجماع كأصل من أصول الفقه . ولكنه لم ينتبه إلى ختام رسالته (معارج الوصول) بتأكيد أن الإجماع الصحيح لايعارض كتاباً ولا سنة ، ويقول : فكل ماأجمع عليه المسلمون إجماعاً ظاهراً يعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن نبيهم ﷺ لم يحدث ذلك أحد بعده لاجتهاده ولا بغير اجتهاده ... ثم يقول : والأمة لا تجتمع على ضلالة ، بل لا يزال في أمته طائفة قائمة بالحق حتى تقوم الساعة (٣٨) ...

ب — موقفه من القياس : فقد شوهه (لاووست) تشويهاً كبيراً عما عرف عن ابن تيمية ، فهو يقول . ولا تستغنى عقيدة ابن تيمية عن منهجه الأصولي ، كما لم تستغن نظرياته في الغييات عن منطق ارسطو^(٣٩) .

ولكن المعروف أن ابن تيمية أُلِفَ في : الرد على المنطقيين يذكر فيه اختلاف (القياس) الأصولي عن (القياس) المنطقي الأرسطي ، ويدعو إلى (طريقة القرآن) وكان يقول ، والقياس الصحيح هو العدل الذي أمر الله تعالى به^(٤٠) ، ثم يقارن بين أدلة المناطقة والآيات القرآنية .

ج — المصالح المرسله : يقول (لاووست) : ان مبدأ الحل الوسط يسمح بعدم رفض أية بدعة جديدة رفضاً مسبقاً ، وإنما يدعو إلى العلاج على تهذيبها بالتوفيق بينها وبين مبادئ الشريعة العامة ، وهكذا نرى ابن تيمية رغم تشدده في نقاط معينة في العقيدة والأخلاق يصل إلى درجة كبيرة من المرونة في فكرته عن (البدعة) ، وهو يستخدم العرف استخداماً رحيماً^(٤١) .

فهل يشير (لاووست) في كلامه عن وسطية الإسلام أنه مهذب وموفق من شرائع سابقة كما يقرره الآخرون ؟

ويقول مقدم الكتاب : وما وصل إليه ظلم بين لشيخ الإسلام ونظرة غير صحيحة على الاطلاق ، وإذا أكمل قراءة العبارة لفهم المراد ، ولم يحكم هذا الحكم ، اذ يقول ابن تيمية : وربما قدم على المصالح المرسله كلاماً بخلاف النصوص ، وكثير منهم من أهمل مصالح يجب اعتبارها شرعاً بناء على أن الشرع لم يرد بها ، فقوت واجبات ومستحبات ، أو وقع في محظورات ومكروهات ، وقد يكون الشرع ورد بذلك ولم يعلمه

فابن تيمية لا ينكر (المصالح المرسله) لذاتها ولا لمنافعها ولكنه ينكر على أولئك الذين يستخدمون هذا الأصل استخداماً سيئاً ، فيحرمون ما أحل الله أو يحلون ما حرمه الله أو يفتاتون على الاسلام بما ليس فيه ، وبخاصة الأمراء والسلاطين والملوك الذين زينوا العمل بها زاعمين انها تحقق منافع وتدفع أضراراً ، فهو لهذا يقف موقف

المترىث. ويشكك في المصالح المرسله ويردد في القول والأخذ بها الا بعد التثبت وعن بينة^(٤٢) .

ويؤكد النتيجة نفسها الشيخ أبو زهرة بتوسع يشمل إفراط بعض الصوفية ، والفوضويين والمبتدعين في العقائد والأعمال مع ماكان يتخذه الحكام بابا للظلم وارهاق الناس وانزال الأذى بهم في أموالهم وانفسهم وقد اتخذت المصلحة سبيلاً لذلك^(٤٣) .

٧ — على أن الفهم القاصرة والمنحرفة التي ساقها (لاووست) عن أصول عقيدية في آراء ابن تيمية السياسية والاجتماعية لاتتمتع من إبراز فهمه الموفق في الوحدة الإسلامية التي تمثلها الأمة بتضامن أفرادها وارتباطها بعقيدة واحدة وشعورها بالأخوة التي تضم جموع المؤمنين منذ بعثة النبي ﷺ الى يوم القيامة في ظل مثل أعلى واحد ومن أجل مصير واحد ...)^(٤٤) .

ولكن (لاووست) يردد في كتابه الثاني مسألة (الأقليات الدينية) ضمن الجماعة الإسلامية ويلج على قسوة الإجراءات الأمنية ضدها في ظل الحروب الطاحنة من الصليبيين التتار ، مع أنه يعلم برسالته القبرصية التي يقول فيها ، نحن قوم نحب الخير لكل أحد ، ونحب لكم (ملك قبرص) أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة ... ثم ذكر طلب ابن تيمية من التتار إطلاق سراح المسلمين واليهود والنصارى الذين هم أهل زمننا ... وأطلقنا من النصارى من شاء الله ، فهذا عملنا وإحساننا والجزاء عند الله)^(٤٥) .

جدول بالمستشرقين الجامعيين وأهم نشاطاتهم

ومن المناسب أن اتمم البحث عن المستشرقين الجامعيين بالجدول التالي الذي يبرز أهم فعالياتهم الجامعية وأشهر أعمالهم خارج الجامعة ، مع الإشارة الى معظم شبهاتهم وافتراءاتهم ، ثم استخلص منه بعض النتائج الهامة .

م	المستشرق	حياته	بلده	البلد التي عمل بها	أعمال أخرى
١	أرولد — توماس Arnold, Thomas	١٨٦٤ — ١٩٢٠	الانكليزي	جامعة عليكرة الجامعة المصرية	عميد في مدرسة اللغات الشرقية بلندن
٢	أيفر — ج Vuen, G	ملمصر	فرنسي	كلية الآداب بالجزائر	مؤلفاته عن المغرب والجزائر وعلاقتها بما بفرنسا
٣	باسيه رينه Basset, Renet	١٨٥٥ — ١٩٢٤	فرنسي	استاذ وعيد كلية بالجزائر	رئيس مؤتمر المستشرقين في الجزائر (١٩٠٥)
٤	باسيه هنري Basset, H	١٨٩٣ — ١٩٢٦	فرنسي	معهد الدراسات بالرباط	انثا مجلة الدروس المغربية والاندلسية المعروفة باسم (هسبندوس)
٥	بروفيسال — ليبي Provence I.L	١٨٩٤ — ١٩٥٦	فرنسي	استاذ في معهد الرباط للدراسات العليا وكلية الآداب بالجزائر	كلفته فرنسا بمهام خطوية بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق
٦	بلاشير — ر. ل Blacher, R.L	١٩٠٠ — ١٩٧٣	فرنسي	استاذ في معهد مولاي يوسف بالرباط	مدير معهد الدراسات بالرباط وعضو بدمشق
٧	بلبييه — فر Pellier, F	١٨٨٦ — ١٩٣٣	فرنسي	استاذ بكلية الحقوق بالجزائر	مؤلفاته في الاسلاميات
٨	بوجسترا — ج Bosquet, G.H	١٨٨٦ — ١٩٣٣	ألماني	استاذ في جامعة استنبول والجامعة المصرية	دون انعام القرآن في نوبة كثير الاناجح ، وعظمه في الاسلاميات ، التاريخ
٩	بوسكه — ج . هـ Bosquet, G.H	١٨٨٩ — ١٩٥٥	فرنسي	كلية الحقوق بالجزائر	غزير الاناجح ومنتونه
١٠	بيرشه — ليون Bercher, h	١٨٨٩ — ١٩٥٥	فرنسي	مدير معهد الدراسات العليا بفرنس	مناشط — اناجحه في الاسلاميات

أعمال أخرى	البلد التي عمل بها	بلده	حياته	المستشرق	م
متوسط الأنتاج في الادب والتاريخ مجمعي القاهرة — استاذ شرف جامعة حنيف — مستشار الملك ليوبولد الثالث ١٩٤٢ .	كلية الآداب بالجزائر معهد بجامعة القاهرة	فرنسي بلجيكي	١٨٩٠ ١٨٩١	١١ — بيريس — هـ Pérés, H ١٢ — بيرن — جاك — هـ Pirrenne, J	
اسلم في مسجد دلي الأكبر	محاضر في عواصم عربية واسلامية	مصري	١٨٨٤	١٣ — جرمانوس عبد الكريم Germanus, J	
متخصص بتحقيق أوراق البردي العربية المخطوطة بدار الكتب	كرسي التاريخ في جامعة القاهرة ١٩٥٤	ألماني		١٤ — جرمان — أدولف Grohman, A	
معظم انتاجه في التاريخ	عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية (١٩٢٦ — ٣٠)	بلجيكي	١٨٨٨	١٥ — جريجار — هـ Grégoire, H	
أمين أركان حرب طرابلس (١٩١١ — ١٣) — مجمعي بدمشق	مدير المكتبة المصرية حتى وفاته	إيطالي	١٨٧٨ — ١٩٢٥	١٦ — جريفي — أوجينو Griffini, E	
نشر كاتفاً مصرياً بعنوان : ورق البردي المخترقي بمتحف لرميتاج (١٩١٣)	استاذ التاريخ المصري القديم في الجامعة المصرية	روسي		١٧ — جوليسيف G	
عضو بمجلس الأعيان بروما	استاذ الأدب في الجامعة المصرية (١٨٠٨)	إيطالي	١٨٤٤ — ١٩٣٥	١٨ — جويدي — اغناطيوس Guidi, Ignazic	
وسط الأنتاج في الأدب والتاريخ	استاذ الأدب في الجامعة المصرية (١٩٢٦)	إيطالي	١٨٨٦ — ١٩٤٦	١٩ — جويدي — ميكلانجلو Guidi, M	

م	المستشرق	حياته	بلده	البلد التي عمل بها	أعمال أخرى
٢٠	ب - جيج - ب Guigues, Dr, P	١٨٨٨	فرنسي	جامعة القديس يوسف	طبيب - اتجاhe في الطب والصيدلة
٢١	جيم - ألفرد Guillame, A	١٨٨٨	انكليزي	الجامعة الأمريكية وستونول	مجمعي بدمشق والخراف
٢٢	دي ألفرني - الأب D'Alverny, P, A	١٩٠٧	فرنسي	مركز الدراسات في بكلميا القديس يوسف	من الآباء اليسوعيين
٢٣	دي جالازا - الكورت Cde, Guatairza		اسباني	استاذ الفلسفة بالجامعة المصرية	قليل الإنتاج في الفلسفة
٢٤	روجييه - ل Rougien, L	١٨٧٢ - ١٩٤٩	فرنسي	الجامعة المصرية	قليل الإنتاج في الفلسفة
٢٥	كونتي - روسيني Rossini, Conti, C	١٩١٥	إيطالي	الجامعة المصرية	اتجاhe وسط في تاريخ اليمن والحجشة
٢٦	روميتر - ه - ر Roemet, H, R	١٩١١	ألماني	مدير معهد الدراسات الإسلامية ببورت	مدير معهد الآثار الألمانية في القاهرة
٢٧	ريكار - ر Richard, R		فرنسي	استاذ معهد الدراسات العليا بالرباط	متوسط الإنتاج في التاريخ المعرفي وأثر العرب في اسبانيا والبرتغال

أعمال أخرى	البلد التي عمل بها	بلده	حياته	المشترك	م
عضو في عشرة مجامع — ومنها مجمع دمشق	كلية المقاصد بيروت — الجامعة الأمريكية بيروت	بلجيكي المولد أمريكي الجنسية	١٨٨٤ — ١٩٥٦	٢٨ — سارتون — جورج Sarton, G	
اشترك في أعداد القوانين التونسية المدنية والتجارية	استاذ تاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية	إيطالي	١٨٥٥ — ١٩٣١	٢٩ — سانتيلانا — دافيد Santillana, David	
مدير المعهد الشرقي ورئيس معهد اللغات الشرقية في (بون)	جامعة عليكرة الإسلامية	ألماني	١٩٠١	٣٠ — سبياس — أوتو = شيايس Spies, O	
رئيس قسم الشرق الأدنى في فرع الأبحاث والتحليل في مكتب التنظيمات العسكرية خلال الحرب .	استاذ بالمدرسة الأمريكية ببغداد	أمريكي	١٩٠٢	٣١ — سبيو — أي Speiser, E, A	
مدير دار الكتب المصرية . له كتابات في الأدب المعاصر — الشريعة .	استاذ في الجامعة المصرية	ألماني	١٨٨٣ — ١٩٥٢	٣٢ — شاده — أي Schaade, A	
مجمعي بدمشق وغيرها .	استاذ في الجامعة المصرية والجزائر	ألماني	١٩٠٢ — ١٩٦٩	٣٣ — شاشت — جوريف Shasht, J	

م	المعروف	حياته	بلده	البلد التي عمل بها	أعمال أخرى
٣٤	Sputer, B — ب شوبلر	١٩١١	ألماني	استاذ زائر في استنبول وأثينا	رئيس في مؤسسة روكفلر — مدير معهد الدراسات الإسلامية في جامعات هامبورغ — تخرج على يده عرب مسلمون
٣٥	فوري — هري Furnet, H, G	١٨٨٢	انكليزي	موسيقى واستاذ في جامعة القاهرة — ومهد الأداب العربية بتونس ومسلمون	رئيس لجنة الموسيقى في القاهرة . قليل الانتاج في الرجال والتصوف
٣٦	فانديك — أذوار (الآن) Vandych, AEd		امريكي	استاذ الأنكليزية في الجامعة المصرية	بعض تراجم في الفلسفة والاساطير
٣٧	فانديك — كرينيوس Vanyek, C	١٨١٨ — ١٨٩٥	أمريكي الجنسية هولندي الأصل	الجامعة الأمريكية بيروت	قليل الانتاج في العلوم
٣٨	فرانسيسكو روسي Francesco-Rossi	١٨٢٧ — ١٩١٢	ايطالي	متخصص في الآثار المصرية بالمحف المصري	استاذ في جامعة (تورينو)
٣٩	فليش الأب P, H Fleisch, P, H	١٩٠٤	فرنسي	استاذ لغة الشرق والغربية في معهد الآداب الشرقية . بيروت .	يسوعي

أعمال أخرى	البلد التي عمل بها	بلده	حياته	المستشرق	م
له وظائف وأعمال سياسية عديدة	استاذ زائر في الجامعة الأمريكية ببيروت	انكليزي	١٨٨٥ — ١٩٦٠	٤٠ — فيليبي — هـ . س Philby, H, S J B	
ضابط و مترجم وسياسي	استاذ الأدب في الجامعة المصرية	فرنسي	١٨٨٧	٤١ — فييت — ج . و Wiet, G	
صهوني — عضو في عصبة شترن	استاذ السامية في الجامعة المصرية	تشيكوي	١٩٠٤ — ١٩٤٤	٤٢ — كراوس — بانل Kraus-Panl	
يسوعي — وسط الاناج في الأديان والاستشراق	استاذ معهد الآداب الشرقية ببيروت		١٩٠٤	٤٣ — لاتور . ايت Lator, Et	
مدير مجلة (الشرق) — يسوعي منطرف	استاذ في اليسوعية ببيروت	بلجيكي	١٨٦٢ — ١٩٣٧	٤٤ — لانس هنري Lammens-Henri	
نحات ونقاد — مجعبي بدمشق	رئيس قسم في الجامعة المصرية	انكليزي		٤٥ — لاندان Landau, R	
سياسي	استاذ الجغرافية في الجامعة المصرية	فرنسي		٤٦ — لورين — هـ Lorin, H	
مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة — مجعبي بدمشق	استاذ في جامعة الجزائر	فرنسي	١٨٨٦ — ١٩٦٩	٤٧ — تلسلا — هنري Massé, H	
سياسي في وزارة المستعمرات الفرنسية متخصص في التصوف	استاذ تاريخ المذاهب الفلسفية في الجامعة المصرية	فرنسي	١٨٨٣ — ١٩٦٢	٤٨ — ماسينيون لويس Masseinon-Louis	

م	المشتق	حياته	بلده	البلد التي عمل بها	أعمال أخرى
٩	مارية — ولیم Marcas, W	١٨٧٤ — ١٩٥٦	فرنسي	مدير إستاذ في مدرسة تلمسان	إستاذ في معهد فرنسا والدراسات العليا بباريس
٥٠	موترد — بولس (الأب) Mouterde, P. P	١٨٩٢	فرنسي	جامعة القديس يوسف بيروت	يسوعي
٥١	موترد — رينه (الأب) Mouterde, P, R	١٨٨٠	فرنسي	عميد كلية الحقوق الفرنسية بيروت	يسوعي
٥٢	ناليو — كايرو Nallino, C, A	١٨٧٢ — ١٩٣٨	إيطالي	إستاذ الفلك والأدب في الجامعة المصرية	مجمعي بالقاهرة ودمشق — رجالة
٥٣	وطنون — تشارلز Watson C		أمريكي	من رؤساء الجامعة الأمريكية بيروت	له : الإسلام في سوطرة (١٩١٣) الوطنية والإسلامية (١٩٢٦) .

دراسة وتعقيب :

إذا كانت الجامعات أعلى المستويات العلمية المنهجية المبرجة فإن خريجها حملة العلوم والمعارف والآداب مراكز إشعاع فكري محلي وعالمي ، تقع عليهم مسئوليات ثقافية وتربوية قد حملوها من أساتذتهم وتحملوها لينقلوها إلى الأجيال القادمة .

ومهما قيل من ضعف الأثر الفكري العقدي في شباب الجامعة بالنسبة إلى المراحل الثانوية فإن الالتزام بأفكار معينة ومشبوهة ومطروحة في أساليب مقنعة يلاحظ في أحيان كثيرة داخل الجامعة وخارجها .

والأستاذ الجامعي الذي اعتلى منبرها وهو معني بمهمة تشويه للتراث ، أو مهمته بتوهين القيم الفكرية الأصلية لا يصعب عليه النفوذ إلى ذهنية الشباب لأداء مهمته التي بعث أو استقدم من أجلها .

والمشكلة القائمة هي أن المستشرقين الذين يفترض فيهم أن يقدموا معارفهم ودراساتهم الموضوعية ينحرفون عن الوجهة السليمة إلى تعليم الشبهات والافتراءات ضمن المعايير الأجنبية التي يكثر حولها النقاش والجدل .

ومهما اشتد تأثير المستشرقين الجامعي أو خف فإن فئة من تلامذتهم تحرص على الكمال وجهتهم والمضي في خطتهم .

والجدول السابق يكشف عن اهتمامات المستشرقين بالتعليم الجامعي وقد استغل الاستعمار سيطرته على البلاد العربية والإسلامية ليحكم قبضته على مقدرات شعوبها المادية والمعنوية .

وإذا نجت بلدان عربية من غزو المستشرقين الفكري بشكل مباشر وحي فإن تلامذتهم ومؤلفاتهم كفيلة أن تؤدي الدور المطلوب وتحقق الأغراض الاستشراقية وبأسكالها غير المباشرة .

ومن خلال تأملنا للجدول السابق يمكن استنتاج مايلي :

١ — معظم المستشرقين الجامعيين من الأعلام المعروفين بنشاطهم الفكري العالمي العزيز ، وقد اختيروا من بين سائر المستشرقين ليحققوا نجاحات فكرية في الوسط الجامعي ، ومن هؤلاء : الفرنسيون (باسيه) رئيس مؤتمر المستشرقين في الجزائر ، وبرفنسال الاستاذ في كليات متعددة والمكلف بمهام حكومية خطيرة بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق ، و(بلاشير) الاستاذ المجعي في دمشق . و(جويري اغناطيوس) الايطالي عضو مجلس الأعيان بروما ووزير الانتاج ، و(شاخت) الألماني الاستاذ والعضو المجعي في عدة مجامع عربية وأوربية ، و(سارتون) الأمريكي الأستاذ والعضو في عشرة مجامع ، و(عبد الكريم جرمانوس) المجرى المحاضر في عواصم عربية وإسلامية ووزير الانتاج أيضاً ، و(الفردجيوم) الأنكليزي والمجعي في دمشق وبغداد ...

وهؤلاء وغيرهم في اتقانهم لغات عدة ومنها العربية التي كانوا يحاضرون بها كان لهم أثرهم على الجيل المسلم الجامعي حيث تخرج على أيديهم المئات ممن تأثروا بهم أو لم يتأثروا .

٢ — ويغلب على الجامعيين المستشرقين جمعهم أعمالاً ونشاطات فكرية أو سياسية أو إدارية . مما يرجح أن لكثير منهم مهمات جاسوسية الى جانب مهماتهم التزييفية .

ويدل على هذا أنهم لم يستقدموا لتدريس العلوم والطب والرياضيات التي كان الغرب متفوقاً فيها وإنما كانوا يدرسون علومنا وما لها صلة بالعقيدة ، والعربية ، والتاريخ ، والحقوق ، والفلسفة بالأساليب الاستشراقية المغرضة .

وجميع الشبهات التي عرفت في التراث الاسلامي قد طرحت في الوسط الجامعي من المستشرقين أنفسهم أو من تلاميذهم .

فالشبهات حول ثبوت النص القرآني وسلامته ، وحول قدم الرواية المسندة في السنة النبوية ، عرفت من هؤلاء الجامعيين أو زملائهم .

ونحل الشعر الجاهلي ، وتشويه التاريخ الاسلامي ، وانحرافات الفلسفة عند الفلاسفة المسلمين ، والتركيز على الحقوق الرومانية والفرنسية للمواد والمبادئ التشريعية الإسلامية ، قد غزت بها الجامعة قبل أية مؤسسة فكرية أخرى .

٣ — وضوح الأثر الثقافي الفرنسي وعمقه ، ثم الايطالي على الجامعة المصرية والمغربية وبخاصة في المجالات التشريعية والأدبية حيث اننا نجد حوالي عشرين مستشرقاً فرنسياً حضروا في جامعة واحدة أو عدد منها وسبعة ايطاليين كان لهم أثرهم الثقافي أيضاً .

ولا غرو فان المستشرقين الألمان وهم سبعة كان لهم دورهم في مصر والمغرب والهند وتركيا ، إلى جانب اثنين من البلجيكيين وواحد روسي وآخر اسباني .

ويلاحظ ان امريكا قد دفعت بأربعة مستشرقين الى مصر ولبنان ، وواحد إلى بغداد ، أما الانكليز فان آثرهم قد توضع في بيروت واستنبول والقاهرة وبلغ شأوه في الهند عن طريق خمسة من مشاهيرهم .

ويلاحظ أيضاً أن قدوم المستشرقين كان يترافق مع نوعية أو جنسية الاستعمار العسكري غالباً ، فقد اشتد ساعد الاستشراق الفرنسي في مصر والمغرب العربي حين كانا مستعمرين ، وبرز جميل الدكتور طه حسين ، والدكتور احمد أمين والدكتور احمد لطفي السيد والدكتور عبد الرزاق السنهوري وعبد العزيز فهمي ، وأحمد حسن الزيات ، ولطفي المنفلوطي وغيرهم ، وقدموا ترجمات أدبية وتاريخية وحقوقية فرنسية ، وذلك على اختلاف فيما بينهم في التأثير شدة وضعفاً وانعداماً .

ولا يخفى أثر هؤلاء العمالة في الأدب والتاريخ والفلسفة والتشريع على أجزاء كثيرة من العالم العربي والإسلامي .

كما برزت شخصيات أخرى عقب الاستعمار الانكليزي والألماني والروسي .

٤ — الجمع بين المناصب الإدارية والتدريسية : وإذا جاز جدلاً استخدام محاضرين مستشرقين لوزارة علمهم والإفادة من مناهج بحثهم فهل يجوز استخدام إداريين جامعيين ، أو محاضرين جمعوا بين التدريس والعمل الإداري ؟ وما معنى أن نرى

مستشرقاً بلجيكيًا مثل (جوينجوار) عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية ، و (لاندائو) الانكليزي رئيس قسم فيها ، و (جريفيني) الايطالي مدير المكتبة المصرية ، ثم (رومر) الألماني مدير معهد الدراسات الاسلامية ببيروت ؟ يضاف إلى هؤلاء مستشرقون جمعوا بين الأستاذية والعمادة مثل (باسيه) و (ماسيه) الفرنسيين ، حيث جمع الأول الأستاذية والعمادة في كلية الجزائر ، وجمع الثاني الأستاذية في كلية الجزائر ، وإدارة المعهد الفرنسي بالقاهرة ، والمجمعية بدمشق .

والأعجب من هذا وذاك أن يجمع مستشرق عملين في كلية أو مدرسة إسلامية كما فعل (مارسيه) الفرنسي الذي كان مديراً وأستاذاً في مدرسة (تلمسان) ، و (بلاشير) الفرنسي الجامعي للأستاذية في معهد مولاي يوسف بالرباط وإدارة معهد الدراسات العليا بالرباط .

٥ — ومع الإشارة السابقة الى قيام كثير من المستشرقين الجامعيين بمهام سياسية وأحياناً جاسوسية فان إلقاء مزيد من الضوء على هذا الجانب يكشف لنا اتجاهاً استعماريًا خطيراً هو تسخير العمل الجامعي ورجاله ووسطه وفق الأغراض الاستعمارية العسكرية والفكرية . فالفرنسي (فييت) كان ضابطاً ومترجماً سياسياً وأنه استاذ الأدب في الجامعة المصرية ، والإيطالي (جريفيني) كان أمين أركان حرب طرابلس وأنه مدير المكتبة المصرية وعضو في مجمع دمشق . والبلجيكي (بيرين) كان مستشار الملك ليوبولد الثالث إلى أنه معيد بجامعة القاهرة وعضو في مجمعها . والانكليزي (فيليسي) كان له نفوذه الاستشاري في الأردن والعراق والسعودية ثم أصبح أستاذاً في الجامعة الأمريكية ببيروت .

والألماني (شيباس) كان مدير المعهد الشرقي ، ورئيس معهد اللغات الشرقية الشرقية في (بون) وهو استاذ في جامعة (عليكرة) الإسلامية .

أما الأمريكي (سيسر) فكان رئيس قسم الشرق الأدنى في فرع الأبحاث والتحليل في مكتب التنظيمات العسكرية خلال الحرب العالمية كما كان أستاذاً بالمدرسة الأمريكية ببغداد .

والإيطاليان (جويدي) و (سانيتلانا) لهما أعمالهما السياسية والدستورية المعروفة .

إن أخشى ما يخشاه الباحث امتحان القيم الفكرية والفضائل العلمية التي ينبغي أن تحملها الجامعات العربية والإسلامية والقائمين عليها ، وذلك بسبب ما تقوم به القمم الفكرية من وسائل مشبوهة تبعد الكثير منهم عن الروح الجامعية والأمانة العلمية ، خدمة لبلادهم ولسياستها الغربية . فتهدر بذلك كرامتها وكرامة الجامعة التي تعمل فيها .

٦ — وتبرز فعالية جامعية جديدة تحتضن الراهبية وتقوم بالتدريس في جامعات يغلب عليها طابع التنصير ولكنها أقيمت في أرض عربية وإسلامية .

فالآباء اليسوعيون كانوا على اتصال دائم مع جامعة القديس يوسف سواء كان منهم المستشرقون أو غيرهم ، مثل ما كانت صلة الآباء البروتستانت بالجامعة الأمريكية ببيروت أيضاً .

ويبدو أن الصلات الدينية والعلمية بين هاتين الجامعتين والمستشرقين في أوربة وأمريكا كانت تتعزز وتقوى بإيفاد العديد منهم ومن الغربيين عموماً ، إليها وإلى مؤسسات أخرى — فمن هؤلاء الأب (فليش) اليسوعي أستاذ فقه اللغات الشرقية والعربية في معهد الآداب الشرقية ببيروت ، وزميله (لانور) مع أنه كان متوسط الانتاج في الأدب والاسثمارق .

أما الأب (رينه موترد) اليسوعي الفرنسي فكان عميد كلية الحقوق الفرنسية والأب (بولس مونتور) اليسوعي الفرنسي أيضاً كان استاذاً في جامعة القديس يوسف ، وزميله (دى القرني) فيها وفي مركز الدراسات في (بكفيا) .

وهؤلاء اليسوعيون الذين شاركوا بالتدريس في معاهد وجامعات كانوا يدينون بمعارفهم أو بزمالتهم للمستشرق الكبير (لامانس) المعروف بغزارة انتاجه وتطرفه في الاستنتاج وتعصبه المشين ضد العروبة والإسلام .

و(لامانس) و(جولدزهير) و(شاخت) وغيرهم كانوا على صلات علمية وتنصيرية دائمة مع الجامعة اليسوعية كما كان مستشرقون منصرون أو متهودون على صلة علمية ودينية متتابعة مع الجامعة الأمريكية، واذكر منهم على سبيل المثال (بلش) و(وطسون) من رؤسائها، و(الفردجيوم) و(فيلبي) الانكليزيين و(فانديك) وغيره من الأمريكيين.

٧ — وكتيجة عامة: فان الجامعات العربية والاسلامية على قلتها وحدائث تأسيسها استحوذت على أكثر من خمسين مستشرقاً من البلدان الأوربية والأمريكية والسوفيتية، لم يكن جميعهم أو كلهم قد حملوا ألقاباً علمية رفيعة مثل الماجستير والدكتوراة، وانما كان انتاجهم الأدبي والعلمي وروحهم التنصيرية والتلمودية، واتجاههم السياسي والجناسوسي أحياناً، قد جعلهم رواداً للثقافة العربية ومرجعاً في التراث الاسلامي لفترة ليست بالقصيرة، واستطاعوا من خلالها أن يخرجوا فئات مغربة لم تكن أقل حماسة وتقديراً لقيم الغربية وثقافتها.

ومهما قللنا من الآثار الفكرية في هذه الفئات العربية فان مما ينبغي ملاحظته أن صفوة المستشرقين الجامعيين وأعلامهم كانوا يضعون اهتماماتهم السياسية والقومية في مقدمة الاهتمامات العلمية الجامعية.

فاذا توضحت هذه الصورة بزحفها الفكري الغربي أدركنا خطورة الاستعمار الأجنبي في الفكر العربي المسلم وبخاصة في الجيل الذي بهرته مناهج المستشرقين ودراساتهم، مع أنها في الحقيقة بعيدة الصلة عن الموضوعية والمنهجية في بواعثها وأغراضها.

ان ما ذكرناه آنفاً من نشاط المستشرقين السياسي والإداري والجمعي بالإضافة إلى العمل الجامعي يقرر الصورة الواقعية والمشاهد للناس، أما الصورة الخفية لأعمال المستشرقين المعروفين ولغير المعروفين في السياسة والجناسوسية فان أبرزها ليست من مهمة الباحث المتبع ولا الجامعي الملتزم وانما هي مهمة تتصل بأعمال كثيرة من أمثالهم المرتبطين بأجهزة الاستخبارات وفروعها السرية.

وفي ختام البحث يحسن أن ننوه بمقال الطيباوى في اتجاه المستشرقين الجامعيين السياسي والمغرض فيقول فيه : وجميعهم يؤخذون باعتبارهم متوفرين على النشاط الأكاديمي الذي يحمل في ذاته التبرير والجزاء . والمستشرقين يعملون بالطبع خلال اضطلاعهم بواجباتهم المعتادة على تدريب دبلوماسيين ومبشرين ورجال أعمال بجانب جهودهم في العمل على استدامة بقاء نوعهم بتدريب من يخلفهم في التدريس والبحث . ومن هنا تكون أهمية ما يحملونه من (ايدلوجية) بالنسبة لما يخلفونه من آثار وما ينطبع منهم على غيرهم^(٤٦) .

من مراجع البحث وهوامشه :

- (١) المستشرقون ٣ / ١١٦٥ د / نجيب العقيقي ، (٢) لويس شيخو في الآداب العربية ج ٢ ، فصل المستشرقون نقلا عن مجلة الشرق ، وانظر المستشرقون السابق ١ / ١٩٢ و ١٩٩ في ترجمة (برينيه) ، (٣) سبق القول عن مصادر الترجمات ، (٤) من تعليق محمد المبارك في كلية الشريعة سنة ١٤٠٠ عن المستشرقين ، ويقول : هذه النظرية أخذها د / طه حسين في كتابه : من حديث الشعر والنثر ، (٥) الأدب الجاهلي ص ٩ — ١١ ، وانظر تحليلاً لكتاب : مجد الاسلام : فبيت ، بقلم د / حسين مؤنس ، ألحق بكتاب : الفكر الاسلامي الحديث : د : محمد البهي . (٦) د / شوقي ضيف في الأدب العربي المعاصر ، ومعلوم أن لويس ماسينون الفرنسي استاذ الفلسفة فيها ، (٧) المستشرقون السابق ١ / ١٤٩ ، (٨) عاش ١٧٧٩ — ١٨٤٥ ، (٩) ١٨٠٠ — ١٨٤٣ ، (١٠) والايطالي : روسيني ١٨٧٢ — ١٩٤٩ ، وهناك سبعة اساتذة ايطاليون . (١١) ستأتي ترجمتهم ، (١٢) الأعلام : الزركلي ، (١٣) أنور الجندي في : طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام : ٣٤ ، ٣٦ ، ٦٦ ، ٦٧

- (١٤) انظر الاتجاهات الوطنية ١ / ٦٧٨ و ٢ / ٢٦٨ د / محمد محمد حسين ، (١٥) المبشرون والمستشرقون السابق ص : ١٦ من غير تعيين زمن الولادة والوفاة ، ولم أعثر عليه في مصدر آخر ، (١٦) تأسس معهد الحقوق قبل عام ١٩١٨ ، (١٧) انظر مصطلح (معهد) في الموسوعة العربية الميسرة ، (١٨) مناهج المستشرقين ١ / ٣٨٨ حاشية ، (١٩) السابق ١ / ٤٢ ، (٢٠) السابق ١ / ٤٣ حاشية وانظر تعليق د / التهامي المفصل ، (٢١) في تفسير الطبري للآيات (٢٢) اعتمدنا بشكل رئيسي في ترجمته على موسوعة المستشرقين د / البدوي (٢٣) ٢ / ٣٠٨ (٢٤) السابق ١ / ٣٦٥ (٢٥) السابق ١ / ٣٥٥ (٢٦) السابق ١ / ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، (٢٧) السابق ٢ / ٢٩٠ ، (٢٨) السابق أيضاً (٢٩) من ص ١٠٠ — ١٠٨ ، (٣٠)

السابق : ٢٥٩ ، (٣١) موسوعة المستشرقين ، (٣٢) انظر كتاب الدوميلي
السابق ص ١٠٢ ، (٣٣) انظر السابق ص ١١١ (٣٤) موسوعة
المستشرقين ، عند ترجمته ، (٣٥) السابق (٣٦) وتعني باليونانية : لامكان ،
وجعلها توماس ١٥١٦ عنواناً لكتابه الذي صور فيه دولة مثلى ، ثم اصبحت وصفاً
لكل كتاب هذا مبحثه . (الموسوعة العربية الميسرة) . (٣٧) مقتبس من
مقدمة : نظريات شيخ الاسلام في السياسة والاجتماع ترجمة محمد عبد العظيم
علي ، وتقديم د / مصطفى حلمي من ص ٩ ، علما ان كتاب (لاووست) عن
ابن تيمية هو من أصل محاضرة ألقاها في المجمع العلمي العربي بدمشق ، (٣٨)
السابق ص ٣٧ ، وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ايضاً
١ / ١٢٥ ، (٣٩) كتاب لاووست السابق ص ٢٩ ، (٤٠) في كتاب الرد
على المنطقيين ص ٣٧١ ، (٤١) ص ١٣٥ من الكتاب و ٣٩ ، (٤٢)
انظر : ابن تيمية . د / محمد يوسف موسى ص ٩٨ ، (٤٣) السابق ص :
٩٨ ، (٤٤) كتاب لاووست ص ٤٥ م ، (٤٥) السابق من الرسالة
القبضية . (٤٦) ملحق كتاب : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار
د / البهي ٤٨٣ .

ثالثاً

مستشرقون مجرمعون

تطلعت القيادة الفكرية في العالم العربي إبان النهضة الحديثة إلى تطعيم المؤسسات الفكرية العربية بعناصر استشراقية واستعرابية ورفدها بأفكار ومناهج ودراسات أجنبية تواكب التطور المنهجي والتقدم العلمي الحديث ، وقد صادفت أو لقيت هذه التطلعات رغبات قوية لدى الدول الغربية والشرقية بابتعاث خبرات فكرية وتنظيمية إلى الشرق العربي والإسلامي بدوافع الاستعمار المعروفة تحت شعار تبادل المعرفة وإشاعتها لمصلحة الإنسان في أي مكان .

وفي مقدمة المؤسسات الفكرية الجامعات والجامع اللغوية التي تعنى للمستعربين اتصالاً مباشراً بالثقافة العربية ومراجعها وأشخاصها ، كما تعني إمكان تلقيح الأفكار الأصلية بقيم مغربة عن طريق المحاضرات والدراسات واللقاءات الجمعية والمؤتمرات الدراسية .

وبالإضافة الى ماتلقيه عضوية الجامع من ظلال دعائية وأحياناً من أضواء جاذبة فإن حرص الجمعيين العرب على انتخاب أو اختيار أعضاء مراسلين وفخريين لجامعهم لا يقل عن حرص الغربيين لتحقيق أغراض علمية ودعائية وتغريبية . وكان الجمعيون الغربيون نشيطين في تناول الثقافة العربية الإسلامية سواء كان عن طريق إرسال بحوث ودراسات تنشر في مجلات الجامع أو عن طريق المحاضرات التي تعقد في ابهائها وقاعاتها .

ولا يفوتني الحديث أن المستشرقين الذين استطاعوا أن يشيعوا حولهم هالات من الإعلام الدولي في القدرة على البحث والتمكن من المعرفة وحيازة مصادرها ووفرة الآثار التي قاموا بها ، كان لها أعظم الوقع في تطلع العرب إليهم ، كما كان هؤلاء المستشرقين مزيد الأهتمام في إقامات فكرية في أهم العواصم العربية كبيروت ودمشق والقاهرة وبغداد ...

وقد تأسست بعض الجامعات العربية تتخذ لها رؤساء من المستشرقين والمستعمرين ... فكان المجمع اللبناني العلمي الذي أسس ١٨٤٧ برئاسة الدكتور (طمسون) و (غالي سميث) ، وأنشأه المرسلون الأمريكان باسم الجمعية السورية ومن أعضائه ، البازجي والبستاني .

وأنشأ الأمريكان فيما بعد (المجمع العلمي الشرقي) عام ١٨٨٢ برئاسة الدكتورين : (كرنيليوس فاندليك) و (يوخنا ورتياث)^(١) ، ولكن المجمع اللبناني لم تطل حياته متحملاً مسؤولياته اللغوية والعلمية كغيره ، لذا فإننا سنفصل الكلام على المجمع الأخرى .

أولاً : المجمع العلمي العربي بدمشق : وقد تأسس عام ١٩١٩ بأعضاء عرب خلص ، ولكن يبدو فيما بعد أن أثرت بين أعضائه قبول عدد من الموضوعات الاستشراقية ، فحاول الأعضاء ان (يكون في منتهى كل جزء من المجلة مقال أو مقالات باللغة الفرنسية حتى يزداد المستعربون من علماء الغرب انبساطاً إليها) ولكن ذلك لم يتم .

ثم كان من الأعضاء المرسلين لعام ١٩٥٦ :

الفيكونت فيليب دي طرازي (لبنان) ، الأب : ا . س . مرمجي البومينيكي (فلسطين) ، بلاشير ، وماسينون ، ومارسه (فرنسه) ، أريري ، وجب ، وغلوم (انكلترا) ، وهلموت ، وهارتمان ، وبروكلمان (ألمانية) ، ويدرنغ (السويد) ، وفيليب حتى ، وبيارده (الولايات المتحدة الأمريكية) ، وبرتل ، وكراشكوفسكي (الاتحاد السوفيتي) . وسنمنت (هولندا) ، ونلليو ، وغريفييني (ايطالية) . ومن المقالات التي نشرت لهم ولغيرهم في مجلة المجمع :

أ — نفي أوهام الأوربيين في صعوبة تعلم اللغة العربية : يوحنا اهنتين كرسكو (المجلد الرابع ١٩٢٤)

ب — درس الآداب العربية الحديثة : كراشكوفسكي (المجلد العاشر ١٩٣٠)

ج — تصحيقات عربية في معجمات اللغة العربية : نيللو (المجلد العاشر ١٩٣٠)

د — رسالة ابن سينا في الأرزاق : هـ . ريتز (المجلد العاشر ١٩٣٠)
هـ — كتاب المجلس والتأسيس للمعافي بن زكريا النهرواني : البرت ديتريش
(المجلد العاشر ١٩٥٥) (٢) .

ويبدو أنه قبل عام ١٩٢٠ لم يكن للمجمع أعضاء أجانب . ولكنه سلك في
جلسته المؤرخة في ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ مسلكاً جديداً فقرر انتخاب
المستشرقين الآتية اسمائهم :

فرنسة : دوسو ، غوي ، ماسينون ، غو ستاف لوبون .

ايطاليا : جويدي جريفيني ، نلليو ، كاتاني .

بريطانيا : مارجليوث ، براون .

هولندا : هوتسما ، سنوك هر .

سويسرا : مونتيه .

اسبانيا : ميكل آسن (٣) .

على انه لم يضعف استشراف المستشرقين والعرب لترشيح أعلام المستعمرين
كأعضاء فخريين ومراسلين حتى بعد عهد الاستقلال ، فقد جاء في آخر إحصائية
لأعضاء المجمع والذي تسمى فيما بعد بمجمع اللغة العربية ١٩٧٥ أسماء
مشاهيرهم :

أسبانيا : غومز بتاريخ ١٩٤٨ ، ومن ايطاليا : جريللي بتاريخ ١٩٤٨ ، ومن
فرنسيه : كولان ١٩٣١ ، ومن فلندا : كرسكو ١٩٣٢ ، ومن الحجر : عبد الكريم
جرمانوس ١٩٦٦ ، ومن النمسا ، كارل ١٩٥٤ (٤) .

وإذا عد بعض المستشرقين من المؤسسين مثل : ماسينون ، ونلليو ،
ومارجليوث فإنهم قد يعدون مع غيرهم مراسلين أو فخريين .

وربما كان عام ١٩٣٨ وما بعده أعظم الأعوام في عدد الأعضاء ، فقد بلغوا
(١١٤) عضواً مابين عامل ومشرف ، نصفهم أوروبيون وأمريكيون ، ولم يكن ذلك
أقل في سنوات أخرى ، والملاحظ بالإضافة إلى ترشيح الكثير من المستشرقين في

معظم البلدان الشرقية والغربية ، ازدياد عددهم وانتقاء مشاهيرهم وتسرب بعض الساسة والدبلوماسيين والعسكريين والجامعيين .

ومن المناسب أن أفصل شيئاً في نموذجين يعدّان من أعلامهم :

أولهما : فرتس كرنكوف الألماني المولد والانكليزي النشأة والجنسية^(٥) Krenkow, Fr (١٨٧٢ — ١٩٥٣) فقد ولد بشمالي ألمانيا ثم نرح الى انكلترا وتجنس بها وتزوج منها ، ثم أسس في (ليستر) مصنعاً ضم حوالي ألف عامل وعاملة ، ثم عاد إلى انكلترا بعد هبوط الأسعار في الحرب العالمية الأولى يتعاطى التجارة حتى عام ١٩٢٧ فتركها وانقطع الى العلم .

ويدو أنه اعتنق الاسلام بعد أن سافر الى حيدر آباد وتسمى به محمد سالم الكرنكوي الذي نرجو أن لا يكون اسلاماً سياسياً او مصلحياً كاسلام (فيليبي) و(لين) و(كلوب باشا) ، وفي الوقت نفسه اتصل بدائرة المعارف العثمانية التي أنشأها سلطانها حيث كلفته نشر عدد كبير من أمهات الكتب فحققها على خير وجه ، ولكن د / بدوي^(٦) يشير الى أن مطبوعاته فيها يعوزها التحقيق النقدي ، ولم يكن الذنب ذنبه ، بل ذنب المشرفين على هذه الدائرة ، إذ جردوا نشراته من الأجهزة النقدية ، والتعليقات والقراءات ، وكان خيراً له ولمسمعته ان ينأى بنفسه عن نشر شيء في هذه الدائرة ...

والفترة الخصبة في إنتاجه هي من بعد عام ١٩٢٧ — ١٩٥٣ حيث انقطع فيها إلى التحقيق والنشر ، ولكنه لم يقعد من قبل عن أعماله العربية التي نشرها في المجلات الإنكليزية والألمانية ، حيث لم تشغله مشكلات العمل والتجارة عن متابعة إنتاجه .

ويدو من آثاره أنه يغلب عليها التحقيق وليست الدراسة التي يمكن أن تكون مجالاً للطعن أو التزيف ، باستثناء : الوحدة في الاسلام (١٩٢٧) والأدب الشعبي العربي (١٩٢٨) ، وترجمات إسلامية وغربية قليلة .

وإذا كانت غالبية المستشرقين قد انفقت جهوداً مثمرة في مجال التحقيق

والفهرسة والنشر فإن (الكرنكوي) يعد في طليعة المكثرين فيه وبخاصة عكوفه على نشر الأمهات في التراث اللغوي الأدبي ، والتراجم والتاريخ وشيئ من الإسلاميات . ومن هذه المؤلفات : الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني بمعارضته على عدة مخطوطات ، وحلية الأولياء لأبي نعيم (١٩٣٢) ، وتفسير ثلاثين سورة لابن خالويه (١٩٣٦) ، ومعجم الشعراء للمرزباني (نشره احمد محمود شاكر ، القاهرة ١٩٥٤ هـ) ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ، ومقامات بديع الزمان الهمداني (١٩١٧) ، وبمعاونة (بيفان) : فهرسة الأمالي : لأبي علي القالي (لندن ١٩١٣) ، والجمهرة لابن دريد (١٩٢٨) في ثلاثة أجزاء ، وجزء تابع للفهرسة ... وغيرها من النوادر والأمهات التي كان جلها حين كان متفرغاً في (حيدرآباد) .

ونقل (الزركلي) في (أعلامه) عن رئيس المجمع العلمي العربي محمد كرد علي قوله : أحب الاستاذ (كرنكو) العرب والإسلام محبة لانهجى إلا من العريق فيهما يتعصب للعرب على سائر أمم الإسلام ، من الفرس والترک والهند ، ويعتقد كما كتب لي في ٢٣ آذار (مارس) سنة ١٩٣٥ — أن زوال الدولة العربية ، أي خلافة بنى أمية ، وانتقال مركز الإسلام من دمشق إلى العراق ، وظهور الفرس على العرب ، كان أول سبب للحيلولة ، دون انتشار الإسلام في الأمم النازلة في الشمال الغربي ، أوربا ، وقال كاظم الدجيلي ، وكان صديقاً حميماً له ، يوثقه : كان كرينكو غزير العلم ، واسع الاطلاع ، صادق القول ، أبي النفس بهي الطلعة ، محباً للشرقيين عامة والمسلمين خاصة ، ولأدري ماتم في أمر خزانته التي تحوي آلاف الكتب الثمينة النادرة من مخطوطات ومطبوعات ، إذ في ضياعها وتفرقها خسارة للأدب العربية والإسلامية .

على أن هناك آراء كثيرة له في الأدب والتاريخ والتفسير تتطلب التحليل والتقوم .

وثانيهما : بلاشير الفرنسي (ريجنس) Bldcher, R, L (١٩٠٠ — ١٩٧٣) عضو في المجمع الفرنسي الأعلى بباريس الى جانب عضويته في المجمع العلمي

بدمشق^(٦) ، درس في الدار البيضاء مرحلته الثانوية ، وتخرج بكلية الآداب في الجزائر (١٩٢٢) ، وسمى أستاذاً في معهد الدراسات المغربية في الرباط (١٩٢٤ — ٣٥) ، وانتقل إلى باريس محاضراً في الصوريون (١٩٣٨) فمديراً لمدرسة الدراسات العليا العلمية (١٩٤٢) وأشرف علي مجلة (المعرفة) الباريسية بالعربية والفرنسية ، وتوه كتب التراجم بمشاركته في خدمة القضايا العربية المغربية والفلسطينية .

من آثاره : يمكن أن نقسم آثاره إلى زميرتين الأدبيات والإسلاميات .

الأدبيات : وتتضمن بعض التراجم والفهارس فيما تتضمنه من الدراسات الأدبية ، وعلوم العربية ، وتشير بعض التراجم الى وفرة آثاره التي يمكن ان نصنفها الى الفهرسة مثل : فهرسة المخطوطات المستجدة في المكتبة العامة لمحمية المغرب (١٩٢٢) ، وتراجم مثل : ترجمة طبقات الأئم لصاعد الأندلسي (تحقيق ١٩٣٥) وتراجم ودراسة مثل : الوليد الأموي الثاني (١٩٣٥ — ٤٥) والوزير الشاعر : ابن زمرك (١٩٣٦) ، وفي علوم اللغة العربية وآدابها مثل : قواعد العربية الفصحى (١٩٣٧) ، و : تاريخ الأدب العربي (١٩٥٢) وقد نقله الى العربية د / إبراهيم الكيلاني ، وفي مقدمة دراساته الأدبية : أبو الطيب المتنبي الذي ترجمه الى العربية د / أحمد أحمد بدوي^(٧) ، حيث أثار في دراسته الأدباء والنقاد الذين تحدثوا عنه مثل المرصفي والاسكندري ، ومبارك والمازني ، ويؤكد محمد المبارك أن (بلاشير) كان استاذ د / طه حسين في هذه الدراسة حيث (سرق) الأخير منه معظم أفكاره .

وعلى كل حال فإن تضلعه بالعربية علماً وأدباً ودراسة ووفرة آثار رشحته أن يصبح عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وكتب عن : الدراسات العربية في أوربا (مجلة المجمع عدد ٦) ، ثم : أهم مواضيع شعر الغزل على عهد الأمويين بدمشق (حوليات معهد الدراسات الشرقية : ٥ ، ١٩٣٩) .

ومع هذا فهل نفترض أن اعتبارات سياسية ضمنية وفرنسية خاصة تدخلت في ترشيحه لعضوية المجلس ؟ أم أن (شهرته بإخلاصه للعربية وفرضه تدريسها في

بعض المعاهد الثانوية الفرنسية ، ومشاركته في خدمة القضايا العربية كما يقول الزركلي في أعلامه) هي التي بوأته هذا المنصب الرفيع ؟

إن احد الاحتمالين أو كلاهما ، بالإضافة الى وفرة آثاره وعمقها ، له دوره وأثره الذي لا ينكر ، وربما ليوضع (بلاشير) وأعماله تحت المجهر الفاحص الذي كان يكشف كل شيء .

وكتابه (المتنبي) (الذي يعد من أوفى وأوسع مآلف عن شاعر العروبة)^(٨) قريب في مكانته الأدبية من كتابه (تاريخ الأدب العربي — العصر الجاهلي) وإن كان مترجمه الدكتور ابراهيم الكيلاني قد أشار الى اعتراضات عديدة فيه .

٢ — **الإسلاميات** : ومن أبرزها كتابان : ترجمة القرآن ، ومعضلة محمد .

وليس من سبق النتائج في تحليل الكتابين وتقويم مضمونهما ، مانقدم به من تزييفه النص القرآني ومجانبته الموضوعية والتظاهر بالاعتدال في عرض الأفكار المشبوهة .

فإن غرضه الاستشراقي فيهما — وإن أخفاه بعبارات ملتوية — قد كشف عنه الباحثون ، وأبانوا مزاعمه وشبهاته .

الكتاب الأول : ويشتمل على : ترجمة النص القرآني ، والمدخل أو المقدمة .

أولا ترجمة « القرآن » إلى الفرنسية في ثلاثة أجزاء (١٩٤٧ — ٥٢) ، وأدخل فيه : تلك الغرائق الأولى ، وإن شفاعتهن لترجي . ضمن سورة (النجم) مما يدل على (خيانتة) العلم ، على حد قول محمد المبارك .

ومن المناسب أن أوجز الكلام على النقاط التالية :

١ — **ترجمة القرآن** : فالمستشرق بلاشير يعرف الحكم الإسلامي في ترجمته ، ونحن لانتناقشه من حيث معرفته بحكمة ترجمته من وجهة الإسلام لأنه لا يدين به ولا يقبل حكمه ، وإنما يمكن مناقشته طويلاً من حيث القدرة على ترجمة البيان الفني الرائع بالإضافة إلى استيفاء معانيه الواردة والمرادة ، والوفاء بجميع أغراض القرآن في صريح النص ودلالته وإشاراته .

وإذا كان بلاشير يعجز كأمثاله في ترجمة القرآن مبنى ومعنى فإنه غير معذور من الناحية الفكرية والثقافية أن يقصد بترجمته جلب المنافع المادية التجارية والمنافع المعنوية بين قومه وزملائه .

ولا يعيب بلاشير عجزه عن ترجمة كلام الله لو أنصف مع نفسه وعدل مع ثقافته ، وقدر القرآن كما ينبغي ، كما لا يعيبه أن يقي كما حدث للترجمات والمترجمين ممن سبقوه أو عاصروه ، ولكن العيب لافي جرائته على الترجمة وحسب وإنما في تعليقاته القصيرة وتفسيراته المقتضبة على النص القرآني فهل استطاع بلاشير أن يؤدي الترجمة والتفسير حقهما الفني والمعنوي ؟

وقد يكون بلاشير تجنب كثيراً من التشوهات الفكرية والانحرافات المعنوية بالإضافة الى محاولاته الاقتراب من المضامين القرآنية السامية والدقيقة . وقد تكون ترجمته أقل أخطاء وخطيئات في الفهم والأداء ، وأكثر تظاهراً بالاعتدال في تحرى المعاني والمباني القرآنية ، وأعظم تهدياً في التعبير عن البيان الإلهي الفذ .

ولكن المنطلق الفكري في مثل هذه الترجمة هو ربطها بناحيتين استشرقيتين هامتين : بشرية القرآن ، وتجريده من المقصد الإعجازي البياني على الأقل . وكلتا الناحيتين يقصد إليهما المستشرقين عموماً في جميع دراساتهم الإسلامية والقرآنية بألوان مختلفة واساليب متعددة .

وبلاشير المرتبط بالفكر الاستشراقي العالمي يترجم القرآن ويعلق على ترجمته بهذه الروح الاستشرقية التي (تحون) العلم ولا تحقق الغاية العلمية من الجهد الذي أنفقه لذلك .

فخيائته للعلم تبدو في إقحام كلام ليس من كلام الله إجماعاً ، ونفته الوقائع التاريخية والنسق الفني وكتب التفسير وأقوالها اتفاقاً ، كما سبقت الإشارة إليه ، وإخفاقه في جهوده متوقع في مثل ترجمته البيان المعجز لفظاً ومعنى حين يؤدي بالعربية ، فكيف إذا ترجم إلى لغة أخرى نصاً وتفسيراً .

فالتوهم بالقرآن أنه كسائر الكلام البشري المعتاد ، في حالة الشطط في القول والافتراء على الحقيقة ، أو أنه واحد من الكتب السماوية في حالة الاعتدال والإنصاف ، يوقع صاحبه فريسة الفكر الاستثنائي بنسب متفاوتة في التقويم الفكري السليم .

والحقيقة القرآنية الكبرى وحيه من الله بالاسلوب المعجز والبيان المتحدي ، فإذا تمثل الباحث هذه الحقيقة لايقدم على ترجمته مهما كان أدائه دقيقاً ومحكماً ، وإذا خالجه شك فيها أو أنكرها فإنه قد يقوم بالترجمة قياسياً على ما ترجمت فيه الكتب السماوية أو الكلام البشري المعتاد ، مع ما بين القرآن والكتب السماوية من فروق واضحة منها : ارادة الغرض الاعجازي البلاغي في القرآن ، وعدم إرادته في الكتب السماوية الأخرى .

ان (جول لايوم) صنف معاني القرآن بتصنيف النص القرآني نفسه ، وفي مافهمه منه ، ثم أتى (موتيه) فأتبعه باستدراكاته في التصنيف اللفظي المعنوي ، وكلاهما حاول أن يقدم مفاهيم قرآنية شاملة ووافية ، ووفقا الى حد لا بأس به في التبويب والفهم .

ثم أتى (د / احمد ابراهيم مهنا) وعمل تصنيفا معجميا سماه (تبويب آي القرآن الحكيم من الناحية الموضوعية) استوعب فيه من المعاني والمفهوم ما لم يستوعبه المستشرقان السابقان ويمكن لغير هؤلاء أن يزيدوا أو يعدلوا في التصنيف الموجودة .

وكما وقع الحال في التصنيف فقد وقع أغرب منه وأكثر انحرافا وتجنبا في الترجمات القرآنية التي لم تسلم جميعها من النقد والتعليق والتعقيب ، وأحيانا من التشويه والتغريب ، فما بالك اذا كانت الترجمات الى لغات عدة كل واحدة منها تترجم عن السابقة من غير الرجوع الى النص العربي الأول في سلسلة من السلم اللغوي المختلف .

١ — **ترجمات سابقة :** فقد بدأت الترجمات في القرن السادس عشر

وحدها ، وأحياناً مع النص العربي على يد الرهبان والقسس في إيطاليا وقبلها في الأندلس .

أ — فقد دعا (بطرس المحترم) (١٠٩٢ — ١١٥٦) إلى ترجمة كاملة للقرآن ، وكان رئيس دير (كلوني) في فرنسا وذلك بعد رحلته الثانية الى الأندلس ، حيث لجأ إلى مدرسة المترجمين من العربية الى اللاتينية في كليكة التي انشأها ريموند اسقف طليطلة ، وكلف بهذا العمل (بطرس) الطليطلي وشخصين آخرين وأنجرت الترجمة في (١١٤٣) وألحق بها رسائل تتعلق بالنبي والقرآن والإسلام ، وبين (اربنوس) أمثلة لما في هذه الترجمة من غموض وخطأ ، على الرغم من أنها استمرت معتمدة في أوروبا حتى نهاية القرن السابع عشر (وهى أقرب الى التلخيص الموسع منها الى الترجمة ، فهى لا تلتزم بالنص دقة وحرفية ، ولا تلتزم بترتيب الجملة الأصل العربي وإنما هي تستخلص المعنى العام في أجزاء السورة الواحدة ثم تعبر عن هذا بترتيب من عند المترجم المرسومة) .

ب — وعن هذه الترجمة اللاتينية تمت أول ترجمة إيطالية لاعن الأصل العربي كما زعم كذباً (١٥٤٧) .

ج — وعن الترجمة الإيطالية تمت الترجمة الألمانية على يد سالومون اشفجر (١٦١٦) .

د — وعن الترجمة الألمانية تمت الترجمة الهولندية (١٦٤١) .

هـ — ثم ترجم (دي ريبير) القنصل الفرنسي (١٦٤٧) أول ترجمة فرنسية باعتباره يتقن العربية (لكن في ترجمته كثيراً من المواضع الغامضة ولم يرودها بتعليقات لشرح المواضع الغامضة) .

و — وعنها ترجم إلى الإنكليزية (١٦٨٨) وإلى الهولندية (١٦٩٨) .

ز — وعن الهولندية ترجمة الى الألمانية .

ح — ثم ترجم للمرة الثانية إلى الفرنسية على يد (سافاري) (١٧٨٣) في مجلدين : في الأول مقدمة مقارنة بين هذه الترجمة ، والترجمات الأقدم والأحدث ، وفيها : حياة النبي ... وترجمة السور الأولى إلى السورة ١٤ ، وفي الثاني بقية

السور .

ط — وأقدم ترجمة انكليزية على يد (جورج سيل) (١٧٣٤) والطبعة الثانية (١٧٦٤) وانتشرت الترجمات حتى اليوم .

ى — وعنها ترجمت الى الألمانية على يد (تيودور أرنولد) (١٧٤٦) وترجمة المقدمة الطويلة الى الفرنسية (١٧١٥) .

ك — وأقدم ترجمة ألمانية عن العربية قام بها (دافيد فريدرش) (١٧٧٢) ، وهي التي قرأها (جوتييه) ومنها بدأ اعجابه واهتمامه بالاسلام . وفي السنة التالية ظهرت ترجمة ألمانية أخرى^(٩) .

وبعد هذا العرض الموجز لابد من أن ننوه بالأمر التالية :

١ — معظم الترجمات وباللغات المختلفة تنسب القرآن إلى الرسول وتضيفه إليه : مثلاً الترجمة الإيطالية الأولى بعنوان *L'Alcoran di Cometto* والترجمة الألمانية الأولى بعنوان *Alcoranus Morameticus* والترجمة الفرنسية الأولى *L'Alcoran de Mahomet* والانكليزية : *Thee Alcoran of Mohamet* والهولندية *Mohomets Alcoran* ، وأحياناً تنسب الترجمة إلى التركية ، ففي الترجمة الألمانية عن الهولندية *Vollstandiges Die Turkische Bibl* ، والترجمة الألمانية الأقدم (دافيد فريدرش) *Tuarkisches oren des Korans* .

٢ — بالإضافة الى العيوب اللفظية والمعنوية في الترجمات تقدم دراسات عن موضوعات قرآنية معينة مثل : رد موجز على المبتدعة وعلى فرقة المسلمين في ترجمة (بطرس المحترم) مع بحث عن : عقيدة محمد ، ونشأته وميلاده ؟

و : مقدمة عن حياة النبي محمد ، في الترجمة الفرنسية التي قام بها (سافاري) كما سبقت الإشارة ، ويقصد منها الجدل والرد أكثر من أي غرض آخر .

وواضح اعتماد الترجمات بعضها على بعض من غير الرجوع الى النص العربي ليس بسبب ضعفهم بالعربية وحسب وإنما للوثوق بالترجمات السابقة والاعتماد عليها ، فيما عدا بعض الترجمات القليلة التي رجعت إلى النص العربي الأصيل ،

يضاف إلى ماسبق تعيب كل ترجمة لما سبقتها واطهار نقائصها ، ومحاولة إبراز مزايا الترجمة الجديدة وإن اعتمدت على القديمة .

٢ - **ترجمات حديثة تالية :** وربما كان أحدثها ترجمة المستشرق الألماني (رودى بارث) فقد تحدث عنها في كتابه الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية^(١٠) في تدرج متطور حيث يقول : نشرت عام ١٩٥٠ اعتماداً على عينة ترجمة للسورة الثلاثين (الروم) من القرآن ، مقالاً عن « حدود بحوث القرآن » .

وقد ظهرت بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٦ ترجمة ألمانية كاملة للقرآن بقلمي ، هي ثمرة اشتغال عميق بالنص القرآني استمر سنوات طويلة ، وتقصد هذه الترجمة إلى المساعدة على فهم القرآن فهماً تاريخياً ، فهي تصيغ الأجزاء المختلفة على النحو الذي اعتقد أنها عنيت به عندما نطق بها النبي العربي ، وكثيراً ماتضيف إضافات معينة لتوضح العبارة الأصلية التي كثيراً ماتتصف بالابجاز والاقتضاب ، وتضع هذه الإضافات بين أقواس حتى يفرق بينها وبين النص الأصلي ...

ويبدو مما سبق : ترتيب الترجمة حسب النزول التاريخي ، كما تلفت النظر إلى الإضافات التوضيحية لتفسير الجملة القرآنية الموجزة .

وليس بين أيدينا النص المترجم لنرى مدى اقتباسه من الترجمات السابقة أو اعتماده على الأصل العربي ولكن من المرجح أن (بارث) لم يتقن العربية كغيره من المستشرقين عموماً والألمان خصوصاً .

وعلى أية حال فإن الترجمات القديمة والحديثة والمعاصرة توضح الاهتمامات العالمية بكتاب الله وإن قصدت فيما قصدته الطعن به وتزييف مصدره وأحكامه .

وربما اطلع (بلاشير) على هذه الترجمة أو اطلع (بارث) على ترجمة (بلاشير) مما جعل (بارث) يدعى أن ترجمته تساعد على فهم القرآن فهماً تاريخياً ، وزودت بتعليقات وإيضاحات تفسيرية لها أهميتها عنده ، وهذه الترجمة تحاول الابتعاد عن الطعون الفاشية والأخطاء الشائعة بأسلوب بعيد عن التناول اللفظي والنفسي الذي هو قريب في الوقت ذاته من الأسلوب والغرض الاستشراقيين .

وإذاً : فإن ترجمة (بلاشير) حلقة متميزة من بين الترجمات أذنت لنفسها في نقل البيان القرآني إلى الفرنسية بغرض استشرافي وتجاري .

مع ماتتضمنه من تجاوزات معنوية وانحرافات فكرية وتعبيرية .

٣ — الترجمة وفق ترتيب النزول : فقد بدأ (بلاشير) عمله بترتيب القرآن وفقاً لما ظنه أنه ترتيب نزول السور والآيات ، وفي طبعة أخرى عامة واسعة الانتشار (١٩٥٧) عاد إلى الترتيب الأصلي الوارد في المصحف والجزء الأول ظهر ١٩٤٩ والثاني ١٩٥٠ وفي ١٢٣٩ صفحة^(١٥) .

وإذا كان ثمة مانع شرعي ولغوي وفكري في ترجمة القرآن فإن هناك موانع في ترتيب (النص المترجم) وفق ظنون (بلاشير) .

والموانع هنا هي ليست في ترتيب النص المترجم على خلاف الجمع عليه وحسب وإنما في ترتيبه وفق فهم المترجم وجهده الذهني ومعلوماته التاريخية والنفسية وليس وفق الروايات الراجحة المسندة .

وفي الأصل لا أظن أن اعتراضاً مقبولاً قد يرد على تفسير القرآن وفق النزول أو الموضوعات أو الأحكام الفقهية أو إبراز المسائل اللغوية والبلاغية ، فإن علماءنا درجوا على ذلك من غير اعتراض .

وربما كان آخرها بالنسبة إلى التفسير حسب النزول : كتاب (التفسير الحديث) للمرحوم محمد عزة دروزة الذي يبدأ بعد الفاتحة بتفسير العلق ، ثم ن والقلم ، ثم المدثر ، ثم المزمل ، ثم المسد ، ثم الكوثر ، ثم سبح اسم ربك الأعلى ، ثم الغاشية ، ثم الفجر^(١٦) .

وكان مؤلفة يتوقع ان يصيب به نصيباً وافراً من الانتشار والذيع ولكن لم لاحظ ماكان يتوقعه له ، وذلك على الرغم من أن المؤلف واسع المعرفة ، خصب الإنتاج ، واضح العبارة من غير حشو ولا لغو .

قلت هذا لاشير الى ماقام به (بلاشير) من إعراضه عن الطريقة التاريخية أو بالأدق عن الطريقة الظنية والشخصية والعودة بالترجمة الى ترتيب المصحف

الشريف .

ربما لأن في ذلك أصداءً معينة لوضع القرآن الكريم في العالم ، ولما يترتب على ذلك من مكاسب مادية تجارية ومعنوية استشرافية .

ثالثاً : شبهات في : المقدمة : ومن الشبهات التي أوردها في (المدخل) أنه (شك في حرص الرسول على كتابة الآيات حال نزولها ، وأن خوفه كان شديداً لما نزل عليه لأول مرة ، فلا يمكن أن يكتب ما نزل عليه ، ولأن المسلمين كانوا في صراع مع يهود المدينة الذين كانوا يسيطرون على وسائل الكتابة ، واستخلص أن النص القرآني لم يكتب بأكمله في عهد الرسول . والحفظ مثل الكتابة لم يستطع أن يحافظ عليه ، وهو لا ينفي احتمال اختلاط النص الأصلي ببعض الزيادات الطفيفة التي أدخلت عليه في العهود المتأخرة .

وتساءل عن الأسباب التي جعلت الرسول لا يحرص على كتابة القرآن في عهده مفترضاً عدة احتمالات جعلها غير صحيح ... وأغرب تعليل قوله : إن ميل الرسول وأصحابه إلى ترك الأمور على ما هي عليه يؤيده ما اشتهر به العرب من أنهم لا يفكرون إلا في الحاضر ، ولا يهتمهم المستقبل ، وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده ، إذ لم تكن الحاجة ماسة إليه ، كما يؤيد ذلك عدم تعيين خليفة له (١٧) .

والشبهة هنا ضياع بعض القرآن بسبب خوف الرسول من الوحي ، واحتكار المدينة الكتابة ، ونفسية العرب بعدم الاهتمام في المستقبل .

إن أي احتمال سبق ذكره وصرح به أو لم يصرح غير وارد نهائياً بسبب نقل القرآن بالتواتر تلقياً وكتابة مما يفيد اليقين والقطعية التي يزول معها أي احتمال ، والأخبار والآثار في ذلك صريحة وفيرة .

هذه قاعدة عامة ومقبولة عقلاً وتوثيقاً ، تدفع أي افتراض مزعوم .

وبالتفصيل يمكن القول :

أ — خوف الرسول : فقد حدث الخوف للمرة الأولى وفي اللقاء المفاجيء ، فإنها

كانت غير منتظرة ولم ينزل عليه من الوحي سوى أول سورة العلق ، أما اللقاءات الأخرى فكان الرسول ﷺ يتوق إليها ويتوقعها ويرقبها وبخاصة في الأزمات الجهادية البيانية ، والإجابة على الأحكام الطارئة ، وتقرير العبر والتوجيهات إثر النوازل والأحداث ، والشواهد الصحيحة على ذلك عديدة ومعروفة^(١٨) .

وأحيانا كان جبريل يأتي الرسول بالصورة الإنسانية الوديدة المعلمة الأليفة .

فهل من الموضوعية أن تقاس فترة ثلاث وعشرين عاماً ينزل فيها الوحي على الرسول من غير خوف على اللقاء الأول ؟

ب — احتكار اليهود الكتابة : وهو احتمال غير واقعي في التاريخ فقد كان اليهود في المدينة على شكل قبائل وبيوتات منها بنو النضير والقينقاع وقرظة ولم تعرف قبائلهم ولا بيوتاتهم في مكة حيث نزل الجزء الأكبر من سور القرآن من حيث التعداد ، أما في المدينة فالمعروف أن مسالة اليهود لم يمض عليها أكثر من سنة واحدة حتى نقضوا العهد وأعلنوا المحادة .

فبالإضافة إلى كتبة الوحي في المدينة تشرف بكتابة المكّي منه المهاجرون والأنصار الكاتبون ، منهم : الخلفاء الأربعة ، ومعاوية ، وأبان بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وثابت بن قيس ، وأرقم بن أبي ، وحنظلة بن الربيع وغيرهم إلى جانب حفظته الكثيرين ومنهم : الخلفاء الأربعة ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو زيد ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وابن عمر ، وابن عباس ، ومعاذ بن جبل وجم غفير من الصحابة والصحابيات . ولنفرض أن اليهود لم يحتكروا الكتابة فهل يستعين بهم الرسول أمناء الوحي وهم قد خانوه في أقل من ذلك ؟ وهم وإذا احتكروها فهل عدم المسلمون المهاجرون والأنصار كُتّاباً وإن عرفوا بها في الأميين ؟

ان رواية تقول : كان كتبة الوحي يقاربون الأربعين إلى جانب كتاب الرسائل والأحكام^(١٩) ، وأحيانا كتب الحديث النبوي وحده الذي نهي الرسول عن كتابته لمن يلتبس عليه كلام الله بكلام رسول الله .

ج — نفسية العرب الخاصة : وهو احتمال مرفوض واقعاً واهتماماً ، فالواقع أثبت وجود الكتبة الذين كان يقول لهم الرسول : ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا .

والاهتمام الديني المفعم بأنبل العواطف والحماسة قد يغير أشياء في الطبيعة ، إن ثبت مثل ذلك في طبيعة العرب ، فالقرآن كان علم المسلمين ومرجعهم وعماد حياتهم^(٢٠) .

د — معارضة (كازنوف) وموافقة : ان (كازنوف) في كتابه (محمد ونهاية العالم) يقرر أن محمداً ﷺ مؤمن بأن العالم لن يستمر طويلاً بعد وفاته ، وإن الساعة ستقوم قبل موته أو بعده مباشرة ، فلم يعين من يخلفه على المسلمين ، يقول : نعلن أن السبب في إهمال أمر الخلافة بسيط ، وهو اعتقاده بان نهاية العالم قريبة ، وهي عقيدة مسيحية محضة ، ومن كان يقول عن نفسه : إنه نبي آخر الزمان الذي أعلن المسيح بأنه سيجيء ليتم رسالته^(١١) .

وقد سبق أن (كازنوف) يستنتج من هذا ، أن القرآن أدخلت إليه تغييرات وآيات ليست منه ، ورددنا على ذلك في حينه .

(وقد لاحظ بلاشير أن تفسير كازنوف لم يلق أي تأييد من الدارسين المسلمين ، كما أنه لايعتمد على أدلة قوية ، بل هناك مايدحض أقواله / من ذلك : أن الرسول ﷺ ، إن كان في العهد الملكي لا يذكر الا يوم القيامة ومايتصل بالجنة والنار ، فإنه لما استقر بالمدينة أصبح يدعو إلى العبادات والمعاملات ، وتنظيم العلاقات التي يجب أن تقوم بين المسلمين وغيرهم ، كما أن انتشار الإسلام في الجزيرة فرض على المسلمين منذ عصر النبوة أن يفكروا في الحياة الدنيا إلى جانب التفكير في الآخرة^(١٢) .

وإذاً فالقضية التي يحاول كل من (كازنوف) و (بلاشير) إثباتها هي : إدخال آيات من القرآن ليست منه ، وإن اختلفا في تفسير هذه الزيادة عليه .

فكازنوف يربط بفكره نهاية العالم ، وبلاشير يربطها بطبيعة النفس العربية التي

تألى التفكير في المستقبل . ومع هذا فإن (بلاشير) الذي يستبعد تفسير كازانوف السابق لأنه لم يلق تأييد الدارسين المسلمين فإنه يوافقه في سيطرة (نهاية العالم) على الرسول ، فهو يقول توضح لنا التجربة الأولى للنبي الجديد أنه مازال تحت وطأة النداء الإلهي يلزم خياله ، تصوره للكارثة الأرضية التي ستقضي على العالم وتصوره للحساب الأخير . ان الساعة لقريبة ، ولا تحديد للوقت الذي ستقع فيه على البشر ، وان هلعاً عظيماً سيصيب الآثمين الموسرين^(١٣) .

والشبهة هنا تقوم على عدم تعيين الخليفة قبل وفاة الرسول ، وإدخال آيات ليست من القرآن ولكن التفسير لذلك اختلف بين كازانوف وبلاشير ، على حين وافقة الثاني أن الرسول متأثر بنهاية العالم .

أما عدم تعيين الرسول خليفة عنه فهما أعرف الناس أن الحكم الإسلامي مبني على قواعد فكرية من الشورى والأخوة والمساواة والإسلامية ، وليست مبنية على الأشخاص . ولو أنها كانت مبنية على الأشخاص دون الأفكار لاختار رجلاً يخلفه من بيت النبوة ومن آل الرسول نفسه .

وهو الذي كان يوجه صحابته والمسلمين بقوله في حجة الوداع : ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا . ورواية أبي ذر : خليلي أوصاني ان أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدع الأطراف . ورواية غيره : عبداً حبشياً مجدعاً^(١٤) . ورواية أحمد وغيره : اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة وأما خضوع الرسول إلى وطأة النداء الإلهي : فالواضح أن أوائل ما نزل على الرسول من الوحي الإلهي : أول سورة العلق ، المدثر ، الضحى ، المزمل ... لم تصرح بنهاية العالم ولم تعرض إلى أحداثه فيما عدا قوله من سورة المدثر : فإذا نقر في النقر . فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير (الآيات ٨ - ١٠) .

ولا نعلم يقينا أن هذه الآيات نزلت مع صدر (المدثر) ومقرنة بها ، كما أن الآيات لا تشير إلى الكارثة العالمية التي ستحل بالأرض التي ستقضي على العالم ، وإنما هي مشهد خاطف للنفخ في الصور إيداناً بيده يوم القيامة .

وهي على كل حال لاتضع وقتاً طويلاً أو قصيراً لأحداثه ، ثم ان هذه الآيات ليست التجربة الأولى للنبي الجديد كما زعم بلاشير ، فالجمهور ماعدا جابرا كان يقول : أول شئ نزل من القرآن (اقرأ ...) .

أما سائر السورة فهي تبين موقف الوليد بن المغيرة في قوله : (ذرني ومن خلقت وحيداً ... لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) (١١ — ٣٧) ، وموقف أبي الأشدين (كلدة بن أسيد بن خلف) القوي المصارع ، ومصيرهما ، وقد تأخر كثيراً عن أول الوحي الى ما بعد الجهر بالدعوة .

وكذلك ماتبقى من السورة التي تنذر الكافرين وتبشر المؤمنين .

ولذا فان (المدثر) لم تنزل دفعة واحدة وانما نزلت وفق الحوادث وأسبابها المذكورة في (التفاسير) المعتمدة بأسانيدھا ، وهي قد تأخرت عن التجارب الأولى بالاجماع .

وموضوعها وإن تحدث عن مصير المعاندين المستكبرين فإنها تتحدث عن مصير أصحاب اليمين ، وليس فيها شئ من أهوال الكارثة الأرضية التي هي موضع الحديث .

ويلاحظ من بعض الآيات فيها ومن أسبابها أن نزولها متأخر ، فقد قال الله عن المكذبين : قالوا لم نك من المصلين ... والصلاة شرعت في حادثة الإسراء والمعراج في السنة الثانية عشرة للبعثة ثم لانجد ذكراً للساعة القريبة والبعيدة في جميع آيات السورة ، فالتوقيت ليوم القيامة وما يسبقه من أحداث غير وارد تماماً لا تصريحاً ولا تلميحاً .

اما سورة (المزمل) فقد نزلت بعدها ، وربما كانت (الضحى — والانشراح) بعد (المدثر) ... أو كانت (المزمل) بعدها ، واخيراً : إن تعبير (بلاشير) بـ (التجربة الأولى) غير دقيق من الناحية العلمية والعقدية ، فالنبوة حق ، وما نزل على الرسول من الوحي يقين ، أما التجارب ناحجة كانت أم فاشلة فهي من الأعمال الاعتيادية الخاضعة للتصديق أو التكذيب والانكار ولا يليق مثلها

مع الأنبياء . وأما قوله : وإن هلعاً سيصيب الآثمين الموسرين ، فإن أهوال القيامة وما يسبقها سيصيب (الناس) جميعاً (يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) الحج : ١ : ٤ .

الكتاب الثاني : معضلة محمد ﷺ . Le Probleme de Mahomet (٢١) ، وهو كتاب صغير صنفه بمناسبة اشتغاله بترجمة القرآن ، ولخص فيه أبحاث المستشرقين الذين كتبوا عن الرسول (٢٢) .

وعرض الكتاب بينه الى ناحيتين :

أولاهما : مواقف المستشرقين العامة والمتجنية من الرسول عليه الصلاة والسلام التي لا تدع شبهة ولا افتراء إلا ألصقته به . وفي ذلك ما فيه من التأييد الضمني الذي يلوث سمعته كمستشرق معتدل .

ثانيهما : ربط هذه المواقف من القرآن الذي يوحى أنه من تأليفه ومن صنعه ، وإلا فما العلاقة بين كلام الله وبين الرسول محمد إن لم يقصد من ذلك ربطاً بين الرسول وبشرية القرآن ؟

وفي كلتا الحالتين تقوم الشبهات وتتركز حول الأصول الإسلامية في (الرسالة) و (الرسول) .

فهو (يتحدث في كتابه عن مصدر القصص القرآني ، ذاكراً بالخصوص أن مما لفت انتباه المستشرقين هو التشابه الحاصل بين هذا القصص وبين القصص اليهودي المسيحي . وقد كان التأثير المسيحي واضحاً في السور المكية الأولى ، إذ كثيراً ماتكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائداً في ذلك العهد عن شبه قوي ، ويفرض في هذا الصدد آراء بعض الباحثين ، مبنياً رأيه فيما يستنتج من العلاقات المستمرة التي كانت تربط بين مؤسس الإسلام والفقراء المسيحيين بمكة ...) (٢٣) .

وكان (جولدزهير) أحد المستشرقين الأعلام الذين تقدموا بمثل هذه الافتراءات . وهي المصدرة التي يصنفها الى عنصرين : خارجي وداخلي ، ويقول :

فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً والتي رآها جذيرة بأن توقف في بني وطنه عاطفة دينية صادقة ، وهذه التعاليم التي اخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورة لإقرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله .

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى اعماق نفسه ، وأدراكها بإيجاء قوة التأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيّاً الهياً^(٢٤) ...

وبالإضافة إلى جولدزهير فان (جب) و (نيكلسون) وغيرهما من المستشرقين العلمانيين ، وأمثالهما من المستشرقين الرهبان يدورون حول هذه القضية ويعالجونها كل حسب مقدرته الفكرية والبيانية مهما ابتعدت عن الحقيقة وجانبت الصواب . ويدعو من المتابعات التاريخية التي لا تصل إلى مرتبة التوثيق والصحة التي يحاول المستشرقون أن يبرزوها في أسلوب مدرّس وبحث منهجي أن هذه القضية (المصدرة البشرية) لهم ومن نتاج فكرهم الاستشراقي وحده ، كشفوا عنها وأبانوا عن خفاياها .

ولكن القرآن بيّن قدمها التاريخي ومعاصرتها للرسول نفسه حيث كان العرب يزعمون تردد (بلعام) أو غيره من موالي النصارى ، يعلم الرسول ماعنده من الإنجيل ويتعلم الرسول من (بلعام) أو (جبر) أو (يعيش) ، ويتلو ذلك آيات على الصحابة ، فرد الله ذلك بقوله : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ (النحل : ١٠٣) . وهنا ينبغي أن نلفت ذهن المستشرقين إلى جملة من المضامين القرآنية التي ترد عليهم افتراءاتهم .

١ — هناك قصص قرآنية تتشابه مع قصص التوراة والإنجيل ، فهل الاحتمال الوحيد هو أن محمداً آخذها من الأخبار والرهبان ؟

وهناك قصص تختلف عما في الكتاب المقدس المقدس ليس هناك احتمال

اقرب وهو : اشتراك التشابهات في مصدر واحد طالما أن ثبوت النبوت وحكمتها واقعة في التاريخ ؟ في حوادث وأحداث ، وفي صفات خلقية وخلقية ينسبها (الكتاب المقدس) الى الأنبياء ، ولم يتابعه القرآن في ذلك وعصم الأنبياء من كل سوء ومعصية بسبب نبوتهم ، فلماذا خالف القرآن في أجزاء من القصص ووافقهم في الأخرى ؟ إن الاحتمال الذي ينوه بأخذ الرسول من (الكتاب المقدس) يظل هنا تماماً لأنه لا يمكن أن يجتمع في شخصية الرسول صفتان لاتليقان بمقام النبوة ولم يعرفا من حياته قبل النبوة وبعدها ، وهما الخيانة والتزوير ، فالمعروف عن الرسول الصدق والأمانة في أقواله وأفعاله وأحواله ، وشهد له بذلك أعداؤه وأصحابه على السواء .

وقد لفت الباحث المسلم (مالك بن نبي) نظر المنحرفين بإيراد نماذج من القصص مقارنة بين القرآن والكتب السماوية المقدسة ، ومنها سورة (يوسف) واستنتج منها أصالة النبوة واستقلالية الوحي القرآني . واشاد (بوكاي) بمزية القرآن الأولى وهي صحته وسلامته من الاقتباس ، كما نبه (الطيباوي) الى ذلك بنماذج استشرافية متعددة .

٢ — هناك قصص قرآنية زائدة على ما في التوراة والإنجيل وهي قصص : عاد وثمود وغيرهما ، فمن أين أخذها الرسول ووضعها في القرآن وهي لم تذكر في الكتب السماوية السابقة ؟ والاحتمال الذي يقول : إنه اخذها من تراث الجاهلية باعتبار أنها جزء من تاريخ الجزيرة العربية شمالها وجنوبها ، مرفوض لأن الرسول عندئذ يوهم نفسه أنه يواجه الجاهلية وينكر مفاسدها ويوعظ بتاريخها ثم هو يعتمد في ذلك كله على مصادر جاهلية حية معانية . والقرآن ندد بالكفر والكافرين منذ وجود الكفر والكافرين في اصقاع واسعة من العالم العربي فكيف يتخذ من الكفار مصدراً عن أهله وقومه ؟ وهل مثل هذا المصدر يوثق بأمانته ونقله وصدقه ؟ (٢٥) .

٣ — والتشريع القرآني ليس تشريعاً نصرانياً باتفاق ، وليس تشريعاً يهودياً لأن الله تعالى ينص على التشريع اليهودي بنسبته إليهم ، مثلاً قوله (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) (المائدة : ٤٥) . و (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه

من قتل نفساً ...) (المائدة : ٣٢) . و (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة ...) (الاعراف : ١٤٥) . و (لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ...) (الانبياء : ١٠٥) ، واذا وجد في القرآن بقايا من أعمال الحج وغيره المعمول به في الجاهلية فإن تشويبه عما كان يؤديه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دليل على أن القرآن رجع الى صفاء العبادة وتوحيد العقيدة التي كان إبراهيم يبشر بها .

وعلى هذا فإن التشريع القرآني العظيم بما يتضمنه من كمال وشمول وخلود لا بد من أن يستقل بالوحي الإلهي فلا يتبع كتاباً أو إنساناً .

أضف إلى ذلك ما كان القرآن ينعى به على الأقوام السابقة من انحرافاتهم في العقيدة وعصيانهم في التشريع وطغيانهم في السلوك والأخلاق . فكيف بعد هذا يمكن أن يأخذ منهم أو من كتبهم ؟

٤ — وبالنسبة إلى ما يسوقه (بلاشير) . فهو يشير إلى ما يسمى بإنجيل الطفولة ، ويصرح أنه إنجيل غير رسمي وكان شائعاً في مكة حينذاك ، ولكنه لم يأت بأي دليل يثبت صحة ما يدعيه ، سوى أنه يشذ عن إجماع الكنسيين بقول مرفوضه ، أو الاعتماد على إنجيل غير مقبول عندهم ، فكيف يقبله الفكر الاسلامي والبحث الموضوعي .

ثم لم نفهم ماذا يقصد (بلاشير) من قوله بوجود علاقات مستمرة بين مؤسس الإسلام والفقراء المسيحيين بمكة . فهل يقصد بها علاقات علم وتعليم ، أم علاقات إحسان واستحسان ، أم علاقات دعوة وتبليغ وإنقاذ الفقراء المسيحيين من ظلم الفقر وتعسف الوثنيين ؟

إن من الطبيعي وجود (علاقات) بين الأديان السماوية وأصحابها ، وغالباً ماتكون هذه العلاقات في الأصل واقعة في إطار التسامح والتفاهم اللذين رفع الرسول لواءهما في مكة والمدينة ، ومنع أصحابها أكرم ما يمنحه حاكم ورسول ، فكيف تكون إذاً طبيعة هذه (العلاقات) بين الرسول وبين جماعة يؤمن بنبيهم ونبوتهم ؟

ويبدو من عرض (بلاشير) السابق ، توافق (القصص اليهودي المسيحي)

كجانب أول يمكن مقابله مع القصص القرآني كجانب ثان .
ولكن الذي يبدو غريباً وغير منطقي هو الإقرار بالتوافق والاشتراك في القصص
اليهودي المسيحي ، وما ذكر في الأناجيل منها موجود في أسفار التوراة ، وما قصه الله
علي لسان عيسى متماثل أو متشابه لما قصه الله على لسان موسى وهارون عليهم
السلام .

وهذا وضع مقبول منطقاً وعرفاً ، ولا يستطيع أحد رفضه أو إنكاره إلا ماحرفه
الأخبار والرهبان بعلمهم وشهاداتهم ، وكل ذلك منسوب إلى مصدره الإلهي من غير
(تأثر ولا تأثير) ، إذاً فلم يختص (التأثر والتأثير) في التشابه القرآني وحده ؟

وإذا كان عرض مثل هذه المقتريات عرضاً يوحى بالإقرار والموافقة الضمنية
التي يحاول فيها (بلاشير) أن يقنع المثقف بالتجرد والموضوعية من خلالها فإن
من خيانة الحقيقة ومجانبة العلم أن تصبح (معضلة محمد) كما يسميها ، معضلة
الحقيقة الفكرية التي سكت (بلاشير) عنها ولم تدفعه المسؤولية العلمية إلى بيانها
وإشهارها .

وأخيراً فإن (بلاشير) العضو الجمعي بدمشق لم يقدم للمجمع أي بحث
أو محاضرة سوى مقال واحد أو اثنين فيما أعلم — تقديراً منه على التكرم الذي
أحاطه به المجمع — كما فعل (ماسينون) في الجمعين القاهري والدمشقي ،
(و(كرينكوف) في المجمع الدمشقي ، و(عبد الكريم جرماوس) في المجمع
العراقي .

جدول بالمستشرقين الجمعيين في المجمع العلمي العربي بدمشق

إن العدد الكبير لجمعيين دمشق يجعل من الضرورة إحصاءهم في جدول
يعرف بهم وبأشهر أعمالهم داخل المجمع وخارجه مع الإشارة إلى شيء من
شبهاتهم ، ثم نستخلص النتائج الهامة .

أعماله — آثاره	بلده	حياته	المستشرق
<p>تجمعي في عدد منها — مثل بلاده في معظم مؤتمرات المستشرقين — رتب حوالي ٣٠ ألف ترجمة للمعاهد العرب في الأندلس ، تخصص في الفلسفة والتصوف</p> <p>أمين المخطوطات والكتب الشرقية ببلدان — استاذ العربية بجامعة ، دراسته عن الإامية وجنوب الجزيرة العربية</p> <p>رؤف الأبناء (١٩٤٠ — ٤٤) ، تجمعي في عدد منها — رئيس قسم الدراسات الشرقية والأفريقية (١٩٤٦ — ٤٧) .</p> <p>محاضر اللغات السامية ولطضارة الإسلامية (١٨٩٦) — له مؤمنة طوبوغرافية بصحران سورية ، وألف : مؤمن تاريخ الإسلام (١٩١٤) — رحل كثيرا إلى الشرق الأوسط .</p>	<p>اسباني</p> <p>هولندي</p> <p>انكليزي</p> <p>دانركي</p> <p>نمسائي</p>	<p>١٨٧١ — ١٩٤٤</p> <p>١٨٨١ —</p> <p>١٩٠٥ — ١٩٦٩</p> <p>١٨٦٧ — ١٩٣٨</p>	<p>١ — آسين بلاسيوس — ألي Asin Palacios</p> <p>٢ — أزالديك س Arendenk, C, Von</p> <p>٣ — أبري . أ . ج Arberry, A.J</p> <p>٤ — استروب ج = أليستروب Oestrup, J.E</p> <p>٥ — أشتولز — كارل . A. K.</p> <p>٦ — باسيه رينه Basset, renet</p> <p>٧ — براون — إدوارد Browne, E, G</p>
<p>تعمق في الأخلاق والمعادن التونسية ، رأس مؤمن المستشرقين في الجزائر (١٩٠٥) تعمل في الجزائر — عميد كلية الجزائر ، عضو في مجامع عديدة .</p> <p>درس الطب انتدب لتدريسه في إيران (١٨٨٧) اشهر تجمعه بين الطب والمعلوم الطبيعية — عضو في الجمع البريطاني .</p>	<p>فرنسي</p> <p>انكليزي</p>	<p>١٨٥٥ — ١٩٢٤</p> <p>١٨٦٢ — ١٩٢٦</p>	

المستشرق	حياته	بلده	أعماله — آثاره
٨ — بليرسن — جون Pedersen, J	١٨٨٣ —	دانمركي	اهتم بالنبوة والانجيل ، له : اسرائيل في مجلدتين (١٩٢٠) ، ترجم القرآن الى الدانمركية — اتصل بعلماء الأهرم — كان في بلاد عربية — عضو في الجمعية الشرقية الألمانية ، وجمعية الألسن ، وجمعيات أخرى .
٩ — بروكلمان — كارل Brockelmann, C	١٨٦٨ — ١٩٥١	ألماني	استاذ في جامعات برلين ، وهاله وغيرهما وعضو في جامع برلين وودابست وغيرهما ، وجمعيات آسيوية كثيرة — غزير الاناج تحقيقا ودراسة .
١٠ — برتلس — E, E Bertels	١٨٩٠ — ١٩٥٧	روسي	استاذ الكلية الشرقية بموسكو . له : الصوفية في ايران (١٩٢٧) والصحافة في افغانستان (١٩٣٤) ، وقته اللغة العربية (١٩٥٥)
١١ — بدين B.		الكليري	
١٢ — بلاشير ريجي Regis Blachere	١٩٧٠ — ١٩٠٠	فرنسي	استاذ العربية في المدرسة الوطنية بباريس — عضو في اكاديمية الفنون بفرنسا .
١٣ — بوفوا — لوسيان Bouvat, L	١٩٤٢ —	فرنسي	محرم في مجلة العالم الاسلامي سنوات ، له تاريخ البرامكة ، الاسلام في افريقيا السوداء (١٩٠٧) ، الاسلام رسالة وسياسة (١٩١٢) الشيوعية والاسلام (١٩٢٢) ...
١٤ — بوهل Buhl, F	١٨٥٠ — ١٩٣٢	دانمركي	متمكن من العربية ، استاذ للمعهد القديم بجامعة كوبنهاجن — رحل الى الشرق وفلسطين
١٥ — بيرد — دودج Baird, Dodge	١٨٨٨ —	امريكي	رئيس الجامعة امركية نيويوت (١٩٢٣ — ٤٨) مستشار هيئة الأمم المتحدة لوكالة عوث اللاجئين — محاضر في جامعة برنستون ١٩٥١ استاذ زائر في الجامعة الامريكية بالقاهرة (١٩٥٦ — ٥٩) .

المستشرق	حياته	بلده	أعماله — آثاره
١٦: فان بيرشم — Van Berchem	١٨٦٣ — ١٩٢١	سويسري	استاذ اللغات الشرقية في جنيف — طوَّف في سورية واستخرج آثارها من فلاعها وبراغها... له : سورية الجنوبية ، رحلة الى سورية ، نباتات عن الصليبيين ، آثار الباطنية ، وخرائط عن مقاطعات سورية ولبنانية .
١٧: جب . هـ . ١٠ — Gibb, Hamilton, AR	١٨٩٥ — ١٩٧١	انكليزي	مولود في الاسكندرية — علم في الاستشراق — مجي في القاهرة عند تأسيسه — استاذ بجامعة لندن (١٩٣٠ — ٣٧) واكسفور (١٩٣٧) وهارفارد (١٩٥٥) مدير مركز الدراسات للشرق الأوسط (١٩٦٢) — غرور الاناج .
١٨: جراتيلي — فرنسيسكو Gabrieli-F	١٩٠٤ —	إيطالي	استاذ في جامعة رومة — متخصص في الشعر المجالي والتاريخ الاسلامي — مجي في عدد منها — غرور الاناج .
١٩: جريفيني — أوجيرو Griffini, E	١٨٧٨ — ١٩٢٥	إيطالي	أمين الادارة اركان حرب طرابلس (١٩١١ — ١٣) كلف برسم خرائط المدن والبياع — مساعد لأمين مكتبة ميلانو — مدير المكتبة الكنية بالقاهرة (١٩٢٠) غرور الاناج .
٢٠: جولدزهر — اغناطيوس Goldzher, Y	١٨٥٠ — ١٩٢١	مجري	استاذ بكلية العلوم بجامعة بوداست (١٨٧٣) انتدبه حكومته للقيام برحلة الى سورية (١٨٧٣) ثم رحل الى فلسطين وصر والبقى بمحمد عبده وعتو — عضو في مجمع العلوم المجري (١٨٩٣) وكامع علمية ، حضر مؤتمرات استشرافية — مكتبته تزيد على ٤٠ ألف مجلد ، اتاجه غرور .
٢١: جويدي — اغناطيوس Guidi Ignazio	١٨٤٤ — ١٩٣٥	إيطالي	استاذ الأدب في الجامعة المصرية (١٨٠٨) عضو مراسل في مجلس الأعيان برومة — شيخ المشتون في اللغات السامية — غرور الاناج .

أعماله — آثاره	بلده	حياته	المستشرق
لبناني الأصل تخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت — استاذ تاريخ العرب في الجامعة السابقة ، وجامعة برنستون استاذ للآداب السامية — مجع في عدد منها .	امريكي	١٨٨٦ —	٢٢ — حتى — هيلف F Hittl
استاذ في معهد فرنسا (١٩٠٥) ومدرسة اللوفر (١٩١٠) ومعاون في مجلة تاريخ الأدبان — قصد سورية للكشف عن آثار النصيرية وجبل الدررز والصفاء واللحاة — عضو في مجمع الكتابات والآداب الفرنسية — مجع في عدد منها .	فرنسي	١٩٥٨ — ١٨٦٨	٢٢ — روسو — رينه (ديرو) Dussaud, R
استاذ اللغات السامية بجامعة لوند (١٩٣٧) له : الزاوي بالوفيات صلاح الصفدي.	سويدي	١٨٩٧ —	٢٤ — ديدرغ S. Dedring
من الأعلام ، اشراف على معهد الآثار الألماني باستنبول ثلاثين سنة عميد كلية الآداب في فرانكفورت (١٩٤٩) .	ألماني	١٨٩٢ —	٢٥ — ريتز — هلموت Ritter, H
استاذ العربية في لينزخ — اوفدته الحكومة البروسية الى سورية والعراق (١٨٧٩ — ٨٠) امس معهد اللغات الشرقية ببولن ١٨٨٨ .	ألماني	١٨٤٥ — ١٩٣٠	٢٦ — ساخو — ادوارد زاخو Sachau, E
محاضر في الجامعات الأمريكية والأوربية — وكلية المقاصد والأركية ببيروت — زار سورية ومصر — منح ستهشادات دكتوراه فخرية ، رئيس الاتحاد الدولي لتاريخ العلوم بباريس .	امريكي بلجيكي الأصل	١٨٨٤ — ١٩٥٦	٢٧ — سارطون — جرج Sarton, G
استاذ اللغات السامية في جامعة أو رسالة إلى سنة ١٩٣١ ، اسهم في عدة معاجم ومجلات — اصبح رئيسا لمحرر مجلة العالم الشرقي — اشترك في مؤتمرات المستشرقين — غرير الانتاج .	سويدي	١٨٦٦ — ١٩٥٣	٢٨ — ستيرستين Zettersteen, K, V

أعماله - آثاره	بلده	حياته	المستشرق
<p>استاذ في جامعات ألمانية ، ولطامنة المصرية (١٩٣٤) والجزائر (١٩٥٢) عضو في جماع عدد - تخصص في التبريع الاسلامي - تحرير الانتاج .</p> <p>محاضر في العربية بلندن (١٩٢٠) واساذ في جامعات أوربية والجامعة الأمريكية ببيروت (١٩٤٤ - ١٤٥) واستقبل رئيس قسم الشرع الأوسط والأدنى (١٩٤٧ - ٥٥)</p> <p>استاذ بجامعة غرناطة (١٩٢٩) ومليد - مدير المعهد الثقافي العربي الاسباني - طوف سورية وليبان - سفير في بغداد ثم لبنان .</p> <p>وزير مفوض بالشرق - عضو بالجمعية الآسيوية - اخص بالعبية والجغرافية .</p> <p>تخصص في المعاجم ووقه اللغة - انشا مجلة الدراسات السامية في ليون (١٩٣٢) مجمي بالقاهرة .</p> <p>مدير المكتبة العامة ورئيس لجنة الآثار - أولفته حكومته الى الشرق لتعلم العربية ، تعرف على ادائها وعلمائها في بيروت ودمشق وحلب والقدس والقاهرة - محاضر في قسم اللغات الشرقية</p> <p>عضو في مجمع العلوم الروسي وليان - تحرير الانتاج .</p>	ألماني	١٩٠٢ - ١٩٦٩	٢٩ - شاخت - جوزيف Schaht, J
	انكليزي	١٨٨٨ -	٣٠ - غليم - الفرد = جيم - Grilame, A الفرد
اسباني	فرنسي	١٨٦٤ - ١٩٣٥	٣١ - غوز - ايليو = جوزيف Gomez, E اميلوجاريا
ألماني	روسي	١٨٦٥ - ١٩٤٩	٣٢ - فزان - جيرابيل Ferrand, G
		١٨٨٣ - ١٩٥١	٣٤ - كراشكوفسكي . Kraichkowski, I
يوغوسلافي		١٨٨١ -	٣٥ - كريسكو - يوسافتين Koroso =

أعماله — آثاره .	بلده	حياته	المشترك
ولى تحرير صحيفة فلدنية (أبو) العاصمة القديمة — علم العربية — يعرف لغات كثيرة — نادر الإنتاج .	انكليزي الماني الأصل	١٨٧٢ — ١٩٥٣	٣٦ — كريكون — فريتز Krenkow, F
من أوائل اساتذة الجامعة المصرية . له : فرنسيو مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر .	فرنسي	II II	٣٧ — كليمان — هوار Clement, H
محاضر لفقه لغات الشرق الاسلامي في جامعة كراكوفيا ، عضو مراسل في مجمع العلوم البولوني — رئيس اللجنة الاستشارية	بولوني	١٨٨٩ — ١٩٤٨	٣٨ — كوفالسكي — ت Kowalski, T.
مقيم في شمال افريقيا ، متخصص بدراسة تاريخه ولغاته واتصالاته — متوسط الانتاج	فرنسي	— ١٨٩٣	٣٩ — كولان — جورج = كولين جورج — سافن Colin G.S
استاذ مدرسة اللغات الشرقية بباريس قتل الانتاج في المغربيات .	فرنسي	— ١٨٩٣	٤٠ — كولان — جابريل Colin G
مترجم في سفارات دمشق وطرابلس الغرب واستنبول والقاهرة — قفصل في حيفا وطرابلس الغرب وأزمير — عضو في الجمعية الآسيوية تسمى بالشيخ يحيى الدبقي في كتاباته .	فرنسي	١٨٧٤ — ١٩٢٨	٤١ — كي . ا . = جي آرثور Guy, Arthur
مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة (١٩٤١) — استاذ بجامعة ليون (١٩٤٥) عضو في مجمع عديدة — متوسط الانتاج .	فرنسي	— ١٩٠٥	٤٢ — لاوست — هنري Lause, H

أعماله - آثاره	بلده	سنواته	المستشرق
كرسي العربية بكلية الآداب في لشبونة (١٩١١) بحمي بعلح لشبونة وتجميع التاريخ الجديد .	برتغالي	١٨٦٧ - ١٩٤٢	٤٣ - لويس - دافيد Lopes, D
مدير مدرسة تلمسان (١٨٩٨) درس اللهجات العربية - من أوائل المستشرقين الأوربيين .	فرنسي	١٨٧٤ - ١٩٥٦	٤٤ - مارسه - ليم Marçais, W
مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة - استاذ في الجزائر (١٩١٦) عضو في مجمع الكتابات والآداب - اختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين	فرنسي	١٨٨٦ - ١٩٦٩	٤٥ - ماسيه - هنري Massé, H
كبير المستشرقين في فرنسا - اشترك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر ١٩٠٥ - مستشار وزارة المستعمرات - أقام في القدس زيارته وحلب ودمشق واستنبول - تولي تحرير مجلة العالم الاسلامي (١٩١٩) عضو في مجمع عدة ونها بمصر غزير الإنتاج .	فرنسي	١٨٨٣ - ١٩٦٢	٤٦ - ماسينون - لويس Massig non, L
اسس مدرسة كندية للبحاث (١٩١١) انشأ مع زوفر مجلة عالم الاسلام (١٩١١) اختص بالاسلاميات	امريكي	١٨٦٣ - ١٩٤٣	٤٧ - ماكديونالد - د - ب Macdonald, D, B
مولود في الجزائر - مترجم في المدرسة العربية السورية (١٩٢١) له دراسات متعددة عن سورية .	فرنسي	١٨٧٣ - ١٩٢٦	٤٨ - مالنجو - العقيد Malinjoind, C
استاذ العربية في بودابست ، له : دليل القرآن (١٨٨١) والتفويض اليهودي (١٩١٦)	ألماني	١٨٥٧ - ١٩٤٥	٤٩ - مالمير - اهور Mahler, Ed

أعماله — آثاره	بلده	سنوات	المشرق
من الإعلام — استاذ العربية في أكسفورد — رئيس تحرير المجلة الملكية الأسبوعية — عضو في الجمع اللغوي البريطاني والجمعية الشرقية الألمانية — غزير الانتاج	مصري	١٩٤٠ — ١٨٥٨	٥٠ — ماهر Mahler
اختص بالتاريخ الاسلامي له : الوزراء والكتاب : للجهناري ، صفة الأرض : للخوارزمي .	مصري	١٩٤٠ — ١٨٥٨	٥١ — مارجوليث — د ، س Margoliouth, D.S
استاذ اللغات السامية بجامعة براغ — علم بمدرسة الكتاب المقدسة بالقدس (١٨٩٥) له رتبة لواء	مصري	١٩٤٠ — ١٨٥٨	٥٢ — موزيك — هانز Muzik, H, Von
د / في اللاهوت البولندي من باريس (١٨٨٣) استاذ العبرية والمعهد القديم في جنيف ثم اصيف اليه العربية وتاريخ الاسلام	مصري	١٩٤٤ — ١٨٦٨	٥٣ — موزال — آليا = موزيل Musil, A
استاذ في معهد اللغات الشرقية (١٩٠٧) وبرلين (١٩١٩) تخصص في فقه اللغة الجبشية والبيئة وجنوب الجزيرة العربية	مصري	١٩٢٧ — ١٨٥٦	٥٤ — موزيت — ادوارد Montet, Ed
مدير البعثة العلمية بطنجة واختص بالعرب ، اسلام وتزوج من مغربية — متوسط الانتاج	مصري	١٩٤٢ — ١٨٦٧	٥٥ — ميتوخ — اوجين Mitwoch, Eug
استاذ في جامعة القاهرة للفلك والأدب — عضو الجمع الايطالي وعدة مجامع ومنها مجمع القاهرة — اشرف على مجلة الدراسات الشرقية فمجلة الشرق الحديث — غزير الانتاج .	مصري	١٩٣٨ — ١٨٧٢	٥٦ — ميشور — بلير Muhoux, B
	مصري	١٩٣٨ — ١٨٧٢	٥٦ — فالينو — كارلو Nallino, C.A

المشرف	جاءه	بلده	أعماله — آثاره
٥٨ — هارتمان — ريتشارد Hartman, R	١٨٨١ —	ألماني	استاذ في جامعة لينينغ (١٩١٨) والعربية في جامعة برلين (١٩٣٦) عضو في عدة جامعات مدير معهد اللغات الشرقية بـ برلين .
٥٩ — هارتمان — مارتين Hartman, M	١٨٥١ — ١٩١٨	ألماني	مستشار القنصلية بـ برلين (١٨٧٦ — ٨٧) استاذ السريانية والدراسات الاسلامية بـ مدرسة اللغات الشرقية بـ برلين (١٨٨٧) انشأ معهد شرقي سوري (١٨٩٨ — ١٩٠٦) عالم الاسلام (١٩١٣) . ومصر وتركستان أصدر بمعاونة العلماء مجلة
٦٠ — هرويلد — أرنست = هرشفيلد أرنست Herzfeld, E.E	١٨٧٩ — ١٩٤٨	ألماني	من علماء الآثار وخاصة في منطقة دجلة والفرات استاذ الجغرافية التاريخية بجامعة بغداد (١٩٢٠) .
٦١ — هس — جان — جاك Hess, J.J	١٨٦٦ — ١٩٤٩	سويسري (فرنسي)	استاذ الآثار المصرية والآشورية في جامعة فرانكفورت ثم أقام بمصر — استاذ اللغات الشرقية بجامعة زوريخ .
٦٢ — هوسنام — ت Housma, M.T	١٨٥١ — ١٩٤٣	ألماني	كلف بانشاء والاشراف على دائرة المعارف الاسلامية (١٨٩٥) عضو في مجامع وجمعيات
٦٣ — هرجروني — سنوك Hurgron, C	١٨٧٤ — ١٩٣١	هولندي	مكث لحكومه في جابوة ١٧ سنة — زار مكة متسبياً بعد انفار (١٨٨٤) غادرها قبل موسم الحج — عميد العربية والفقه والأصول ولجديت في أوروبا .
٦٤ — هورفيتش — جوزيف Horvitz, J	١٨٥٤ — ١٩٣٦	ألماني	استاذ العربية في عليكرة (١٩٠٧ — ١٤) متخصص بالاسلاميات في المهد — انتقل الى جامعة فرانكفورت (١٩١٥)
٦٥ — هومل — فريتز Hommel, F	١٨٥٤ — ١٩٣٦		علم بالسامية في جامعة ميونيخ — متوسط الانتاج

أعماله — آثاره	بلده	حياته	المشرف
<p>قنصل بالمشرق (١٨٩٧) أمين سر ومترجم بوزارة الخارجية — متدب بمؤتمر المشركون بالجزائر (١٩٠٥) ، وكزنهاجن (١٩٠٨) قنصل عام (١٩١٢) رئيس مجمع الكتابات والآداب الفرنسية ١٩٢٧ ، عضو المعهد الفرنسي والجمعية الآسيوية غير الأناج</p>	فرنسي	١٨٥٤ — ١٩٢٧	Huart. Cl هيار Cl — ٦٦

١ - عاضرات المستشرقين مابين ١٧ نيسان ١٩٢١م - ١٢ نيسان ١٩٤٦م

التاريخ	الموضوع	جنسيته	المحاضر
٥ آذار ١٩٤١م	حياة ابن تيمية وفكره	فرنسي	١ - لاورست - هري Lwuse, H
٢٤ آذار ١٩٤٥م	وسائل اللغة العربية الى عالمها الثقافية	فرنسي	٢ - ماسيغون - لوزني Massignon, L

٧ - القالات والبحوث الاستشرافية في ثلاثين جزءاً من سنة ١٩٢١ - ١٩٥٥م

التاريخ	المجلد	الموضوع	جنسيته	الكاتب
١٩٤٩	١٤	جزء من رواية أبي عمر الزاهد غلام تملب	إنكليزي	١ - آيري A.J. Arberry
١٩٤٤	١٩	لغة العربية وسكان الأندلس في القرون الوسطى		٢ - بيترس - هنري B. H.
١٩٣٧	١٥	ديوان الوليد بن يزيد	إيطالي	٣ - جبرائيل - ف Gabrieli, Francesco
١٩٢٥	٥	نظم العقيان في أحيان الأحيان للسيوطي	أمريكي	٤ - هيتي - فيليب Hitti P.K.
١٩٥٥	٣٠	كتاب المجلس والأيس للمعاني بن زكريا النيراني	ألماني	٥ - ديتريش - ألبرت Dietrich, A.
١٩٥٠	٢٥	رسالة ابن سينا	ألماني	٦ - ريتز - ه Ritter, H.
١٩٥٥	٣٠	اللغة العربية في أفغانستان		٧ - شتولز - كارل
١٩٣٠	١٠	درس الآداب العربية	روسي	٨ - كراتشكوفسكي Kratchkovski I.
١٩٢١	٤	نغمي أوهام الأوزين في صعوبة تعلم اللغة العربية	فنلندي	٩ - كرسكو - يوحنا أهنتين Koroso. A.
١٩٢٩	٩	ترجمة الجاحظ	إنكليزي	١٠ - كرينكو - فريتز Krenkow, Fr.
١٩٢٩	٩	صلاح الدين الصفدي	إنكليزي	١١ - كرينكو - فريتز Krenkow, Fr.
١٩٣٠	١٠	تصحيفات عربية في معجمات اللغة العربية	إيطالي	١٢ - نيلينو - كارل Nelino, Carlo, A.
١٩٤٨	٢٣	الأوينسكو - برنامج وآماله		١٣ - هوكسلي - جوليان
١٩٤٣	١٨	كتاب المصايد والطاراد لكشاجم	ألماني	١٤ - ولفنسون - إسرائيل Wolfensonhn, Y.

دراسة وتعقيب :

إن مايلفت الذهن وجود العدد الوفير في المجمع العلمي العربي بدمشق والذي أضحى فيما بعد مجمع اللغة العربية ، ومن جنسيات وشعوب عديدة لا يخلو منه بلد أو شعب .

وإذا بلغ عددهم سنة ١٩٣٨م (١١٤) عضواً عاماً فإن الإحصائية التي بين أيدينا تمثل نصف الأعضاء من غير العرب مما ينبه الى تغلغل الفكر الاستشراقي العلمي في أرفع مؤسسة علمية لغوية بدمشق .

وفي الوقت ذاته لانجد مثل هذا العدد الضخم في مجمع عربي آخر حتى ولا في مصر التي استقطبت الثقافة الغربية قبل أي بلد عربي أو إسلامي آخر .

ومع هذه الملاحظة العددية فإن الدراسة الإجمالية تطلعننا على النواحي التالية :

١ — تناسب الأعمال والأنشطة الفكرية العليا : فقد جمع معظمهم بين الجمعية والجامعة ، وكان نشاط بعضهم الجامعي أبرز من نشاطه الجمعي ، وآخرون كانوا على العكس ، مع الإشارة الى أن نشاطهم الجامعي كان خارج سورية وجامعتها . مثلاً : (أراندوك) الهولندي أستاذ العربية بجامعة ليدن ، و (استروب) الدانمركي محاضراً للغات السامية والحضارة الإسلامية و (برتلس) الروسي أستاذ في الكلية الشرقية بموسكو ، و (بيرشم) السويسري أستاذ اللغات الشرقية في جنيف ، و (جويدى) الإيطالي أستاذ الأدب في الجامعة المصرية ، و (كولين) الفرنسي أستاذ بمدرسة اللغات الشرقية في باريس .

بالإضافة الى هؤلاء فإن العديد منهم كان يدرس في جامعات عربية أو في جامعات أقيمت في بلاد عربية وإسلامية .

مثلاً (جويدى) السابق و (دودج) الأمريكي في الجامعة الأمريكية ببيروت رئيساً ، وأستاذاً زائراً في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ومثله (فيليب حتى) في بيروت بالإضافة إلى جامعة (برنستون) الأمريكية ، وكذلك الانكليزي (جيوم) في الجامعة الأمريكية ببيروت . و (هوار) ، و (ماسينون) الفرنسيين في الجامعة

المصرية ، و(مارسه) الفرنسي أستاذ اللهجات المغربية ومدير مدرسة تلمسان ،
و(هوروفيتش) الألماني أستاذ العربية في (عليكرة) ، و(هرسفليد) الألماني
استاذ الجغرافية التاريخية في بغداد .

وكان بعضهم يجمع بين العضوية في مجمع دمشق والعضوية في جمعيات
ومجامع عربية وأجنبية ثانية ، تقديراً لأعماله وتكريماً لإنتاجه . ومنهم : (براون)
الإنكليزي العضو في المجمع البريطاني ، و(بدرسن) الدانمركي ، العضو في
الجمعية الشرقية الألمانية ، و(كراتشكوفسكي) الروسي العضو في مجمع العلوم
الروسي والإيراني و(كوفالسكي) البولوني ، العضو المراسل في مجمع العلوم
البولوني ، و(لويس دافيد) البرتغالي العضو في مجمع التاريخ بمدريد ومجمع العلوم
بلشبونة .

وبعضهم كان يتمتع بعضويته في مجامع عربية أخرى مثل : (جب)
الإنكليزي العضو المؤسس في مجمع القاهرة ، و(فيشر) الألماني العضو في
مجمع القاهرة أيضاً و(جيوم) الانكليزي العضو في مجمع بغداد .

وربما جمع أعلامهم العضوية في أكثر من مجمع أو جمعية في العالم العربي
والغربي ومنهم (فرنسيسكو جيرائيلي) الإيطالي و(اغناطيوس جولدزهير) المجري
العضو بمجامع علمية عديدة ومنها مجمع العلوم المجري ، و(رينه دوسو)
الفرنسي العضو في عدد منها ، وفي مقدمتها : مجمع الكتابات والآداب الفرنسية ،
و(شاخت) الألماني العضو في مجامع عدة ومنها مجمع القاهرة .

ومن الأعمال التي تتلاءم مع (أستاذتهم) و(مجعيتهم) رئاساتهم أو
عضوياتهم في مؤتمرات المستشرقين ولأقسام ثقافية أخرى .

فمنهم (آسين بلاسيوث) الإسباني الذي مثل بلاده في معظم مؤتمرات
المستشرقين ، و(رينه باسيه) الفرنسي رئيس مؤتمر المستشرقين في الجزائر ،
و(جولد زهير) المجري الذي كان يحرص على حضور مؤتمراتهم ،
و(سترستيل) السويدي الذي اشترك في العديد منها ، و(هنري ماسه) الفرنسي
الذي اختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين ..

أما المساهمون في اعمال فكرية أخرى فمنهم (آربري) الانكليزي رئيس قسم الدراسات الشرقية والأفريقية و(لوسيان بوما) الفرنسي محرر في مجلة العالم الإسلامي لسنوات ، و(هلموت ريتز) الألماني عميد كلية الآداب في فرانكفورت ، و(سارتون) الأمريكي رئيس الاتحاد الدولي لتاريخ العلوم بباريس ، و(هنري لاووست) الفرنسي ، مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة ، ومثله (هنري باسيه) ، و(هوتسما) الألماني المكلف بالإشراف على دائرة المعارف الإسلامية .

٢ — الجمع بين العضوية الجمعية والعمل العسكري والسياسي : وإذا عد الجمع بين العمل السياسي والجامعي غريباً في المنظور العلمي أو العلمي فإن اغرب منه حصول قائد عسكري ، أو موظف سياسي خطير على عضوية مجمع عربي أو عدد من الجامعات العربية والغربية .

وذلك لأن الأحداث السياسية والعسكرية قد تفتح آفاقاً فكرية مغرضة أو علمية للمفكر الجامعي ، فتتوسع النظرات والتأملات في القضايا المطروحة كبحوث جامعية ، إن لم تستعمل لصالح الاستعمار والغزو الفكري .

أما المجمع العسكري أو السياسي ، فماذا يمكن للمجمع اللغوي أو العلمي أن يفيد من وجهة المستشرق السياسية وعمله العسكري ؟

وفي الأصل كيف تسنى له أن يدخل في مثل هذه المؤسسة العلمية ؟ ومهامه فيها ؟ وما الأصداء النفسية لديه ولدى الجمعيين الآخرين فيما اذا دارت بينهم مناقشات لغوية أو علمية ؟

ومالذي يجنيه الفكر الاستعماري من وجود عملائه بأفكار سياسية وأعمال عسكرية في مؤسسات لغوية متخصصة ؟

إن قدرات المستشرق الفردية ومزاياه العلمية الشخصية لهما الأثر الكبير في صلاحية المستشرق لعمله الجمعي أو عدم صلاحيته له .

فالمستشرق الفرنسي (ماسينون) يمكن أن يقوم بدور مجمعي هام عن طريق

بحوثه أو محاضراته أو مناقشاته بما يتمتع به من قدرات متفوقة ومزايا علمية تدنيه من احترام المجاميع الذين يعلمون يقيناً عمالته لفرنسا وفكره السياسي الاستعماري .
ومثله (آريري) الانكليزي الذي تتلمذ على يديه العديد من العرب وتأثروا بأفكاره ، ونال شرف العضوية في عدد من المجامع العربية والغربية ، وبلغ أعلى المناصب السياسية حتى أضحى وزيراً للأبناء .

أما (هورجرونيه) الهولندي الذي نال شهرة ذائعة بين المستشرقين في تخصصاته في الفقه والأصول والحديث فقد ضرب الرقم القياسي في خدمة الاستعمار الهولندي في أندونيسيا طول (١٧) عاماً .

إن أمثال هؤلاء الأعلام لهم دورهم العلمي والدراسي في المجامع التي دفع بهم إليها ليحققوا أغراضاً سياسية واستشرافية معاً .

ولكن المستشرقين العسكريين ليس لهم دور يذكر في المجالات الثقافية واللغوية غالباً ، وهم أبعد مايكونون عن آفاقهما وبيئاتهما ، فهل نفترض أن وجودهم أو على الأقل وجود معظمهم يؤكد نوعاً من السيطرة الاستعمارية العسكرية على العقول الجمعية العربية ورصد نشاطاتها داخل المجامع وخارجها ؟

إن مثل هذا الافتراض لا يستبعد وقوعه في فترات كان العالم العربي تحت السيطرة العسكرية الاستعمارية التي تحاول أن تحكم قبضتها على الأفكار والموارد معاً .

فالعسكريون على قلتهم تنبه عضويتهم في المجامع العلمية الى الروح السائدة البغيضة التي تسري في غير أجسامها وإلى غير طبيعتها واختصاصاتها .

ولدينا نماذج متنايزة تعيننا على فهم أعمالهم ونشاطاتهم :

فالمستشرق الايطالي (جريفييني — أوجنيو) أمين في إدارة أركان حرب طرابلس (١٩١١ — ١٣) ثم شغل مدير المكتبة الملكية بالقاهرة (١٩٢٠) .

والعقيد الفرنسي (مالنجو) مترجم في المدرسة الحربية السورية إبان الاحتلال الفرنسي ١٩٢١ ، وله دراسات متعددة عن سورية .

واللواء التشيكي (موزيل ألوا) ربما كان أكثرهم معرفة باللسانيات فهو أستاذ

اللغات السامية بجامعة براغ ، وعلم بمدرسة الكتاب المقدس بالقدس
(١٨٩٥) .

وإذا استعرضنا أسماء وأعمال المستشرقين السياسيين الآخرين فإنها تكشف
عن عدد غير قليل منهم فاق العسكرين عدداً ، ونشاطاً علمياً وسياسياً .
فالفرنسيون أكثر عدداً ، أذكر منهم (جبرائيل فران) وزير مفوض المشرق
وعضواً بالجمعية الآسيوية .

(ورنه باسيه) قنصل فرنسا في الجزائر ، وعميد كلية الجزائر ورأس مؤتمر
المستشرقين فيها (١٩٠٥) .

(و هيار) قنصل فرنسا بالمشرق (١٨٩٧) ثم قنصل عام (١٩١٢) ورئيس
مجمع الكتابات والآداب الفرنسية (١٩٢٧) وعضو المعهد الفرنسي والجمعية
الآسيوية .

بالإضافة الى (ماسينون) السابق ذكره .

ومن الانكليز : المستشرق المشهور (جب) والجمعي في القاهرة والأستاذ
في عدد من جامعات انكلترا وأمريكا ، وكان مدير مركز الدراسات للمشرق الأوسط
(١٩١٢) .

(و الفردجيوم) المحاضر بعدد من العواصم العربية والاسلامية والغربية ، وكان
رئيس قسم الشرقيين الأوسط والأدني (١٩٤٧ — ٥٥) . بالإضافة إلى (آريري)
السابق ذكره .

ومن الأمريكان (دودج يبارد) احد رؤساء الجامعة الامريكية في بيروت
ومحاضر في القاهرة ، و (برنستون) وكان مستشار هيئة الأمم المتحدة لوكالة غوث
اللاجئين .

ومن إسبانية (اميليو غومث = جوميث) أستاذ في جامعاتها ، ومدير المعهد
الثقافي العربي الإسباني ، كان سفير بلاده في بغداد ثم في بيروت . ومن ألمانيا :
(مارتين هارتمان) الذي أنشأ معاهد شرقية في سورية ومصر وتركيا ، وصاحب

مجلة : عالم الاسلام ، وكان مستشار القنصلية الألمانية ببيروت
(١٨٧٦ — ٨٧) .

وإذا كانت السياسة لاتقوم على الأخلاقية حينذاك ، والسياسة يسرون وفق
الخطة المرسومة لهم من حكوماتهم فإن أي عمل فكري لهم مهما كان قليلاً أو
نادراً يتسم بالبعد الفكري المفروض الذي يتجلى في التعرف على اللغات المحلية
ورسم الخرائط الطبوغرافية للبلاد الإسلامية والإحصائيات المختلفة والدراسات
حولها ...

٣ — مجمعيون مسلمون : ويزداد عددهم عن المسلمين الجامعيين ، وأكثرهم من
السياسيين الذين يقتضي عملهم إعلان إسلامهم في ظروف وملابسات معينة .

والمسلم الذي يفترض حسن إسلامهم بما يراه من ظواهر أحوالهم والله يتولى
سرائرهم ويحدد بيانات تحدد نوعية إسلامهم يكون إسلاماً مصلحياً في بعض
الأحيان ، وإسلاماً سياسياً في أحيان أخرى ، وينبغي ألا يخدع بأقوال إسلامية لا
ترافقها أعمالها ومسئولياتها ، وأن يكون على وعي تام من أعمال مستشرقين تزوا يزي
العامة أو العلماء ، ومنهم (كراوس) الصهيوني ، و (جولدزهيير) المجري ،
و (ماسينون) الفرنسي .

ومن حقهم أو من حق إعلان إسلامهم علينا أن نذكرهم والقلب في رية من
صدقهم والنفس في شك من حسن إسلامهم إلا من عصم ربك .

فالمستشرق الهولندي (هورجرونيه) زار مكة قبيل موسم الحج وتسمى
بعبد الغفار (١٨٨٤) وغادرها الى (جاوة) ولم يعرف عنه الاستمرار على
الإسلام .

والانكليزي (فريتز كرينكوف) عمل في الهند (حيدرآباد) بدائرة المعارف
العثمانية واعتنق الاسلام وتسمى بـ محمد سالم الكرنكوي .

والفرنسيان : (كي . أ = جي أرثور) مترجم في سفارات دمشق وطرابلس
الغرب واستنبول والقاهرة ، ثم أصبح قنصل بلاده في حيفا وطرابلس المغرب وأزمير
تسمى بالشيخ يحيى الدبقي في كتاباته .

و) (بليرميشو) مدير البعثة العلمية بطنجة ، أسلم وتزوج من مغربية مسلمة .

٣ — في الإلتزام الجمعي :

لقد كرمت الجامعات المغربية عدداً كبيراً من المستشرقين ورفعت بعضهم إلى أعضاء مؤسسين بعضهم إلى أعضاء فخريين ، وآخرين إلى مراسلين .

وبلغ عددهم في مجمع دمشق حوالي ستين ، وفي القاهرة حوالي ثلث الدمشقيين وقریباً من ذلك في مجمع بغداد .

وكان منهم أعلام ، لهم صيتهم في بلادهم خاصة وبين زملائهم المستشرقين في مختلف أصقاعهم عامة .

والمكثرون منهم زاد إنتاجهم على أربعة مئة وأقل ما بين كتاب ورسالة ومقالة ومحاضرة .

وكان منهم مجيدو الفصحى كتابة وحديثاً ، وقد درسوها في بلادهم وفي الجامعات العربية لفترات متفاوتة . وكان منهم الجامعيون والجمعويون في أكثر من جامعة وجمع عربيين وغربيين ، يحاضرون في مواد عدة من الثقافة العربية والإسلامية وفي مقدمتها اللسانيات .

وهذه المزايا والنشاطات تؤهل للعمل الجمعي الغزير باعتبارها مسئوليات ينبغي أدبياً أن يلتزموا بها ويعملوا من أجلها .

فماذا قدم المستشرقون للمجامع التي كرمتهم بشرف عضويتها ، وبأوتهم ماتستطيعه من التقدير على صفحات مجلاتها ؟

ولنفترض أن كل واحد منهم قام بدراسة أو أعطى محاضرة واحدة فإن مايزيد عن مئة محاضرة ودراسة على الأقل كانت من إعدادهم وإنتاجهم في السنة الواحدة ، فإذا استمرت عضوية الكثيرين منهم مايزيد عن خمس سنوات فإن الدراسات الجمعية يزداد عددها أضعافاً مضاعفة ، وقريب من ذلك العطاءات التي يفترض تقديمها من امستشرقين في مجمع دمشق وحده .

ولكن ماذا نجد في العمل الجمعي الواقعي ؟

في مجمع دمشق محاضرتان للفرنسيين (لاووست) عن حياة ابن تيمية ،
(ماسينون) عن رسائل العربية الى غايتها الثقافية ، وأربعة عشر مقالاً أو تحقيقاً
جزئياً ، أو دراسة لمخطوط أو ترجمة مقتضبة .

وثلاثة من الانكليز ومنهم من الألمان وإيطاليين وأمريكي واحد وفلندي واحد
ايضاً .

فكيف عقلت العقول الاستشراقية في ولادة الدراسات العربية في المجمع
وكانت غزيرة الانتاج خارجها ؟

ولم القصور في الوفاء بالالتزام الأدبي الجمعي بعد ما بلغوا من التكريم مالم
يلغى كثير من الجمعيين العرب ؟

ربما شعر بعضهم بالعجز اللغوي أمام اللغويين المسلمين ، وربما آثروا السلامة
في عدم طرح شبهاتهم وأفكارهم الاستشراقية بعد أن طرد بعضهم منها ، وربما
خضع بعضهم لسياسة ثقافية موجهة في أن يستفيدوا من ذخائر المكتبات الجمعية
لبلادهم ونحوهم الخاصة ، ويضنون بعطاءاتهم الفكرية السليمة .

واحتالات أخرى يمكن أن تبرز بدوافع شخصية وقومية وفكرية .

وحسبنا أننا اطلعنا على إحصائية بأعمالهم لنذكر البون الشاسع بين التزامهم
الجمعي وبين استجابتهم المفترضة في الواقع .

من مراجع البحث وهوامشه :

(١) تاريخ المجمع العلمي بدمشق : احمد الفتّيح : القسم الأول ، (٢) السابق من ص ١٧٤ ، (٣) السابق ص ٢٣٦ ، (٤) مجلة المجمع : المجلد ٥١ ص ١٩٥ وما بعد للعام الدراسي ١٩٧٦م (٥) في (أعلام) الزركلي : كرنكو ، وأنه ألماني ، وفي (المستشرقون) : للعقيقي : كرنكوف ، وانه انكليزي (٦) في موسوعة المستشرقين ، (٧) لم يذكر (المستشرقون) عضويته فيه ، (٨) در الكيلاني في مقدمة الكتاب ، (٩) مختصراً من : موسوعة المستشرقين ، (١٠) من ص ٧٩ ، (١١) مناهج المستشرقين ١ / ٤٢ ، (١٢) السابق ١ / ٤٣ ، (١٣) السابق ١ / ٤٥ عن (القرآن) بلاشير : ترجمة : رضا سعادة ص : ٤٥ — ٤٦ ط بيروت ١٩٧٤ ، (١٤) وروايات أخرى في صحيح مسلم : الامارة ١٢ / ٢٢٤ — ٢٢٨ بشرح النووي ، وانظر البخاري في : الزكاة والترمذي في : الفتن ، (١٥) موسوعة المستشرقين ، (١٦) وانظر البرهان في علوم القرآن ١ / ١٩٣ (١٧) مناهج المستشرقين ١ / ٤٠ ، ٤٢ ، (١٨) انظر مثلاً : البخاري في تفسير : الضحى ، والحاكم في التاريخ ٢ / ٦١١ ، وانظر تفسير الطبري في سورتي : الضحى ، والمدثر ، وابن هشام في السيرة ١ / ٢٤١ ، (١٩) انظر : التراتيب الادارية : الكتاني ١ / ١١٥ — ١١٧ ، (٢٠) انظر أفكاراً طيبة أخرى في : مناهج المستشرقين ١ / ٤٠ ، (٢١) لم يشر صاحب (الأعلام) اليه ، (٢٢) موسوعة المستشرقين ، (٢٣) مناهج المستشرقين ١ / ٣١ ، (٢٤) العقيدة والشرعة في الاسلام ، ترجمة : د / يوسف موسى ، وزميله ص : ١٢ ، (٢٥) سيأتي مزيد من البيان حول قضية التشابه عند المستشرق (الفرد هيوم) .

ثانيا : المجمع المصري

تأسس ١٩٣٢ باسم مجمع اللغة العربية الملكي ومركزه القاهرة وكان يرأسه محمد توفيق رفعت باشا ، وتنص المادة الرابعة من مرسوم إنشائه : يؤلف المجمع من عشرين عضواً عاملاً يختارون من غير تقييد بالجنسية ، كما تنص المادة السابقة ، يجوز من غير تقييد بالجنسية أن يمنح لقب « عضو فخري » للأشخاص الذين يكونون قد قاموا بخدمات جليلة الشأن في دراسة اللغة العربية أو لمجتها ، ولا يجوز أن يزيد عدد الأعضاء الفخريين على العشرين . والمادة الثامنة للمجمع أن يمنح لقب « عضو مراسل » لكل شخص مصري أو أجنبي ... وليس لهم عدد محدود ، ثم ازداد عدد الأعضاء المصريين وغيرهم الى (٣١) ثم الى (٤٢) عضواً^(١) .

وأول لجنة عينت كانت مؤلفة من (١٥) عضواً عربياً ومسلماً و (٥) أعضاء أجنب هم : جب بمدرسة لندن للدراسات الشرقية ، وفيشر : بجامعة ليزج ، ونلليو بجامعة روما ، وماسينون : بجامعة فرنسا ، وفنسك بجامعة ليدن . ثم نص المرسوم الثاني بتعيين (ليتان) الألماني بدلاً من (فنسك) وترجمة المراسم الى الفرنسية . ثم صنف الأعضاء إلى إحدى عشرة لجنة : الرياضيات ، العلوم الطبيعية والكيميائية ، علوم الحياة والطب ، العلوم الاجتماعية والفلسفية ، الآداب والفنون ، المعجم ، اللهجات ، المجلة ، خزانة الكتب : الميزانية ، الأصول العامة^(٢) .

ويلاحظ اشتراك (نيللو) في لجان الرياضيات والمعجم والميزانية ، واشتراك (جب) في : الرياضيات واللهجات والمعجم ، واشتراك (فيشر) في أربع لجان : الكيمياء والمعجم ، واللهجات ، والأصول العامة ، واشتراك (ماسينون) في لجتين الاجتماعيتين الفلسفية ، والآداب والفنون ، و (ليتان) في المعجم ، واللهجات ، أما (هايم نخوم افندي) (ويظهر أنه يهودي) فقد اشترك في أربع لجان : المعجم رئيساً ، والمجلة ، والخزانة ، والاجتماعية الفلسفية .

ومن البحوث الأولى في العدد الأول : أسماء المسميات في شئون مختلفة ، تاريخ المجامع ، وفي تناظر العربية واليونانية والعربية واللاتينية ، اللهجة العربية العامة ، تيسير الهجاء العربي ، في علم الاشتقاق ...

ومن البحوث الاستشرافية حين تسمى مجمع اللغة العربية : وظيفة المجتمع في تشكيل الاصطلاحات : ماسينون ، وتطور علم الألسنة : جرمانوس ، أثر اللغة العربية في اللغة البرتغالية الأب ر ، دي ، سا

أولئك أعضاء عاملون ، أما الأعضاء المراسلون فقد تقرر اختيارهم بناء على اقتراح من رئيس المجمع اللغوي بدمشق محمد كرد علي عضو المجمع فيه برسالة بعث بها ، وفيها : (ان) وضع نظام العضو المراسل يتسع (به) نطاق المجمع لطائفة من العلماء اللغويين والأدباء لا يتسع لهم نظام الأعضاء العاملين ، ولهذا اقترح على المجمع أن يضم الى هيئته عدداً من الأعضاء المراسلين يختارون من مختلف البلاد العربية ... ثم اصطفى بعضاً من أهل العلم والأدب في سورية ، واقترح أسماءهم أعضاء مراسلين .. ورحب الأعضاء في مجمع (فؤاد الأول) بالاقترح ، وأن يختار أعضاء مراسلين من بين المستشرقين ايضاً^(٣) ومن هؤلاء :

١ — جبريلي : روما .

٢ — أريري : لندن .

٣ — لاووست : ليون .

٤ — ينرج : اوبسالا .

٥ — خليل مردم : سورية .

٦ — شفيق جبري : سورية .

وأعضاء آخرون من أقطار عربية أخرى^(٤) :

ثم تبع ذلك ١٩٥٢ ، عملان لهما صلة بالاستشراق : أولهما إنشاء : جماعة الدراسات الشرقية باقتراح من المستشرق (جب) التي ترمي الى نشر البحوث الشرقية الممتازة ، والاتصال بالهيئات العلمية للمستشرقين خارج مصر ، وتنظيم لجان علمية

وفنية خاصة تضطلع بالدراسات الشرقية ...

وثانيهما: اشتراك المجمع المصري في الاتحاد المجمعى الدولي وذلك باقتراح من السكرتير الإداري للاتحاد المجمعى الدولي بمدينة بروكسل ، والغرض منه التعاون الدولي لتقديم العلوم عن طريق البحوث والنشرات المشتركة حسب العلوم التي تختص بها المجامع الممثلة في الاتحاد^(٥) .

وكان المجمع سنة ١٩٤٢ قد أوصى بالاتصال بأعضائه المقيمين في الخارج ، واقترح أن تظل العلاقات بين المجمع وبينهم وثيقة ويبحث الى من يستطيع الاتصال بهم بنتائج ما يدرس في المجمع من المصطلحات العلمية والقرارات اللغوية^(٦) .

ثم دعى المجمع للاشتراك في المؤتمر الدولي الخامس والعشرين للمستشرقين الذي عقد بموسكو سنة ١٩٦٠ السنة التي تم فيها استصدار قرار رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر بإنشاء مجمع اللغة العربية بالجمهورية العربية المتحدة ، يندمج فيه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والمجمع العربي في دمشق ، مع بقاء كل منهما باعتباره مجعاً فرعاً^(٧) .

أعلام مستشرقون في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١ — كارلو نلينو الإيطالي Nollino, Carlo, Alfonso (١٨٧٢ — ١٩٣٨) خريج جامعة (تورينو) في العربية ، وفي وقت مبكر أوفدته حكومته إلى القاهرة فأقام فيها ستة أشهر (١٨٩٣) لا تعرف طبيعة إيفاده ، وفي عام (١٩٠٩) استدعته الجامعة المصرية استاذاً فيها لمادة الفلك ثم للأدب العربي ، ثم لتاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام (١٩٢٧ — ٣١) ، ومن خلال تدريسه يتبين أنه على اطلاع واسع في علوم شتى كالجغرافية والفلك والأدب والتاريخ والتصوف والفلسفة والفقه واللهجات ، وأتقن اللغة الفارسية ، وهو لهذا أصبح عضواً في مجامع عدة منها : المجمع العلمي الإيطالي ، والعلمي العربي بدمشق (١٩٢٠) واللغوي بالقاهرة منذ تأسيسه ، وتولى الاشراف على مجلة الدراسات الشرقية ، فمجلة الشرق الحديث .

أذكر من آثاره : تاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى (١٩١١ — ١٢) بالعربية وهو نص المحاضرات التي كان ألقاها في الجامعة في أول مقدمه ، و : تاريخ الأدب العربي (١٩١٥ — ١٧) ، ودراسات في التراجم مثل : الفلسفة الشرقية أو الاشرافية لابن سينا (١٩٢٣ — ٢٥) ونقله الدكتور (بدوي) في كتابه : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (القاهرة ١٩٤٦) ، وابن أفلح العربي السرقسطي (مجلة الدراسات الشرقية ١٣ ، ١٩٣١) ، وابن المقفع (السابق : ١٤ ، ١٩٣٣) ، وكتب في دائرة المعارف الاسلامية عن : ابن رشد ، ابن جابر ، الغزالي ، ابن سينا ، الفارابي ، الإباضية ، إخوان الصفا ..)

وفي اللغويات عمل : تصحيفات غربية في معجمات اللغة (مجلة المجمع العلمي بدمشق : ١٠ ، ١٩٣٠) ، وفي الفرق : آراء عن القرآن منسوبة للمجاط (مجلة الدراسات : ٧ ، ١٩١٦) ، وأصل المعتزلة (٧ ، ١٩١٦) وعقيدة المعتزلة والعبادة وطبيعة الخلافة (١٩١٧ — ١٩) والتصوف الإسلامي

(١٩١٩ - ٢٠) ، وفي الشريعة كتب عن العلاقات بين الشرع الإسلامي وبين الحق الروماني ، والحق الشرقي القديم والحق الشرقي المسيح وغيرها مما تعدد باكورة الدراسات في (تأثر) الشريعة بالقانون الروماني الذي كان يردده معه (جولدزهيير) في : العقيدة والشريعة ، وبعده (شاخ) في كتاباته وبخاصة محاضراته في الأكاديمية الإيطالية للعلوم بعنوان : القانون البيزنطي والشريعة الإسلامية (يولية - تموز ١٩٥٦) ، وربما سبقه (كاروزي) الإيطالي أيضاً في : صلات القانون الروماني بالقانون الإسلامي (الجمعية الإيطالية الشرقية للعلوم ٧ / ١٩١٣ م ، ورد عليهم باحثون مسلمون وغير مسلمين^(٨) .

وإذا طلب إليه المجمع المصري تصحيح أعلام البلدان في بلاد الإسلام ، وأنجز القسم الأعظم منه فإن باحثاً إسلامياً قال عنه : معروف بكتاباته ضد الإسلام^(٩) .

وذكر باحث آخر ان (نلليو) أشار إلى مدى دقة العرب في كتابة التاريخ ، وأنهم اتخذوا لذلك طرقاً بالغة الحيلة : أولاً : ذكر السنين .. مهما كانت البلاد التي وقعت فيها كما فعل الطبري ، وثانياً : العناية برواية الحوادث باعتبار سياقها على قدر الاستطاعة كما فعل المسعودي في : مروج الذهب ، وابن خلدون وابن الفطحي^(١٠) .

ولكن إشرافه على مجلة (الشرق الحديث) وإصداره لها مدة (١٧) سنة كشف جانباً من شخصيته السياسية والاستعمارية ، حيث ان المجلة (تعنى بسياسة الشرق ، وتقويم بلدانه وأصول سكانه وتطور الثقافة الحديثة)^(١١) .

وبنوه الدكتور طه حسين بمدى تأثير (نلليو) الفكري في عقلية الدراسين من شباب الجامعة فيقول : ما أعرف أن أحداً أثر في الحياة العقلية للشباب المصري في ذلك الوقت مثل الأستاذ (ليتان) والأستاذ (نيللو)^(١٢) .

وواضح أن الشهادة السابقة ليست تعليقاً غابراً وذاتياً أو شخصياً من إنسان عادي وإنما هي بيان للواقع الذي يقرر فيه د / طه حسين حقيقة ماثلة للعيان متجددة الفعالية والآثار .

كما أن وضوحه ظاهر في تأثير (نلينو) في (الحياة العقلية) (للشباب المصري) ، وليس قاصراً على المادة الأدبية أو التاريخية التي كان يحاضر فيها .

وأرجح أن التأثير الشباني العقلي له أبعاده الفكرية التي تتناول القضايا الإيمانية العلمية والغيبية عند طرح الشبهات في مصدرة الشعر الجاهلي ، ودراساته في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام الذي حاضر فيها وكتب عنها ، والتي لها صلة بدعوى المستشرقين عموماً بآدمية القرآن ، وعلاقة الإسلام بالحياة العربية وبالفقه الروماني^(١٣) .

ولكي يتضح اتجاه (نلينو) الاستشراقي ، أو على وجه الدقة (الاستعراي) لابد من أن نوه بالنقاط التالية :

١ — تاريخ القرآن : فقد قام المستشرق الألماني تيودور نولدكه (١٨٣٦ — ١٩٣٠) بعمل كتاب ضخم في ثلاثة أجزاء يؤرخ فيه للقرآن وآياته حسب الترتيب الزمني الذي توصل اليه بمعرفته التاريخية ، ثم (اخرج نلينو كتاباً جمع فيه أشهر السور القرآنية ورتبها ترتيباً تاريخياً على حسب النتائج التي انتهى اليها نولدكه في كتابه عن : تاريخ القرآن ، وأضاف اليها تعليقات ومعمجماً بأهم مافيه من ألفاظ قارنها بمقابلات في اللغات السامية الأخرى)^(١٤) .

ثم رتب بلاشير (١٩٠٠ — ١٩٧٣) كما سبق الكلام عليه : (وفق فهمه وجهده الذهني ومعلوماته التاريخية والنفسية ...) .

ويبدو من هذه الأعمال القرآنية : ان (نلينو) رتب السور القرآنية لابقصد تفسيرها ، وانما ربط مفرداتها بما يقابلها في اللغات السامية ، وهو هدف لغوي مقارن يحمل المثقف على تتبع اللفظة القرآنية تاريخاً وربطها بالأسرة السامية ليوهم صلة القرآن بالعمل الإنساني وليس بوحى الله تعالى .

لأن التفسير اللغوي المقارن يتبعه تاريخ نزول الآيات يقصد به إظهار العلاقة اللغوية بين القرآن والعبرية والفينيقية والبابلية لتبرز ثقافة الرسول اللغوية في القرآن وربطه بها على أنه منها ، وهو مقصد استشراقي معروف عملوا له بأساليب متلونة ،

المنصرون منهم والعلمانيون . ومن الناحية المنهجية فإن أسلوب العمل المنهجي غير سليم ولا يرضى عنه سوى المستشرقين أو بعضهم ، فاعتماد نيلنوفي ترتيب القرآن على النتائج التي انتهى إليها زميله نولدكه ، مرفوض منهجياً . لأن النتائج التي توصل إليها نولدكه ليست محل اتفاق بين المستشرقين أنفسهم فكيف بالمسلمين وعلمائهم ، وماقدمه (بلاشير) من (ترتيبه) وفق فهمه وجهده دليل قريب على الاختلاف ، وعلى كل حال : فإن ترتيب القرآن على حسب النزول مخالف لاتفاق المسلمين إذ هو يعتمد على روايات مظنونة وأفهام متشعبة ومختلفة ، ومن ناحية ثانية فإن أبسط مبادئ المنهجية هي اتباع المصادر الأولى والأصول العربية الإسلامية الموثوقة مادام الموضوع المعالج عربياً وإسلامياً وليس اعتبار نتائج (نولدكه) مسلمات تنسب عليها حقائق دينية ولغوية . وعلماءنا المسلمون عرفوا الدقة في المنهجية والتزموا بها ، وراحوا ينقلون شبهات الآخرين عنهم ومنهم مباشرة أو ممن يثقون بنقله وعزوه من المسلمين .

أما نيلنو ، وغيره كثيرون فإن اعتمادهم على بعضهم ، وثقة كل منهم بالآخر تبعدهم عن الغوص في المراجع الإسلامية وتجعلهم يقطعون النتائج من أيسر طريق وأقربه .

ولذا فإن عمل نيلينو مغرض من ناحيتين : المنهجية ، واللغوية المقارنة . ويكفي أن أشير إلى مقاله عن : نظام القبائل العربية في الجاهلية الذي (شهد به الأب لامانس في كتابه المشهور مهد الاسلام)^(١٥) وهو الكتاب الذي ربط به لامانس الإسلام باليهودية والنصرانية بعيداً عن الرسالة والرسول . وهذه (المقابلات) اللغوية تؤكد الربط في الاتجاه الاستشراقي العام وعند نيلينو بوجه خاص ، وذلك بطريقة عرضها الخاصة لتحقيق من ورائها الغرض المقصود .

٢ - رسوخه في المهام السياسية الاستعمارية : ففي تاريخ إيطاليا الإمبراطوري حرص مسعود على التوسع الاستعماري في إفريقية منافسة للاستعمار الفرنسي ..

ولكنها اتفقت مع فرنسا فيما بعد على توزيع الأقطار العربية الأفريقية ، وعلى استخدام المعلومات التاريخية والجغرافية واللغوية والدينية لدى المستشرقين .

فقد عرف التاريخ الاستعماري الإيطالي شخصيات استشرافية اتسمت بطابع عسكري وسياسي ، ومن هؤلاء : أوجينو جريفيني (١٨٧٨ — ١٩٢٥) أمين إدارة أركان حرب طرابلس (١٩١١ — ١٣) حيث كلف برسم خرائط المدن والبقاع في ليبيا . وفيتو (١٨٤٤ — ١٩٠٤) القنصل في بيروت ، و (أماري) (١٨٠٦ — ١٨٨٩) وزير مالية إيطاليا ، وشير ولي (ولد ١٨٩٨) نائب الحاكم العام في أفريقيا الشرقية ، كما عرفته دراسات خاصة عن ليبيا مثل : شعب طرابلس : بجونيوت (١٨٧٩ — ١٩٥٣) ، وتاريخ ليبيا منذ الفتح العربي : أرتوري روسي (١٨٩٤ — ١٩٥٥) و : ليبيا تحت حكم العرب والبربر والأتراك ، له ايضاً ... وكثير غيرها ...

ولكن دور نيلينو كان أرسخ في سياسة بلاده الاستعمارية فبعد (غزو إيطاليا لطرابلس لجأت اليه وزارة المستعمرات لتستعين بخبرته ومعرفته الدقيقة بأحوال العالم الاسلامي ، فكان مديراً للجنة تنظيم المحفوظات العثمانية ، وملكب الترجمة ، وفي هذا أفاد الحكومة الإيطالية فائدة قيمة ، خصوصاً فيما يتصل بنقل أسماء البلدان العربية في طرابلس الى اللغة الإيطالية ..)^(١٦) (وفي سنة ١٩٢١ أنشئ في إيطاليا معهد الشرق ، من أجل دراسة أحوال الشرق وشئونه السياسية والاقتصادية والثقافية وخصوصاً الشرق الاسلامي ، فعين نيلينو مديره العلمي ، وهذا المعهد هو الذي يخرج مجلة الشرق الحديث — التي سبق الكلام عليها — والتي تعبر عن نشاط هذا المعهد الدراسي)^(١٧) .

أما زيارته الى المملكة العربية السعودية وإقامته زمناً بجدة طاف خلالها ببعض مدنها مثل الطائف ، ومقابله الشخصيات السياسية الكبرى فقد نتج عنها كتابة القسم الأول من النظام السياسي والإداري والقضائي في المملكة ، ولكن الموت عاجله قبل أن يتم القسمين الباقيين الخاصين بالحياة الدينية والثقافية^(١٨) .

إذاً فهو ضليع بالعمل السياسي كمدير للترجمة ولمعهد الشرق الدبلوماسي

الاستعماري الذي قلما يحظى مثله بمثل هذه المكانة الاستعمارية التي عرف منها وحشية بلاده العسكرية وبربريتها في الشعب الليبي المستلم تحت سمعه وبصره وعلمه مما لم يشهد تاريخ الاستعمار نظيراً له .

وربما كانت مهامه السياسية وأعماله فيها منطلقة من تصوره المشوه عن الخلافة عموماً وعن الخلافة العثمانية خصوصاً . فقد كتب رسالة ، طويلة فيها ، ثم كتب عنها في مجلة (الشرق الحديث) (١٩٢٤) بمناسبة زوالها على يد مصطفى كمال أتاتورك .

ولا يخفى أنه طرح مشكلات دينية وعالمية وحكومية في نشأتها وتطورها وزوالها مثل ما كان يفعله زملاؤه المستشرقون جميعاً .

إن حقد نيلينو على الخلافة الإسلامية جعل منه مستودع معلومات استراتيجية وسياسية يزود بها السلطة العسكرية حينذاك ليعيد فيها أجداد الامبراطورية الرومانية التي قام بتحقيق شيء منها بعد قليل زعيم ايطاليا الفاشستي موسوليني .

٣ — مساهمته في الدعوة إلى العامة : إذا عد كتاب : نحو اللغة المغربية العربية مع استعمالات اللغة العامة : دومباي التماسوي (١٧٥٨ — ١٨١٠) أول بحث مفرد في اللهجة المغربية ^(١٩) اقتصر فيه على لهجة أهل طنجة ، فإن بدعة العامة قد حمل العديد من الانكليز لواءها في مصر أكثر من أي أمة أخرى .

نقد أثارها القاضي الانكليزي ولور ١٩٠٢ ، ثم المهندس الانكليزي ولیم ولكسوس ١٩٢٦ ومن قبلهما مستشرقون ومديرو دور الكتب المصرية من الانكليز ايضاً ^(٢٠) ، ومن الايطالين : فارينا (١٨٨٩ — ١٩٤٧) في : قواعد العربية الفصحى واللهجات المغربية . و : جريفيني السابق : معجم ايطالي طرابلسي ، وكاستلينوفو : معجم عامي ايطالي ١٩١٣ ...

ولكن نيلينو المحاضر بالعربية الفصحى مثل (جويدي) و (دلافيديا) و (ليتمن) الايطالين المحاضرين بالفصحى ايضاً في الجامعة المصرية ، أراد أن يتعمق في فهم طبيعة الشعب المصري في زيارته الدراسية الأولى مدة ثمانية أشهر من

سنة ١٨٩٣ وقبل أن يستقدم محاضراً في الجامعة للمرة الثانية ١٩٠٩ ، فدرس اللهجة المصرية دراسة لغوية مشبوهة ، وربما استعان بتجارب ونتائج المستشرقين السابقين في دراسة اللهجة المصرية بالإضافة الى ما كان يتردد على ألسنتهم والسنة المستغربين العرب من ضرورة (تطوير) الفصحى الى العامية ، أو إهمالها كلية والاهتمام بالعامية بما كانوا يطرحونه عليها من شبهات وأباطيل . ومهما يكن من أمر فإن نلينو أصبح واحداً من المستشرقين غير الانكليز داعية الى العامية بأسلوب يغلب عليه الطابع اللغوي المغرض ويبدو اتجاهاه الى العامية من جانبيين .

١ — التزامه بالاستعراب : فقد تخصص في دراسة الثقافة العربية الاسلامية وترك (الشرقيات) جانباً فيما عدا ماله صلة بالعربية ، وأراد أن يتميز عن سواه من الغربيين بهذا التخصص ، وهو أن يكون (مهتماً بالدراسات العربية وحدها دون غيرها من الدراسات الشرقية بخلاف غيره من المستشرقين الذين كانوا في الغالب يوجهون نشاطهم إلى أكثر من ناحية واحدة من نواحي الاستشراق من عربية وإيرانية وإرامية ... على حد قوله — لا أريد أن يغريني شيء على الخروج من دراسة العرب وحدهم الى دراسة أخرى ولكني أريد ان أعرف عن العرب كل شيء ...) (٢١) .

وأرجح أن (استعرابه) يرتبط باتجاهه القومي الاستعماري الذي كانت الأعمال العسكرية فيه (تلجأ) الى (ترجماته) و (معلوماته) عن الشعب الليبي المسلم أشد من أنه (حاجة) مؤقته قاصرة على الاستعمار قصير الأجل .

ومثل هذا الاستعراب بامتداده الى اللهجات المحلية وفي طليعتها المصرية يقوي الصلة مع (الشعب) من حيث اللغة والعادات والاجتماع في الجانب الاستعماري البعيد القريب .

٢ — تأليفه في اللهجة المصرية : فالمعروف أنه بعد زيارته الأولى لمصر ١٨٩٣ أصدر كتابه : اللغة العربية في لهجتها المصرية (لكي يدرس الإيطالي اللغة العربية بواسطته) ، حيث كان مرحلة فاصلة في حياته الثقافية الجامعية فشغل بعد تأليفه (كرسي اللغة العربية الشرقي في نوفمبر ١٨٩٤ وقد ظل به حتى ١٩٠٢) (٢٢) .

ولنا أن نفترض أن الحكومة الإيطالية إنما دفعت بنلينو في وقت مبكر لدراسة أحوال الشعب المصري عن طريق دراسة لهجته لما كان غامرها من أطماع استعمارية في إفريقيا العربية التي تحققت في غزو ليبيا فيما بعد ، وهو افتراض أخذ حيزه من الحقيقة بعد زمن قصير في غزو فكري في الجامعة ومجمع اللغة المصرية ، وغزو عسكري وفكري في القطر الليبي .

وإذا لم تعرف عن نلينو دراسة أخرى في اللهجات فيما بعد فان (اقتناء) الحكومة الإيطالية الاستعمارية حينذاك ، معجماً ودراسة عن اللهجة المصرية لتستعين به لدى شخصيات سياسية مؤهلة أخرى يفيدها على المدى الطويل كبلد توسعي ، كما يفيد غيرها من الدول الاستعمارية التي يمكن أن تنتظم معها بمصالح دولية مشتركة .

تلك أبعاد وصفية لا تخلو من شيء من التحليل والاستنتاج لشخصية عريقة في الاستعراب برزت أعمالها في جوانب فكرية وعملية ، قومية وعربية استعمارية سياسية .

وإني لا أعد وصفاً تحليلياً كهذا تقوياً كاملاً ودقيقاً لأفكاره ، وإنما أحسب أنني ألحقت إلى المحور الذي ينطلق منه اتجاهه الاستعرابي ، ومدى تحققه في الإصدارات الفكرية ، وتأثر تلاميذه عمالقة الفكر العربي باتجاهه وكثير من وجهات نظره ، ثم إفادة حكومته من قدراته الذهنية ومعلوماته الغنية في نشوء التيار الفاشستي الاستعماري فيما بعد .

وأدع الغوص في اتجاهه ، وتتبع أفكاره واستقصاء أعماله وآثاره الجامعية والمجمعية إلى الأقلام الغيرة على الاسلام والمسلمين بل وإلى من يعينهم تحرر الفكر الانساني من روابط الاستعمار ودسائسه ورواسبه مما نشأ عنه تشويه للفكر الاسلامي الأصيل .

٢ — لويس ماسينون الفرنسي Massignon, L (١٨٨٣ — ١٩٦٢) الذي تعرف على كبار المستشرقين الخطرين امثال (جولدزهير) و (سنوك هرجرونجه) و (لي شاتيله) أحب أساتذته اليه في الاستشراق ، وقصد بغداد حيث صادق العالم

(الألوسي) ثم عاد الى القاهرة (١٩٠٩) واستمع الى دورس الأزهر بالزري الأزهرى ، وانتدبته الجامعة المصرية أستاذاً لتاريخ الفلسفة (١٩١٢ — ١٣) ، ثم رحل الى الحجاز والقاهرة والقدس (١٩١٧ — ١٩) وأقام في القدس وبيروت وحلب ودمشق والأستانة ، ثم رجع الى باريس وحصل على الدكتوراة (١٩٢٢) ، وتولى تحرير مجلة العالم الاسلامي ذات الطابع التنصيرى (١٩١٩) ومجلات أخرى .

وتميزت شخصيته بالسياسة فهو مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمالي إفريقيا ، وبالجامعة حيث حاضر في تاريخ الفلسفة كما مضى أربعين محاضرة ، وتدرسه في (الكوليج دي فرانس) ، وبالجمعية فهو عضو في الجمعية الآسيوية ، والجمع العلمي العربي في دمشق ، (١٩٢٠) والجمع اللغوي المصري (منذ انشائه ١٩٣٣) ، وبالعسكرية فهو خدم بالجيش الفرنسي خمس مرات في الحرب العالمية الأولى .

ولكن أبرز طوابع هذه الشخصية الطابع التنصيرى فهو الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر ، ووضع اتجاهه التنصيرى البارز في خدمة السياسة الاستعمارية الفرنسية حينذاك .

وما تخصصه في الفلسفة والتصوف (الحلاجى) وتأليفه فيهما سوى توظيفهما في النشاط التنصيرى السياسى الظاهر والخفى ، فقد كتب عن : آلام الحلاج المقتول (٣٠٩) ومذهب الحلاجية (١٩٠٩) ، والحلاج والشيطان في نظر الزيدية ، وكتابا الزيدية المقدسان (١٩١١) ، وتاريخ تأليف رسائل إخوان الصفا (١٩١٣) ، وأربعة نصوص متعلقة بالحلاج (١٩١٤) ، وآلام الحلاج شهيد التصوف في الإسلام أول رسالة دكتوراه من الصوريون (١٩٢٢) ، والتجربة الصوفية والأساليب الأدبية (١٩٢٧) ، وفي الفلسفة بالإضافة الى ماسبق : تاريخ المصطلحات الفلسفية بالعربية (مازالت مخطوطة) ، وترجمة ابن سينا لابن سبعين (تحقيق) ، وابن سبعين والنقد النفساني (١٩٢٨) ، والفلسفة وما وراء الطبيعة في التصوف الحلاجي (١٩٥٠) ، واتسعت دراساته في الفرق الباطنية وبعض

جوانبها : مثل : القرامطة ، والخطابية ، والمنتني والعصر الاسماعيلي في الاسلام (١٩٣٥) ، وإمام العصر الإسماعيلي في الاسلام (١٩٣٦) ، وثبت مراجع عن القرامطة (١٩٣٩) ، ودراسته الاسلامية والفكرية قليلة مثل : المسيح في الأناجيل حسب الغزالي (١٩٣٢) ، والزمن في التفكير الاسلامي (١٩٥٣) ، وأهل الكهف في المسيحية والاسلام (١٩٥٥) ، وتاريخ العلم عند العرب (١٩٥٧) ...

وتبدو مهارته السياسية في محاولته التوفيق بين الفكر الاستعماري وتطلعات العرب في شمالي إفريقيا إلى الحرية والاستقلال ، وتعبير أدق استخدم ذكاه وقدرته المتفوقة في إقناع العرب بالسياسة الفرنسية ونجاحه فيها على حساب الشعب العربي المغربي وإيهامه بمناصره حقه والدفاع عنه ، فقد استعاد جامع (القيشاوة) في الجزائر لأصحابه المسلمين بعد ١٣٢ سنة .

ومثل منصبه في وزارة المستعمرات الفرنسية كمستشار تزوج فيه اهتماماته المدرسية والسياسية الى سمتة الغالبة في الاتجاه التنصيري الصوفي لتكوّن منه الفرنسي المخلص لدولته ، والكاثوليكي اليسوعي الواهب نفسه لها والذي استغل انتشار الصوفية وطرقها في الشمال العربي فعنى بها سلوكاً وكتابة .

وإذا أردنا أن نتبين ضلالة (ماسينون) في الفكر الاستعماري فان من المهم إبراز العلاقة بين نشاطه الاستعماري الفكري وبين السياسة الاستعمارية الفرنسية التي كانت فرنسا تمارسها في المغرب العربي وبخاصة في (المغرب) وعلى يد المارشال (ليوتي) ، وكذلك جهوده الاستعمارية في سورية إبان الاحتلال الفرنسي وعلى يد الجنرال غورو ؟

فقد كان ماسينون (مستعمراً نشطاً يؤمن بالسياسة الاستعمارية للمارشال ليوتي في المغرب ، وعمل على تنفيذها لتأييد سياسته (البربرية) في مراكش ، بعد أن وجد مايسوغها من الناحية الفكرية ، ليس هذا فحسب . بل بتأييد الاستراتيجية الفرنسية لدمج المغرب مع فرنسا)^(٢٣) ، ولم يكتف بمقامه في المغرب العربي

وإنما لحق بسورية واتصل بأهل الساحل السوري وجبال العلويين وكاد يقنعهم بولاء فرنسا لهم وبولائهم لفرنسا ، وإمكان فصلهم عن جسم سورية بدولة خاصة بهم ، وتعزل سورية في مناطق داخلية لا يربطها بالعالم ساحلها أو بحرها .
وكتب د / بدوى ترجمة مفصلة عن جوانب عديدة في شخصيته وحياته ودراساته وتدريسه وسنفضل الكلام على جوانب أخرى .

١ — بين صوفية ماسينون وصوفية الحلاج :

فهو يتحدث عن (نفوذ النظرة وعمق الاستبطان والقدرة على استنباط التيارات المستوردة وراء المذاهب الظاهرة والأفكار السطحية ، ومرد ذلك الى مزاج شخصي خاص جعل حياته الباطنة ثرة عامرة بأعمق معاني الروحية ...) .

وربما كان إيمانه القوي بكاثوليكيته ورعايته لها ولجمعياتها قوى في نفسه النزعة الباطنية ، وإضفاء الروحية في حياته وأعماله .

ثم إن اشتغاله بالصوفية المتأخرة لفهم أسرارها جعلته أقوى يقينا (بعمق الإيمان الديني بالمعنى الأدق الأسمى الواسع الذي يضم في داخله كل المعاني السامية في كل الأديان — كتابية أو غير كتابية ، سماوية أو غير سماوية موحدة أو غير موحدة — مما جعله أقدر على فهم دقائق الإيمان في كل الأديان ...)

ويبدو لي أن نزعته الانسانية في الأديان متعارضة مع نزعته العنيفة الى الكاثوليكية الذي اختارها وهو في الخامسة والعشرين من عمره . ثم مراسلاته العديدة مع الأب شارل دي فوكو ، والشاعر الكاثوليكي : بول كلودل فيما بعد ... ولكنها لا تتعارض مع النزعة (الماسونية) التي تلف جميع الديانات السماوية والوضعية في إطارها الإنساني المغرض سوى ماترمى اليه الماسونية من سيطرة اليهودية العالمية ، ومايرمى اليه (ماسينون) من سيطرة الكاثوليكية الفرنسية .

وبالإضافة إلى هذا فهل صوفية الحلاج ، وفريد الدين العطار ساعدته على تقوية (معاني الروحية وأنه أقدر على فهم دقائق الإيمان في كل الأديان) كما يقول / بدوى معرضاً عن إجماع المسلمين في شذوذ الحلاج وخروجه عن منهج المسلمين ؟

فالمعروف أن (ماسينون) حجة في الصوفية ، استكمل دراستها من خلال بحوثه العديدة في الحلاج وأن المغرب العربي وبعض أقطار المشرق العربي قد انتشرت فيه فرق الصوفية وذلك إبان أو قبيل الاحتلال الفرنسي ، وأن مثل هذا التخصص الصوفي الماسينوني لايرضى الاستعمار الفرنسي وحسب وإنما يدخل قنوات في العديد من الصوفيين بل وربما يوقع البلبلة والفوضى والتمزق بين صفوف المسلمين حين تزداع أخبار الحلاج ومقتله بين المشرق والمغرب العربيين .

وعندئذ تتم له أمور منها : طغيان الصوفية الهندية والفلسفة اليونانية على المتصوفة كعلم وحركة وانتماء ، ومنها نجاح (ماسينون) وأمثاله في إشغال المسلمين بأعمال وأحوال ليست في الأصول الإسلامية ، ومنها نشر فكرة (الانسانية) التي عمل وتعمل لها (الماسونية) ، وأخيراً : تثبيت النفوذ الفرنسي والسيطرة الاستعمارية عن طريق الدراسات المذهبية التي تفرق بين وحدة المسلمين وتشتت شملهم .

وربما كان معاصره أو خلفه (نيكلسون) (١٨٦٨ — ١٩٤٥) الانكليزي ينحو المنحى نفسه في الاتجاه الإنساني للديانات وعلاقة الصوفية بذلك فهو يقول : من المعروف جيداً أن مذاهب الصوفية للمسلمين وتأملاتهم أثرت في الاسلام تأثيراً قوياً ، وإلى حدما ، فانها توفر أرضاً مشتركة يمكن أن يلتقي فيها أناس من ديانات مختلفة ، مع بقائهم مخلصين للديانة التي يؤمن بها كل واحد منهم ، يلتقون بروح التسامح والتفاهم المتبادل وعن هذا الطريق يتعلمون أن يعرف بعضهم بعضاً ويحبه ، فإن كان عملي قد أعان على أي نحو ، في هذا التفاهم ، فلن يكون قد أنجز عبثاً^(٢٤) .

فقد التقى مستشرقان كبيران فرنسي وانكليزي كاثوليكي وبروتستانتي وغيرهما معهما ، على أن تحمل الصوفية أبعاداً روحية وإنسانية تعلي (الماسونية) كثيراً منها ، وبهم الاستعمار بأكثرها .

ثم أمكن لـ (ماسينون) وأمثاله أن ينفذوا عن طريق صوفية الحلاج الى انسانية

الأديان وربما إلى (الماسونية) المستورة بعد أن تمكنت أسرارها في نفسه وأعماله تمكناً جعله يكبر الاتجاه الصوفي الخلاجي العنيف الذي يشعره أن (له رسالة روحية تقتضي الحركة إلى جانب الهدوء في الدراسة)^(٢٥) . وكذلك فإن إيمانه ظل حتى آخر لحظات حياته حيث كان يردد فيها الآية التي كان الحلاج يرددتها قبيل مقتله ، متأثراً بها منفعلًا بموقف الحلاج وهي قوله تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) (الشورى : ٤٢) .

ويمكن القول : إن شخصية الحلاج قد شدته إليها فحاول أن يعيش تجربة ذاتية حين تقمص شخصيته الصوفية وذلك على الرغم من سريان الاتجاه الأوربي المادي (فإنه إذا يتمرد على حاضر هذا الإطار الأوربي يتمسك بماضيه فيعيشه رومانسياً عبر تجربته هذه الشخصية أو تلك من الشخصيات الروحانية في الثقافة العربية الإسلامية التي يجد فيها تعويضاً عن الروحانية التي افتقدتها الثقافة الأوربية المعاصرة)^(٢٦) .

٢ — ماسينون في دراساته منهجه فيها : يعد ماسينون من أعلام المستشرقين عموماً والفرنسيين خصوصاً ، فإنتاحه فريد بين مقال وبحث ومحاضرة ورسالة وكتاب ، وهو إن أنفق حياته في « الحلاج » و « الصوفية » عموماً . فقد كتب عن الكندي والسوسنوسية والترمذي وغيرها مقالات في دائرة المعارف الإسلامية ، كما كتب فصلاً عن تراث العرب العلمي في المطابع الجامعية ١٩٥٧ ، وآخر عن : غيوم ماجلان واكتشاف العرب لها ، أثبت فيه أسبقية العرب في اكتشاف الكواكب التي اهتموا بها إلى المحيط الهادي ، وذلك قبل أن يكتشفها (ماجلان) عند دورته حول الأرض^(٢٧) .

وإلى جانب اهتمامه البالغ بالحلاج والتصوف نجده يعنى بالفرق الباطنية والحركات السرية وغيرها مثل : الشيعة ، والزيدية ، والنصيرية ، والإسماعيلية ، في كل من دائرة المعارف ، ومجلة العالم الفرنسي ، ومجلات أخرى عربية وغربية ، سبق الكلام على بعضها ، ومنها : مواد تتصل بالتصوف مثل : تصوف ، شطح ، طريقة ، زنديق ، زهد ، ورد ، و : الله حي ...

ومن المقالات القصيرة التي لا نعثر عليها في المصادر الكبرى مانشره في مجلة مجمع اللغة العربية المصري سواء كانت تتصل باللغة العربية مثل : الأصول الثلاثية في اللغة العربية^(٢٨) ، وخطرات في الاحتفاظ بعبقرية النحو العربي^(٢٩) ، أو كانت تتصل بالنواحي الاجتماعية والعلاقات الثقافية العامة مثل : المصطلحات العربية في القرى واکرام الضيف^(٣٠) ، والتعادل الثقافي بين اللغة العربية ولغات الغرب^(٣١) ، ومقالات أخرى نعود إليها في حينها .

ولكن الملاحظ هنا دفاع د / بدوي عن دراسة ماسينون للتصوف في كتابه : بحث في نشأة المصطلح الفني في التصوف الاسلامي في ٣٥٠ صفحة وأعيد طبعها ١٩٥٥ ، حيث يقول (استعرض نشأة التصوف منذ عهد الرسول حتي الحلاج ، ودرس المصطلحات الكبرى التي ظهرت في تلك الفترة ، وأدلى برأيه السديد الأصل وهو أن التصوف قد نشأ عن أصول إسلامية خالصة مستمدة من القرآن الكريم وسنة الرسول وحياته ، وأصحابه ذوى النزعات الزاهدة ، وهذا دفع في صدر تلك الآراء المغالية الواهية التي ظهرت في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن نتيجة للمنهج الهزيل الذي اتبع ، منهج الأشباه والنظائر الواهية الظاهرة للتدليل على التأثير ، وقد اندفع فيه نفر من مؤرخي التصوف والحياة الروحية في الاسلام من المستشرقين أمثال : تولك ، وجولدزهير ، ومكدونالد ، وهورتن ، ولايزال هذا المنهج يجد له مع الأسف بعض الأنصار اليوم ، لما أن حاولوا رد نشأة التصوف الاسلامي إلى تأثيرات أجنبية كالأفلوطينية المحدثه والمذاهب الهندية ، ولهذا فان للمرحوم الأستاذ ماسينون الفضل العظيم في تفسير نشأة التصوف الاسلامي ونموه على الأقل في القرون الثلاثة الأولى — تفسيراً مستمداً من أصول إسلامية خالصة ومن الكتاب والسنة على وجه التخصص^(٣٢) .

والكلام السابق يدور حول نقطتين :

١ — دفاع عن ماسينون حيث لم يتجه الاتجاه الاستشراقي العام في تبعية التصوف الإسلامي للمذاهب الهندية واليونانية .

٢ — دفاع عن التصوف نفسه واستمداد أموره من أصول إسلامية ومن سيرة الرسول وحياة الصحابة الزاهدة .

أما النقطة الأولى فهي تدور في إطار من الثناء والدعاء والفضل العظيم هنا وفي مواضع أخرى أكثر مما تدور حول حقائق مقارنة بين ماسينون وزملائه ، وقد أغفل العامل الذاتي لدى ماسينون في إعجابه بالحلاج من ناحية ، وتقصصه التجربة الصوفية الحلاجية وتأثر بها من ناحية أخرى .

وأما النقطة الثانية فإن د / بدوي يؤيد أصالة التصوف واستمداده من الأصول الإسلامية ، وتجريده من التأثيرات الخارجية وبخاصة في القرون الثلاثة الأولى . وهي قضية نوقشت من قبل العلماء والمؤرخين عرباً كانوا أم غربيين حيث ترجح الآراء ثبوت الاقتباس من المذاهب الهندية واليونانية الإشرافية وبخاصة في العصور المتأخرة .

وعلى كل حال فإن (صفاء) النفس و (نقاء) القلب وزهادة الحياة التي عرفت في الرسول عليه الصلاة والسلام وفي الرعيل الأول لم تعرف بالتصوف ، ولم تعلن على أنها طريقة مذهبية وسيرة خاصة ، وإنما كانت فهوماً لأنماط معينة من الحياة الإسلامية أقرها الاسلام كما أقرها غيرها وذلك على اختلاف في الأنماط الأخرى التي اتخذتها الطرق الصوفية المتأخرة .

ومهما يكن من أمر فإن منهجية (ماسينون) في دراسة التصوف تقصد الى أغراض استشراقية فكرية ثقافية ، واستعمارية غازية .

والدراسة ضمن المنهج أو الإطار الذاتي لانتشوه المنهجية والموضوعية وحسب وإنما تحاول اقناع المسلمين بل وفئة خاصة منهم بولائه لهم وولائهم له لأنه منهم وهم منه .

ويؤكد المنهجية الذاتية عند ماسينون ماذكره د / محمد عابد الجابري بقوله : كان ماسينون من أبرز من مارسوا في ميدان الاستشراق هذا — الكفران — بالعقلانية والهروب إلى الذات .. ومواجيدها وقد أتاحت له رحلته إلى المشرق — في

إطار الدور الاستكشافي الاستعماري ، وقد سبق له أن مارس الاستعمار مباشرة في المغرب العربي — فرصة مكنته من اكتشاف الحلاج المتصوف المشهور ، فوجد في تصوفه ومأساته ما جعله يعانق فيهما أزمته الروحية ، ويعيش داخلهما أزمة الفكر الأوربي الذي ينتمي اليه ، ويقرأ فيهما بـ « تعاطف » رومانسي ، روحانية المسيحية الأوربية في القرون الوسطى^(٣٣) .

وواضح هنا وهناك محاولات ربط المنهجية الذاتية بالأعراض الاستعمارية ضمن الاطار الصوفي المنحرف ..

ولكن دراسة أخرى تبين منهج (ماسينيون) البحثي الذي يتلخص في : طريقة المعالجة الشاملة (المدخل الشامل) وذلك من خلال موضوعه في كتاب : عاطفة الحلاج الشهيد الصوفي في الاسلام .

وأبان البحث السابق من خلال دراسة الحلاج (بعض الجوانب الصوفية الإسلامية وأرسي أسساً للجوانب الأخرى التي تناولها .. فلقد أثرت طبيعة المصادر التي استقى منها ماسينيون معلوماته تأثيراً حاسماً على طريقته في المعالجة ... اذ نجده قد دفع ماسينيون الى توسيع رقعة طريقته في المعالجة مما يضيف على كتابه أهمية أكبر من أن يكون مجرد سيرة حياة موجزة ... والميزة الفريدة هي ذلك الجهد الذي لم يبذله في دراسة الرجل فحسب بل في دراسة البنية الاجتماعية له ، وأساتذته الذين تتلمذ عليهم ، ورحلاته التي قام بها ، والفلسفات المتصوفة التي كانت سائدة في المجتمعات التي زارها ، أو التيارات الدينية التي صادفها ...

ثم تنتهي الدراسة بالقول : إن طريقة المعالجة الشاملة وجدت ما يسوغها في البحث العميق الذي أجري لتأكيد كل فصل من الفصول بالدقة اللازمة لأي عمل متخصص ...^(٣٤) .

ولابد من إضافة نقطة قد تكون جديدة مع أنها ملاحظة في الذهن وطبيعة في معالجة موضوعات التراجم وهي أن اهتمامات (ماسينيون) الكبرى في شخصية الحلاج ، وتفرغه جل حياته لدراسته ، وتعمقه في معالجات النواحي المختلفة في

شخصيته بالإضافة الى عمق ثقافته المعالجة ، ستؤدي الى دراسة الأحوال الاجتماعية والسياسية والعلمية في عصر الحلاج وما سبقه ولحقه من العصور .
وهي منهجية متعارف عليها في التراجم الذاتية حديثاً ، كما اتخذها علماءنا في كثير من جوانبها قديماً .

ومهما حاولت مثل هذه الدراسات أن تبرر كثيراً من تصرفات الحلاج فإنها (لاتنفع القارئ بالضرورة سواء باعتباره مفكراً أو حتى صوفياً) (٣٥) .

حتى إن (ماسنيون) (باعتباره كاثوليكياً كان في وسعه أن يربط تفسيره الذاتي لصلب المسيح تضحية منه في سبيل خلاص البشرية ، بحياة الزهد والتقشف التي عاشها الحلاج ، والتي ادعى بأنها تضحية وقرابان الى الله) (٣٦) ، وكان ماسنيون يبرز وسائل المعارضة الأقوى الثلاث : الصوفية والفقهاء والحكومة ثم (يصف الاتهام الثلاثي الذي وجه اليه كإيلي : أولاً لإفشاء الكرامات ، ثم لادعاء الربوبية ، وادعاء سلطات الله العليا المخولة للإمام فقط ، وأخيراً لجرعة الزندقة (نظرية الحب المقدس) (٣٧) .

فهذه الحقائق المقررة أو المستنتجة — إن وجدت وحدها كفيلاً أن تجعل الحلاج خارج الدائرة الاسلامية لأن كل واحدة منها تدينه عقيدة وإيماناً كما تدينه علماً في الصوفية المفتراة .

ولذا فإن الإجماع قد قام من الحكومة والفقهاء حتى ومن الصوفية على محاكمته كمرتد عن الاسلام ثم قتله ، ويؤيد هذا الإجماع ماوصفه به الصولي (ت ٣٣٥) : اذا علم الحلاج أن شعب مدينة كانوا معتزلة وإمامية يعلن عن نفسه أنه إمامي ، ويقول : إنه يعرف إمامهم المنتظر ، وإن كانوا من أهل السنة يعلن أنه من أهل السنة (٣٨) . فهو وصفه بالكذب في الدين والقدرة على الانتفاء لأي مذهب أو فرقة تخالف الاسلام صراحة أو ضمناً . كما يؤيده ماأقره الحلاج أو ادعاه على نفسه من قوله المشهور : مافي الجبة إلا الله ، ومشيئاً الى نفسه ويقول عمرو بن عثمان : كنت معه فسمع قارئاً يقرأ القرآن فقال : أقدر أن أصنف مثل هذا القرآن (٣٩) .

وإذا فسرت حكايات الكرامات تفسيراً سياسياً كبقوة تهدد المسؤولين باعتبار
شعبيته المتزايدة بالإضافة إلى تعاطفه مع العلويين أعداء العباسيين فإن التفسير
الفكري لمذهبية الحلاج أنه مماثل للمذهب المانوي في الاندماج الصوفي عن طريق
الحب باندماج النار داخل الفرد في المانوية .

وإذا فإن طريقة الدراسة عند ماسينون تقوم على دعامتين : الذاتية ، والمعالجة
الشاملة ، وهما دعامتان متداخلتان ولابد أن تضعا سمات خاصة في الدراسات
الاستشراقية عموماً ، ودراسات ماسينون على وجه الخصوص .

٣ — ماسينون في الجامعات : يبدو أن شهرة ماسينون قد سعت به إلى التدريس في
الجامعات وبين المستشرقين ، حتى إن الجامعة المصرية رغبت بالتعاقد مع
جولدنزهير وسنوك هورجرونيه للتدريس فيها ، فاعتذرا وأوصيا بماسينون لهذا
المنصب ، فدعي إليها وألقى فيها أربعين محاضرة باللغة العربية (١٩١٣) حول
تاريخ المذاهب الفلسفية وعنون لها : تاريخ الاصطلاحات الفلسفية ، وكان الدكتور
طه حسين من طلابه حينذاك ، وقد أعجب بطريقة دراسته ومحاضراته .

وفي سنة ١٩١٩ بعد أن سرح من الخدمة العسكرية عين أستاذاً بديلاً في :
الكوليج دي فرانسى ، كرسي : الإسلام من الناحية الاجتماعية . الذي كان يشغله
استاذة : لوشاتيليه .

ثم استمر يدرس الأحوال الاجتماعية والأنظمة في العالم الاسلامي على مر
العصور طول خمس وثلاثين سنة ، حتى سنة ١٩٥٤ مستفيداً من رحلاته وأسفاره
في العراق حيث عهدت اليه مهمة القيام بأبحاث وحفائر في الآثار ١٩٠٧ ،
واحتلاله بالأسر المعروفة فيه ونزل ضيفاً على أسرة الألويسي ، وتمخضت رحلته
وأعماله عن العديد من المقالات والكتب ، وقبلها سافر الى الجزائر ١٩٠١ في رحلة
قصيرة ، ثم إلى مراکش ١٩٠٤ واشترك في مؤتمرها الاستشراقي ١٩٠٥ ثم إلى
مصر ١٩٠٦ للمرة الأولى وإلى استنبول ١٩٠٩ ثم عاد إلى مصر وحضر دروساً في
الأزهر بالزري الأزهرى إلى سنة ١٩١١ .

ولاننسى أنه كان تحت تصرف وزارة الخارجية الفرنسية بوصفه ضابطاً ملحقاً بمكتب المندوب السامي الفرنسي في سورية وفلسطين ، فقد كانت أسفاره كثيرة وتجاربه جمة أفاد منها في تدريسه (الأحوال والأنظمة في العالم الاسلامي) حتى أضحت (مادة خصبة لاتنفذ ، ولا شك في أنه أكبر عالم رحالة في هذا العصر ..) (٤٠) .

ثم عين مديراً للدراسات بالمدرسة العلمية للدراسات العليا (قسم العلوم الدينية) وظل فيه حتى تقاعد .

ومما سبق يتبين لنا الأمور التالية :

١ — قلة انتاجه الفكري الجامعي فانه لم يعرف عنه الا محاضراته الأربعون في : تاريخ الاصطلاحات الفلسفية ، المخطوطة في المجمع اللغوي .

٢ — بدايته في التدريس الجامعي بترشيح من زميله جولدزهير وهورجرويه ، كان في الجامعة المصرية في بداية إنشائها ، ولم ينل الدكتوراه كما أنه لم يستمر طويلاً فيها سوى عامين (١٩١٢ — ١٩١٣) .

ثم عين استاذاً في (الكوليج دي فرانس) بقية حياته .

٣ — نفوذه الأدبي في الجامعة كان واضحاً في ترشيح المستشرق التشيكي اليهودي (كراوس) الذي زكى ترشيحه للتدريس في كلية الآداب ، وذلك في عمادة الدكتور طه حسين حيث أشاد ماسينون بمناقب كراوس وما يؤمل منه ، وقد عين فعلاً (١٩٣٦) وبذلك على الرغم من انقطاعه عن التدريس مع الإبقاء على صلته بالمؤسسات العلمية العليا مثل الجامعة ومجمع اللغة العربية .

٤ — اشتراك مستشرقين آخرين في تدريس : الفلسفة الاسلامية وتاريخها في الجامعة : منهم الاسباني : (الكونت دي جالارثا) والايطالي اليهودي (دافيد ساتيلانا) (١٨٥٥ — ١٩٤١) ، والمستشرق الصهيوني (كراوس) الذي نشرت له الجامعة : رسائل فلسفية لمحمد بن زكريا الرازي (١ / ١٩٣٩) كلية الآداب ، ولم يكن مدرسا للمادة نفسها .

٥ — ومن المرجح انصرافه إلى الفلسفة الإسلامية عموماً في الدراسة والتدريس أولاً ثم تفرغه للدراسة الحلاجية ثانياً ، حيث نال الدكتوراه فيها بعد ذلك (١٩٢٢) ، ولم يفد منها بشيء في التدريس ، وإنما تابع تأليفه في اختصاص آخر .

٦ — إن تقوم محاضراته غير ممكن في الوقت الحاضر بسبب بقائها ضمن المخطوطات مع محاضرات مخطوطة أخرى للمستشرقين الإيطاليين : (نلليو) و (سانتلانا) في مكتبة الجامعة وفي مكتبة المجمع اللغوي ، ولكن الشيخ مصطفى عبد الرازق كان يشير إلى محاضرات (سانتلانا) وينقل بعض المواضع منها بحسب مذكره في كتابه « التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية »^(٤١) .

٧ — عدم صحة مقاله الدكتور طه حسين من أن المستشرقين الجامعيين نقلوا مناهجهم في الأدب العربي وبعض العلوم كالفلك واللغة الانكليزية فقط ولا خطورة منهم ومن تدريسهم ، فقد عرف عن (كازانوف) مفسراً للقرآن الكريم ، كما عرف عن (كراوس) مدرساً للنصوص العربية في الكتاب المقدس ، وعدد من المستشرقين متعددي الجنسيات مدرسين للفلسفة الإسلامية وتاريخها كما سبقت الإشارة إليه .

٤ — ماسيتون في الجمعيات والجامع اللغوية : إن المكانة الأدبية والمنزلة المعنوية الرفيعة التي يعرف بها عضو في جمعية علمية أو مجمع لغوي تحفز كثيراً من المستشرقين للحصول عليها بشتى الوسائل والطرق .

فهي من ناحية تشريف لأشخاصهم ونجاح لأعمالهم ، ومن ناحية أخرى إقناع الآخرين بصدق آرائهم واستقامة أفكارهم على المستوى الدعائي الإعلامي . ومن هنا فإن للعضوية الجمعية خطورتها في الفكر الإنساني عموماً وفي الفكر اللغوي خصوصاً ، ثم إن لها خطورتها وأثرها على المستعمرين وأقوامهم ، والمستغربين وذويهم ، بالإضافة إلى آثارها الشخصية والفردية في مزاج العضو ونفسيته .

وكانت عضوية (ماسيتون) في الجمعية الآسيوية والمجمع العلمي بدمشق ،

والجمع اللغوي المصري منذ إنشائها تحمل أكثر من معنى شخصي وقومي وفكري استعماري .

ونستبق القول بالإشارة إلى أن ماسينون لم تعرف له مجالات لغوية أو بحوث فيها فيما قدمه من إنتاج فكري في داخل الجامعات وخارجها سوى ما قام به من محاضراته ومقالاته في المجمعين العربيين .

فقد عرف في الوسط الجامعي بتدريس تاريخ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة ، كما عرف بتدريس الإسلاميات نُظماً واجتماعاً في جامعة (الكوليج دي فرنسي) قرابة خمس وثلاثين سنة .

أما خارج الوسط الجامعي فقد عرف جل اهتمامه في التصوف عموماً والحلاج خصوصاً الى جانب دراسات قصيرة في التراث العلمي والفرق الدينية . وبين حياته الجامعية وحياته الخاصة لانجد أعمالاً لغوية أو أدبية تستحق التنويه بها في مستوى الأعمال الفكرية الأخرى .

وسبق أن ذكرت مقالات قصيرة دفع بها الى مجلة المجمع اللغوي المصري لبعضها صلات لغوية وشيخة ، ولبعضها الآخر صلات اجتماعية وثقافية عامة .

وهناك مقالات قصيرة أخرى تنحو المنحى نفسه لم ينشئها ماسينون إلا في المجال الجمعي ، ومن أجله ، حتى إنه لم يكن لها امتداد فكري أو لغوي في المجالات الخارجة عن المجمع ، لتستوفي أبعادها وتستكمل نقائصها .

ومع ما في هذه الملاحظة من الأهمية الثقافية والنفسية فإنه يجدر أن نتابع ماسينون في عضويته الجمعية ثم نشاطه في المجمع وتقوم بعض هذا النشاط ما أمكن .

أ — عضويته في مجمعي القاهرة ودمشق : فقد عقد المجمع العلمي العربي بدمشق جلسته بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ وقرر انتخاب عدد من المستشرقين من بلاد مختلفة ، ومنهم (ماسينون)^(٤٢) . وذلك بعد عام واحد من تأسيس المجمع ، ولذا فان (ماسينون) يعد من الأعضاء المؤسسين فيه .

ومن خلال عضويته الطويلة التي تجاوزت الأربعين عاماً لم يعرف له نشاط فكري واضح في البحوث المكتوبة أو المحاضرات سوى محاضرة واحدة ألقاها في ٢٤ آذار ١٩٤٥ وموضوعها : وسائل اللغة العربية الى غايتها الثقافية ، أما المقالات فلم يعرف أنه كتب واحداً منها خلال ثلاثين جزءاً من سنة ١٩٢١ — ١٩٥٥ م .

ومن المناسب الإشارة إلى محاضرة وحيدة ألقاها في المجمع العلمي العراقي بعيدة عن اللغويات تحت عنوان : خطط البصرة في ١٧ / ١٢ / ١٩٥١ . وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة نص المرسوم الملكي الأول بتعيين ماسينون عضواً عاملاً مع خمسة آخرين من جنسيات مختلفة وذلك عند انشاء المجمع ١٩٣٣ ، وبقي عضواً عاملاً فيه حتى سنة ١٩٥٦ ، ثم عين عضواً مراسلاً إلى سنة ١٩٥٧ حتى وفاته .

ثم صنف الأعضاء العرب والمستشرقون إلى إحدى عشرة لجنة ، وكان ماسينون في لجنتي : الاجتماعية الفلسفية والآداب والفنون وعمل بحثاً حينذاك بعنوان : وظيفة المجتمع في تشكيل الاصطلاحات ، ثم توالى المقالات في حجم متوسط العدد بالنسبة للمستشرقين الآخرين ، إلا أنه على كل حال أغزر مما قدمه في المجمع الدمشقي بكثير^(٤٣) . وفيمايلي ثبت بالمقالات المدونة خلال اثنين وثلاثين مجلداً من سنة ١٩٣٤ — ١٩٧٤ .

في العدد الأول :

١ — وظيفة المجتمع في تشكيل الاصطلاحات (وقد تقدم)

في العدد السابع :

١ — المعاجم الأوربية الحديثة ومدى ماتستفيده المعاجم العربية منها .

في العدد الثامن :

١ — الأصول الثلاثة في اللغة العربية .

٢ — اشياء ضرورية لوضع أطلس مصري لمصطلحات الحرف العلمية .

٣ — خواطر مستشرق في التضمين .

في العدد التاسع :

١ — المصطلحات العربية في القرى وإكرام الضيف .

٢ — التعادل الثقافي بين اللغة العربية ولغات الغرب .

في العدد العاشر :

١ — خطرات في الاحتفاظ بعبقريّة النحو العربي .

في العدد الحادي عشر :

١ — ميتافيزيقا اللغة .

في العدد الثاني عشر :

١ — قيمة الخط العربي لتأسيس فن النقش المجرد .

٢ — افتراضات في مستقبل الخط بالحروف .

ومن ثم توقف نشاطه نهائياً بعد أن نُشر المقالان الاخيران في سنة ١٩٦٠م =

١٣٧٩هـ ، أي قبيل وفاة ماسينون بستتين فقط .

ويبدو من ثبت المقالات أعلاه أن ماسينون كان ملتزماً بالكتابة في معظم فترته في عضوية المجمع وفي معظم أجزاء المجلة بدءاً من العدد الأول حين اختيار عضواً في المجمع إلى قبيل وفاته في العدد الثاني عشر ، وكان مجموعها إحدى عشرة مقالة ، ويلاحظ أن العدد الثامن قد سجل ثلاث مقالات كلها تتصل بمسائل لغوية ومعجمية . كما يلاحظ تداخل المسائل اللغوية بالمسائل الاجتماعية العربية والغربية ، ومن بينها اقتراحات ومشاريع لغوية .

وإذا توقفنا قليلاً عند بعض المقالات فإننا نستطيع أن ننوه ببعض أفكارها وقيمتها اللغوية والعلمية .

وأكرر القول أنني لا أدعي أن أقوم بدراسة عميقة ومستفيضة لهذه المقالات ، كما لا أدعي أنني سأقومها من الناحية الفكرية اللغوية فإن لهذه ولتلك مجالات أخرى لست الآن بصددّها .

ولمّا أسجل بعض الحواطر والملاحظات عن بعض المقالات التي يمكن أن تعد الحلقة الأولى في الدراسة العميقة المستفيضة .

١ — فالمقال : المصطلحات العربية في القرى وإكرام الضيف ، لم يذكر فيه سوى ثلاث مصطلحات في صفحتين أُلقي في دورة المؤتمر التاسع عشر .

٢ — والمقال : التعادل الثقافي بين اللغة العربية ولغات الغرب ، أشبه مايكون باقتراحات لوضع المجمع معجماً لغوياً ضخماً .

٣ — والمقال : افتراضات في مستقبل الخط بالحروف وانعكاسها على استبقاء الخط العربي . ينوه فيه : بابتداء الخط العربي مرتبطاً بنظرية منازل القمر الثامنة والعشرين ، ويشير فيه الى ربط الهجائية العربية بعدد الحروف الموجودة في أوائل السور القرآنية وهو ٣٠٩ حروف ، وفي المقال إشادة بأن ماسينون من أنصار الصعوبة في تعلم اللغات ومنها العربية ، ولكن أهم ما في المقال هو : اقتراح بحذف التنقيط من الحروف ، وسمى ذلك (تحراً) ، كما تحررت الموسيقى من استعمال (البيانو) ، ويتبع الاقتراح السابق بالاعتماد (على صورة مقتبسة من الخط الكوفي للتسوية بين الحروف في الاستقلال الشكلي) .

والمقال كتب في ٩ / ١ / ١٩٥٦ حين أضحت قضية الغزو اللغوي في نهايتها بعد اشتداد أوارها من قبل .

ومن العجيب ما يذكر عنه من الجهالة بأبسط اللغوية الشرعية فهو يقرأ : لبست المرأة لباس الحداد ، (الحداد) ويتمحك في تأويلها .

كما يذكر عنه تأثر مسلمين به ارتدوا عن الإسلام وكانوا من تلاميذه ، ولاندرى مدى تأثر المستشرق الانكليزي (تومبسون) به وهو مؤلف : الحلاج ولي وشهيد (١٩٢٩)

ومهما يكن من أمر فإن اهتمام (ماسينون) بالباطنية والصوفية في العالم العربي الذي بات متخلفاً كان يقصد منه أن يكرس الفـرقـة بين المسلمين ويشـتت وحدتهم ويقيمهم في سلطان المستعمر وضمن نفوذه .

ولا يفوتني أخيراً أن أشير إلى اعجاب الدكتور ابراهيم مذكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية في تأييده سنة ١٩٦٢ فقد غلب عليه الإشادة والانبهار

بشخصيته ، وبآثاره أكثر من تحليلها ونقدها .

ذكر د / مذكور أن لماسينون نحواً من ٦٠٠ بحث بين مقالة وكتاب ورسالة

ومحاضرة ... ثم صنف كتبه إلى ثلاثة أبواب :

١ — آثار وتخطيط : ومنها : لوحة جغرافية للمغرب في الخمس عشرة سنة الأولى من القرن السادس عشر أخذاً عن : ليون الافريقي . و : بعثة في شبه الجزيرة ، و : تخطيط بغداد والكوفة ، والبصرة .

٢ — تصوف ودين : وذكر فيه بعض المؤلفات (الخلاجية) .

٣ — اجتماع وحضارة : درس : العمل والمشكلة العمالية في الاسلام .

و : المهن والحرف في المغرب .

و : الصهيونية والاسلام .

و : تقسيم فلسطين .

وعرض إلى شيء من آرائه التي كان في مقدمتها : إيمانه بالحضارة الإسلامية ، وأنها كانت حضارة ذاتية ، صنعها الإسلام بتعاليمه ومبادئه ، وساهمت في بنيانها الشعوب الإسلامية المختلفة ، ولا نزاع في أنه سرت إليها تيارات من الحضارات الأخرى . ولكنها عدلتها وهذبها وأصبحت جزءاً فيها .

ومنها موقفه من الديانات وهو أن الإسلام أخو المسيحية واليهودية ، وهي ثلاثتها تمت بصلة وثيقة إلى شريعة إبراهيم ... وقال : لقد ملأت هذه الأخوة قلب ماسينون واستولت على روحه حتى أصبح يعد أكبر مسلم بين المسيحيين وأكبر مسيحي بين المسلمين ... باسمها استنكر الحروب الصليبية في الماضي ، وباسمها استنكر العدوان على فلسطين في الحاضر ... وعاش يدعو الى التفاهم والتسامح بين الأديان ...

ومنها : تقديره للعربية التي يعتبر أن لها وظيفة دينية لأنها تعبر عن أوامر الله ووسيلة إلى التأمل والمناجاة هي لغة الوحي ، ومنه استمدت مجدها وقداستها ... وهي لغة حضارية تستطيع بألفاظها وتراكيبها أن تؤدي أدق المعاني وأحدثها ، وفي

نحوها كمال ودقة لم تتوفر لأي نحو آخر ، وربما امتدت إليه آثار يونانية أو سريانية ولكنه في أساسه عربي .

أما آراؤه السياسية فيقول د / مذكور عنها إن ماسينون (كان يحرص على أن يقول كلمة الحق ، ولقد قالها دائما برغم القوة وعنقها دعا الى استقلال مراكش ، وأيد محمد الخامس ، واستنكر تصرف (الجلاوي) وعارض حرب الجزائر ، كما عارض حرب السويس ، وجرت عليه معارضته ما جرت من أذى وعدوان ، فقبض عليه مرة في (فنسين) وقيد الى مركز الشرطة وعومل معاملة الأشرار ، وضرب مرة أخرى ضرباً مبرحاً في اجتماع عام كان يعرض فيه قضية الجزائر^(٤٤) .

ومن أولى الملاحظات هنا عدم اعتناذ المقال على أي مرجع سوى صلة الكاتب الشخصية بماسينون ، ثم خلطه وليس له بين آرائه وكلامه وآراء كلام المؤيّن .

جدول بالمستشرقين الجمعيين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

لاتنفع قلة المستشرقين الجمعيين في المجمع المصري من (جدولة) أسمائهم وأبرز أعمالهم داخل المجمع وخارجه مشيراً الى اخطر شبهاتهم ومستخلصاً أهم النتائج .

أعمال أخرى	بلده	حياته	المستشرق
<p>تجمعي بدمشق - وزير الأبناء (١٩٤٠ - ٤٤) رئيس قسم الدراسات الشرقية والأفريقية - تجمعي في عدد من الجامعات .</p> <p>تجمعي بدمشق - جامعي في معهد مولاي يوسف بالرباط - مدير معهد الدراسات بالرباط .</p> <p>استاذ التاريخ الاجتماعي في الحلوج دي فرانس - عين بالتجمع المصري ١٩٦٨ مدير البحوث الفنية والتجريبية في سويسرا اللباني (١٩٥٢) وشرف على الدراسات العربية في بكين (١٩٥٥)</p> <p>تجمعي بدمشق - استاذ بجامعة لندن (١٩٣٠) وكسفورد (١٩٣٧) وهاروارد (١٩٥٥) مدير مركز الدراسات للشرق الأوسط (١٩٦٢) .</p> <p>استاذ في جامعة روما - تجمعي بدمشق - متخصص بالشرق المجاهلي والتاريخ الاسلامي - تحرير الانشاج .</p> <p>تجمعي بدمشق - محاضر في عواصم عربية و اسلامية - اسلم في مسجد دقي الأكبر .</p> <p>تجمعي بدمشق - جامعي بالقاهرة (١٩٥٤) متخصص بأوراق اليدى المخطوطة بدار الكتب المصرية .</p>	<p>انكليزي</p> <p>فرنسي</p> <p>فرنسي</p> <p>انكليزي</p> <p>ايطالي</p> <p>عربي</p> <p>تيساري الماني</p>	<p>١٩٠٥ - ١٩٦٩</p> <p>١٩٠٠ - ١٩٧٣</p> <p>١٨٩٥ - ١٩٧١</p> <p>١٩٠٤</p> <p>١٨٨٤</p> <p>—</p>	<p>١ - أيزي J.Arberry</p> <p>٢ - بلاشير R.L.Blacher</p> <p>٣ - بيرك - جانك Berque J</p> <p>٤ - جب - ه - ا - ر Gibb-Hamilton-A.R.</p> <p>٥ - جريل - فرنسيسكو Gabrieli-F</p> <p>٦ - جرمانوس, عبد الكريم, J.Germanus</p> <p>٧ - جرومان - أدولف Grohmann,A</p>

أعمال أخرى	بلده	حياته	المستشرق
مجمعي بدمشق — استاذ جامعة غرناطة (١٩٢٩) ومدير المعهد العربي الاسباني — سفير في بغداد ثم لبنان .	اسباني	—	٨ — جوميز — انجيلو — جارسيا = غومز — اميليو Gomez, E
استاذ الدراسات الإيطالية بجامعة يلمو بصقلية ، عين بالخمص المصري ١٩٦٨ ، وجامعة عين شمس ، معظم الناجحة لترجمات ودراسات آثار وكتاب حديثين .	ايطالي	—	٩ — رنسانو — امبرتو = رناتانو Rizzitano Umberto
معجمي — دراساته خطية مثل : العقيدة الاسلامية : نشأتها وتطورها التاريخي — اخرج من مجمع القاهرة اثر افرائيم على الاسلام .	المالي هولندي	١٨٨٢ — ١٩٣٩	١٠ — فنسنت Wensinck-Arent-Jan
مجمعي بدمشق — متخصص في فن المعاجم وفقه اللغة — انشأ مجلة الدراسات السامية في ليزنج (١٩٣٢) .	ألماني	١٨٦٥ — ١٩٤٩	١١ — فيشر Fischer-Aug
مجمعي بدمشق — مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة (١٩٤١) — استاذ جامعة ليون (١٩٤٥) .	فرنسي	١٩٠٥	١٢ — لاورست هيري Lause-H
جامعي بمصر وألمانيا والولايات المتحدة — اشترك في بعثات التنقيب الى سورية وفلسطين والحيثية — آثاره تزيد على (٥٥٠) اشترك في تحرير دائرة المعارف — اختص باللغات الشرقية ولاسيا العربية ولجانبها .	ألماني	١٩٥٨ — ١٩٧٥	١٣ — ليتمان — انو Littmann-E

أعمال أخرى	بلده	حياته	المستشرق
تجسمي بدمشق — كبير المستشرقين في فرنسا — مستشار بوزارة المستعمرات — تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي (١٩١٩) في القاهرة .	فرنسي	١٨٨٣ — ١٩٦٢	١٤ — كوتتر — شارل ^(١) Massignon, L ماسينيون لويس
تجسمي بدمشق — جامعي بالقاهرة — تجسمي بإيطاليا — اشرف على مجلة الدراسات الشرقية — فمجلة الشرق الحديث .	إيطالي	١٩٧٢ — ١٩٣٨	١٦ — نالينو — كارل Nalino-C.A نالينو-سي.أ
ابنه كارل نالينو — نابت كتابة أتيها عن الحياة الدينية والثقافية بالملكة العربية السعودية (١٩٣٩) وخطبت أياها في مجلة الشرق الحديث .	إيطالية	١٩٠٨	١٧ — نالينو — ماري Nalino, Maria نالينو، ماري

* أخذت اسماء هذه القائمة من (٣٢) مجلدًا من الجمع
اللعوي العربي بالإضافة الى المراجع المروقة .
(١) لم أعتبر له على ترجمة في المراجع المروقة .

دراسة وتعقيب :

بدأ تعيين المستشرقين في الجمع المصري مسنة ١٩٣٣ بخمسة أعضاء عاملين ومؤسسين سبق الكلام عليهم ، ثم تم تعيين عشرة منهم أعضاء مراسلين سنة ١٩٥٦ ، وكان آخر المستشرقين عضوية (جاك بيرك) الفرنسي ، و(امبرتو رستانتو) الايطالي سنة ١٩٦٨ العضوان المراسلان ايضاً ، ولم نعلم أنه تعين بعدهما أحد حتى إن مؤتمر الجمع المنعقد في ٢١ / ١٩٧٢ كان اعضاؤه قد اختبروا من الأقطار العربية وحدها أعضاء مراسلين .

وبداسة موجزة من خلال الجدول السابق يمكن أن نتبين مايلي :

١ — أعمال استشرافية متنوعة :

ان معظم الأعضاء مراسلون (١٢) عضواً ، وهم جميعاً على قلتهم (١٧ — ١٨) عضواً يعدون من أعلام المستشرقين عموماً لهم صيتهم الذائع في المجمع والجامعات والمؤتمرات بكثرة انتاجهم وتنوعه .
فقد كان العديد منهم مجتمعون في دمشق مثل : آربري ، وبلاشير ، وجرييل ، وجرمانوس ، وجروهان ، وجوميز ، ولأووست ، وماسينيون .

وبعض هؤلاء وغيرهم قد حاضروا في أكثر من جامعة عربية وغربية مثل : بلاشير المحاضر بمعهد مولاي يوسف بالرباط ، وجرمانوس المحاضر في عواصم عربية واسلامية ، ونلليو أستاذ في جامعة القاهرة ، وأمبرتو رستانتو أستاذ الدراسات الايطالية بجامعة بلومو وجامعة عين شمس ، وجاك بيرك : أستاذ التاريخ الاجتماعي بجامعة الكوليج دي فرنسي . واشترك بعضهم الآخر في أعمال ادارية حساسة مثل : بلاشير مدير معهد الدراسات بالرباط ، وجوميز : مدير المعهد العربي الاسباني ، ولأووست : مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة .

وصفات وأعمال أخرى عرضنا لها في مناسبات سابقة .

٢ — من إنتاجهم الجمعي :

يدل تقدم المستشرقين الفرنسيين على غيرهم عدداً ونوعاً حيث بلغوا خمسة من

مشاهيرهم . على ممارسة ضغوط نفوذية وأدبية على الصعيد الثقافي الفرنسي الرفيع ، ويتبعهم الايطاليون حيث بلغوا ثلاثة ، وكذلك الألمان ، على حين كان انكليزيان ، وواحد فقط من كل من المجر واسبانيا والنمسا والسويد .

وكان إنتاج هؤلاء الجمعي على قلته يزيد قليلاً عن إنتاجهم أنفسهم في مجمع دمشق ، كما يزيد على إنتاج زملائهم الدمشقيين أيضاً .

ويتقدم (ماسينون) على غيره بإنتاجه الجمعي المتنوع بين مقالة ومحاضرة في مجلة المجمع وردّهاته كما سبق الكلام ، ولابد من أن نشير إلى شيء من إنتاج الآخرين بالإضافة إلى ماذكر من البحوث الأولى في العدد الأول ، وحين تسمى المجمع بـ (مجمع اللغة العربية) وهي كما جاءت في مجلة المجمع :

- ١ — في العدد الثالث : لهجات عربية شمالية قبل الاسلام : لتيان .
- ٢ — في العدد السابع : في الأدب الشعبي : لتيان .
- ٣ — في العدد الثامن : أثر اللغة البربرية في عربية المغرب : شارل كونتر .
- ٤ — في العدد الرابع عشر : مقارنة بين اللغات المجرية وبين اللغة العربية : عبد الكريم جرमतوس .

بالإضافة الى مقالات لمستشرقين لم يكونوا أعضاء في المجمع ومنهم :

- ١ — في العدد الثالث : بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية : بندلي جوزي .
- ٢ — في العدد الثامن : الثنائية والألسنة السامية : الأب مرجرجي الدومينكي .
- ٣ — في العدد الثاني عشر : اللغة العربية الفصحى ولغة حموراني : أدوارد دورم .
- ٤ — في العدد التاسع والعشرين : الألفاظ ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية : نيقولار وبرشان .

وهناك كلمات قصيرة بعضها اعتذار أو شكر ، وبعضها الآخر اقتراحات جمعية منها :

- ١ — في العدد السابع : كلمة (ماسينون) في المؤتمر الرابع عشر ، وكلمة اعتذار لـ (جب) عن تقصيره بسبب عمله في انكلترا بشأن اللغات الشرقية .

٢ — في العدد الثالث والعشرين : كلمة شكر واقتراح للفرنسي : جاك بيرك ، شكر فيها المجمع لاختياره عضواً مراسلاً واقترح في آخرها دراسة موضوع : البيان الاجتماعي في الأفطار الشرقية ، وإلحاقه بعلم البيان البلاغي .

ولا حاجة بنا أن ننوه بأن المقالات والكلمات جميعها في اللغويات أصلاً واقتباساً وموازنة ولكن الذي ينبغي أن ننوه به هو التعريض ببدعة الشعبية أو العامة وإعلاء شأن البربرية على العربية ثم العبث بالحروف العربية ونحوه كما سيأتي .

٣ — أخطر الشبهات والافتراءات : وإذا عدّ معظمهم من الأعلام فإن أعلام الشبهات وأخطرها من افتراءاتهم وضلالاتهم .

أ — فقد طرد (فنسك) من المجمع اللغوي وعين مكانه (ليتان) بسبب ماأعلنه من أصل الإسلام ومصدره الشرقي والجاهلي ، وقد لوحظ هذا في كتابه : العقيدة الإسلامية : نشأتها وتطورها التاريخي ، وظهر هذا بشكل جلي في كلامه عن الحج ، وذلك على الرغم من اعماله المعجمية في فهرسة الحديث النبوي الذي استعان له ب (٣٨) باحثاً من بلدان مختلفة .

ب — ودس المستشرق (جب) افتراءه عن (بشرية القرآن) وأنه من صنع الرسول في كتابه (المحمدية) بأسلوب خفي يوضح فيه نبوة الرسول باطنية داخلية دينية . وكتابه الآخر (وجهة الاسلام) حيث دس فكره التغريبي في ثقافة المسلمين وعقولهم وحياتهم ومناهجهم التعليمية .

ج — و (ماسينون) معروف بآرائه (الخلاجية) التي جعلت من المقتول شهيداً ، إلى جانب آرائه الاستعمارية التي تخدم المارشال الفرنسي في المغرب (ليوتي) ، وكذلك آراءه في الاتجاه الى العبث بالفصحى كتابة ، وحذف التنقيط من حروفها ...

د — و (ليتان) الذي كان يركز على اللهجات في العربية مثل كتاباته عن : لغة دمشق العربية ، وملاحظات على كتابة حوران — ولهجة حماة ، واللهجات العربية ، وأنشودة عربية شعبية من مصر ..

هـ — و (فيشر) المعجمي الذي تبنى المجمع طباعته معجمة الكبير ونشره أول الأمر ، ثم بددت مواده ، وأخرج (فيشر) من عضوية المجمع ١٩٤٥ ، حيث عمل كتاباً أو رسالة بعنوان : آية مقحمة في القرآن . و : الاسم محمد عند البيزنطيين ، وكان يرى أن سكان مكة والمدينة وأجزاء من المناطق المحيطة بهما كانوا قد تخلوا عن (الإعراب) في زمان النبي وقبله .

و — (بلاشير) المنظم القرآن حسب ما يراه والواهم أن (الغرائق) منه ، وأن احتمالاً قوياً يدفع إلى ضياع بعض الآي كتابة وحفظاً ، حتى أدى به تقصيه مواقف المستشرقين الى تأليف : (معضلة محمد) ، واضعاً قضية (المصدرية) اليهودية والمسيحية للقصص القرآني في المقام الأول معتمداً على إنجيل غير معروف به هو انجيل الطفولة ...

ز — و (لاووست) الذي عالج قضايا إسلامية من خلال الواقع الغربي ومفهومه عنها ، ومن خلال آراء (ابن تيمية) ثم اتهام (ابن تيمية) بالقول بالتجسيم واثارة مسألة (الأقليات الدينية) و (الأفكار المناهضة) للاستعمار الفرنسي ...

ج — و (كارل نلليو) الجامعي بالقاهرة والمجمعي بدمشق والمشرف على مجلة (الشرق الحديث) مدة (١٧) سنة حيث كانت (تعنى بسياسة الشرق وتقدير بلدانه وأصول سكانه وتطور الثقافة الحديثة) .

وإذاً فهي شبهات وافتراءات تحاول القضاء على الجذور الإسلامية وأصول العقائد الدينية حرصاً منها على إضعاف الثقة لدى المسلمين بهذه الأصول ، والأخذ بالثقافة الغربية .

فمن الطعون بأصالة الاسلام واستقلالية الوحي القرآني وتجريد الرسول من النبوة والرسالة تبدو خطورة آثارها من الوجهة الفكرية العقدية ...

ومن صوفية (ماسينون) القرية إن لم تكن الماثلة من (الماسونية) العالمية بأفكارها وتعاليمها إلى (سلفية) (لاووست) في اتهاماتها العقدية تشويهاً وتزييفاً ،

وربط هذين الاتجاهين المختلفين بالإطار الاستعماري ، ما يؤكد غرض الغزو الفكري في تغريب الشخصية الإسلامية وتمزيق وحدة المسلمين .

واللغة العربية الفصحى قد نالتها شبهاتهم في جوانب تتصل بها من حيث المصدر العربي ، والعبث بحرفها ونحوها وإثارة مشكلات لسانية حولها .

وإذا كان المجمع قد وفق أحياناً بإلغاء العضوية عن (فيشر) و (فنسك) فلا أقل من أن ينبري بعض علمائه وباحثيه ليردوا طعون زملائهم وهم قادرون .
ومهما استنساخ المجمع العلمي العربي بدمشق اختيار أمثال هؤلاء المستشرقين الذين جمعوا عضوية الجمعيتين فإن المسئولية الجمعية تدفع الغيورين من الجمعيتين العرب والمسلمين إلى دحض افتراءاتهم .

ومن الإنصاف في القول أن الردود على ضلالاتهم وانحرافاتهم وقعت من علماء وباحثين خارج المجمع أكثر مما وقعت من بين الجمعيتين انفسهم الذين كانت تغلب على بعضهم روح المجاملة والإعجاب .

٤ — الأغراض السياسية الاستعمارية : أشرت الى النزعة الاستعمارية ضمن الشبهات والافتراءات العقيدية واللغوية والاجتماعية ، كما نوهت باهتمامات الفكر الاستشراقي السياسي سواء كانت بدافع ذاتي أو بدافع وظيفي .

ولأطيل الكلام في هذا الجانب الذي يكاد يستحوذ على معظم أعمال وآثار الفكر الاستشراقي الفرنسي والاطالي والانكليزي والألماني والأمريكي والهولندي ...

وحسبي ان أذكر بهذه الشخصيات التي سبق الكلام عنها مثل : ماسينون في المغرب العربي وزميله لاووست ، وجب في السياسة الانكليزية الأمريكية ، ونلليو في الاستعمار الايطالي .

أما وزير الأنباء البيطاني (آربري) فقد خدم بلده في إنتاجه الاستشراقي أكثر من خدمته له في منصبه الوزاري ، وعضويته في الجمعيتين الدمشقي والقاهري كفيلة أن تؤدي أجل الخدمات الاستعمارية الفكرية .

إن الالتزام السياسي عملاً وإنتاجاً وغرضاً يقوض دعائم الموضوعية التي يعلنون شأنها ويتظاهرون بالعمل في إطارها ، ويدفع المثقفين المسلمين إلى إعادة النظر بأعمالهم وإنتاجهم لآمن الناحية السياسية الاستعمارية فحسب وإنما من الناحية الفكرية البحثية أيضاً .

مراجع البحث وهوامشه :

- (١) مجلة المجمع المصري العدد ٩ / ٢٩٥ ، (٢) العدد الأول ١٩٣٤ ،
- (٣) الجلسة العاشرة للمؤتمر ١٠ فبراير (شباط) ١٩٤٧ ، انظر المجلد
- ٧ / ٥٥ ، (٤) العدد ٧ / ١٠٩ ، (٥) العدد ٨ / ٤٥١ ، (٦) العدد
- ٥ / ٢٠٨ (٧) قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، انظر المجلة العدد
- ١٢ / ٣٣١ ، (٨) منهم : د / معروف الدواليبي ، وفارس الخوري ، وانظر
- الموضوع مفصلاً في : الاسلام والثقافة في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات
- التغريب من ص ٢٨٨ : أنور الجندي ، وفيه عرض للردود المختلفة ، وانظر الاسلام
- وموقف علماء المستشرقين ص ٢٧ د / عبد الحميد متولي (٩) د / البهي :
- المبشرون المستشرقون ص ٢١ ، (١٠) أنور الجندي السابق ، ٣٤٣ (١١)
- د / العقيلي في المستشرقون ١ / ٣٣٩ ، (١٢) انور الجندي في : طه
- حسين : حياته وفكره في ضوء الاسلام ص ٣٨ ، (١٣) د / البهي في الفصل
- الأول من : الفكر الاسلامي ، (١٤) د / البدوي في : موسوعة المستشرقين
- (١٥) السابق (١٦) السابق ، (١٧) السابق ، (١٨) السابق (١٩)
- السابق ، (٢٠) د / محمد محمد حسين في : الاتجاهات الوطنية في الأدب
- المعاصر ١ / ٣٦٨ ، ومواضع أخرى ، (٢١) موسوعة المستشرقين ، (٢٢)
- السابق ، (٢٣) مناهج المستشرقين ١ / ٣٦٥ ، (٢٤) موسوعة المستشرقين ،
- (٢٥) السابق ، (٢٦) مناهج المستشرقين ١ / ٣٢٠ ، (٢٧) موسوعة
- المستشرقين ، (٢٨) العدد ٨ ، (٢٩) العدد ١٠ ، (٣٠) العدد ٩ ،
- (٣١) السابق ، (٣٢) موسوعة المستشرقين ، (٣٣) مناهج المستشرقين
- ١ / ٣٣٢ ، (٣٤) السابق ، (٣٥) السابق ، (٣٦) السابق ، (٣٧)
- السابق (٣٨) انظر لفظاً قريباً منه في : الفتاوى لابن تيمية ٣٥ / ١١١ ولم
- يسنده ، (٣٩) الفتاوى السابقة ، وانظر اخباره فيها : ٢ / ٤٨٠ — ٤٨٧
- و ٣٥ / ١٠٨ — ١١٠ ومواضع أخرى (٤٠) مناهج المستشرقين ١ / ٣٧٥ ،

(٤١) موسوعة المستشرقين (٤٢) تاريخ المجمع العلمي العربي بدمشق :
احمد الفيتح ص ٢٣٦ ، (٤٣) انظر العدد الأول من المجلة ١٩٣٤ ،
والموسوعة العربية الميسرة ، وموسوعة المستشرقين ، (٤٤) مجلة المجمع
المصري ١٧ / ١١٣

ثالثاً : المجمع العلمي العراقي

وانشئ عام ١٩٤٧ للعناية باللغة العربية ، والبحث في آدابها ، وفي تاريخ العرب ولغاتهم ، ولدراسة علاقات الشعوب الاسلامية ... كما ذكر في أهداف المجمع عند تأسيسه . وللمجمع أعضاء عاملون أو مساعدون من العراقيين ، وأعضاء مراسلون وفخريون قد ينتخبون من غير العراقيين . ففي هيكله العام شبه بالمجمعين : السوري والمصري ، مع إغفال العدد المحدد من المراسلين والفخريين .

ومن المناسب أولاً أن نورد مجملاً عن نظام المجمع وأبرز أعضائه .

(١) فقد شرعت وزارة المعارف في تنفيذ احكام المادة الثامنة من نظامه ، فاختار وزير المعارف أعضاء عاملين ، وفق الفقرة (١) من المادة المذكورة ، وهم الاساتذة :

١ — الشيخ محمد رضا الشبيبي .

٢ — الدكتور محمد فاضل الجمالي .

٣ — الدكتور هاشم الوترى .

٤ — الدكتور متي عقراوي .

واجتمع هؤلاء الاعضاء لتنفيذ الفقرة (ب) من المادة المذكورة من نظام المجمع فانتخبوا الاساتذة :

١ - توفيق وهبي (وزير المعارف) .

٢ - محمد بهجة الأثري .

٣ - الدكتور جواد علي .

أعضاء عاملين

ثم انتخب هؤلاء الأعضاء السبعة ثلاثة آخرين ، وهم الأساتذة :

١ - نصره الفارسي .

٢ - منير القاضي .

٣ - الدكتور شريف عسيان .

وبذلك تألف المجمع . وصدرت الإرادة الملكية بالموافقة على هذا الانتخاب

في اليوم الثاني والعشرين من صفر / ١٣٦٧ هـ . الموافق لليوم الرابع من كانون الثاني / ١٩٤٨ م .

وقد عقد المجمع أول جلساته في ١٢ - ١ - ١٩٤٨ م . وانتخب ديوان

الرئاسة الذي تألف من :

١ - الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي - رئيسا .

٢ - السيد توفيق وهبي - نائبا أول للرئيس .

٣ - الدكتور هاشم الوتري - نائبا ثانيا للرئيس .

ثم أعيد انتخابهم في ١ تشرين الأول ١٩٤٨ م .

وبعد صدور نظام تعديل نظام المجمع العلمي العراقي رقم (٦٢) لسنة

١٩٤٧ م . ظهر إلى الوجود تفسير الفقرة الثالثة من المادة الثلاثين من (القانون

الاساسي) وهو يمنع المجمع بين الوزارة أو العضوية في المجلس التشريعي وبين عمل

آخر من أعمال الدولة ، فتخلى الرئيس (الشيخ الشبيبي) في

١٦ - ٢ - ١٩٤٩ م عن المجمع إذ كان عضوا في المجلس النيابي ، كما

تخلى عنه في ١٥ - ٢ - ١٩٤٩ م نائبه الأول (توفيق وهبي) محتفظاً بعضويته في

مجلس الاعيان ، وقبله العضو السيد نصره الفارسي للسبب ذاته ، إذ كان عضوا في

المجلس النيابي ، واستقال الدكتور هاشم الوتري في ٢ - ٤ - ١٩٤٩ م من

الرئاسة الثانية مقتصرًا على عضويته في المجمع ، وفي ٨ - ١ - ١٩٤٩ عقدت جلسة للنظر في ملء الشواغر بانتخاب أعضاء جدد فانتخب السيد محيي الدين يوسف ، والدكتور مصطفى جواد والسيد شيت نعمان أعضاء عاملين .
وأجري انتخاب ديوان الرئاسة الجديد في ٢ - ٤ - ١٩٤٩ فكان كما يأتي :

- ١ - الأستاذ منير القاضي - رئيساً .
 - ٢ - الدكتور شريف عسيان - نائباً أول للرئيس .
 - ٣ - الأستاذ محمد بهجة الأثري - نائباً ثانياً للرئيس .
- ولما حلت السنة الثالثة أعيد في ١ / تشرين الأول / ١٩٤٩م انتخابهم لذلك .

وفي ١٥ / ١٠ / ١٩٤٩م قرر المجمع جعل الدكتورين : ناجي الأصيل وأحمد سوسة عضوين عاملين بدلاً من الدكتورين : محمد فاضل الجمالي ، ومتي عقراوي نظراً لسفرهما خارج العراق لمدة طويلة .

وفي سنة / ١٣٧١ - ١٩٥٢م - أصبح ديوان الرئاسة يتألف من :

- ١ - الأستاذ منير القاضي - رئيساً .
- ٢ - الدكتور شريف عسيان - نائباً أول للرئيس .
- ٣ - محمد بهجة الأثري - نائباً ثانياً للرئيس .
- ٤ - الدكتور جواد علي - سكرتيراً .

وفي سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤م أصبح ديوان الرئاسة يتألف من :

- ١ - الدكتور ناجي الأصيل - رئيساً .
- ٢ - الأستاذ محمد بهجة الأثري - نائباً أول للرئيس .
- ٣ - الدكتور مصطفى جواد - نائباً ثانياً للرئيس .
- ٤ - الدكتور جواد علي - سكرتيراً .

وفي سنة / ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ، أصبح ديوان الرئاسة يتكون من :

- ١ - الأستاذ منير القاضي - رئيساً .

- ٢ — الأستاذ محمد بهجة الأثري — نائباً أول للرئيس .
 - ٣ — الدكتور مصطفى جواد — نائباً ثانياً .
 - ٤ — الدكتور جواد علي — سكرتيراً .
- وكذلك أصبح ديوان الرئاسة لسنة / ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م يتألف من الأساتذة المتقدمة أسماؤهم أعلاه .

وفي مساء السبت الثالث من تشرين الأول من عام / ١٩٥٩ م ، عقدت الجلسة الأولى لهذه السنة ، وانتخب بالاقتراع السري الأساتذة :

- ١ — السيد منير القاضي — رئيساً .
- ٢ — السيد محمد بهجة الأثري — نائباً أول للرئيس .
- ٣ — الدكتور أحمد نسيم سوسة — نائباً ثانياً .
- ٤ — الدكتور جواد علي — سكرتيراً .

لديوان الرئاسة ، وبناء على استقالة الدكتور أحمد سوسة من نيابة الرئاسة ، انتخب المجمع في جلسته المنعقدة مساء السبت ١٧ / ١٠ / ١٩٥٩ م الدكتور مصطفى جواد في محله .

ومن الأساتذة المذكورين أعلاه — ماعدا الدكتور أحمد سوسة — أصبح يتكون ديوان الرئاسة لسنة / ١٩٦٠ — ١٩٦١ م .

وفي سنة ١٩٦١ م — ١٩٦٢ م ، أصبح ديوان الرئاسة يتكون من الاساتذة :

- ١ — الدكتور ناجي الاصيل — رئيساً .
- ٢ — السيد محمد بهجة الأثري — نائباً أول للرئيس .
- ٣ — الدكتور مصطفى جواد — نائباً ثانياً .

ونظراً لغياب الدكتور جواد علي (السكرتير) عن العراق لمدة طويلة ، فقد عين الدكتور يوسف عز الدين ، سكرتيراً للمجمع ، وذلك في ٢٠ — ٦ — ١٩٦١ . متتدياً من كلية الآداب .

وفي سنة / ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م صدر مرسوم جمهوري يقضي بإلغاء المجمع العلمي العراقي . وإلغاء نظامه رقم (٦٢) لسنة / ١٩٤٧ م . وتعديله رقم

(٤٠) لسنة ١٩٤٩ . وشرع قانون جديد للمجمع رقم (٤٩) لسنة / ١٩٦٣ .

من أبرز أعمالهم الفكرية :

أصدر المجمع مجلدات ضخمة من مجلته من اثني عشر جزءاً بدءاً من عام ١٩٥٠ حتى إلغائه ١٩٦٣ .

وتناول أعضائه المستشرقون المراسلون موضوعات محددة منها : الإسلامية والعلمية والاجتماعية والأدبية ونشرت ضمن أعداد المجلة التي جمعت في المجلدات السابقة .

ولم أعتز فيما أعد من دراسة عن المجمع العراقي على غير مقالتي : الأولى بعنوان : دراسة الشريعة الإسلامية للمستشرق : اندروسن ، والثانية : مقدمة للرياضيات : للمستشرق : لويت هيد وترجمة : محي الدين يوسف . وهاتان المقتالتان منشورتان في المجلد الأول من السنة الأولى (٢) .

وهناك مقالة ثالثة متأخرة قدمها المستشرق المجري : عبد الكريم جرمانوس ، بعنوان : الإسلام في بلاد المجر ، في المجلد الحادي عشر عام ١٩٦٤ (٣) ، أما المحاضرات فكانت على قلتها أكثر من المقالات ، ويلفت النظر أن المقالة الأولى كانت محاضرة ألقيت في المجمع ثم نشرت في مجلته . وفيما يلي جدول بهذه المحاضرات .

تاريخ القاها .	المحاضر	عنوان المحاضرة
١٩٤٨ / ١٢ / ٢٢	الفرد جيمز	١ — الشعر العربي
١٩٥٠ / ٢ / ٢٠	ج . المدرسن	٢ — دراسة الشريعة في انكلترا والاتجاهات الفقهية الحديثة
١٩٥١ / ١٢ / ١٧	ماسينيون	٣ — خطط البصرة
١٩٥٢ / ١٠ / ٣١	ايلسون	٤ — خطورة موقفنا الفاصل في تاريخ العالم (بالانكليزية)
١٩٥٤ / ٣ / ٢٧	هايدل	٥ — ملحة كلكاش قصة البحث عن الحياة الأدبية
(٤) ١٩٥٦ / ١٢ / ٢٠	ايرل بيتك	٦ — العلوم والمهندسة الحرة (بالانكليزية)

ويلاحظ هنا ، على قلة المحاضرات وتنوعها وعجز بعض المحاضرين عن القائها بالفصحى ، أنها قدمت في الفترة الأولى من إنشائه حيث لم تتجاوز سنة ١٩٥٦ .

وعموماً فيمكن القول : إن قلة المستشرقين في المجمع تعني تحفظ المسؤولين فيه عن النشاط الاستشرقي الجمعي بعد أن عرفوا كثيراً عن أوضاعهم الثقافية وتخطاتهم في المجمع الأخرى .

وإذا علمنا أن المجمع العراقي كان متأخراً من حيث التأسيس فإنه استطاع ان يتخلص الى حد ما من كثير من المستشرقين العقديين الذي عاشوا أواخر القرن التاسع عشر ، وبذلك استبعد زيفهم وانحرافاتهم التي كانت واسعة الانتشار في الشريعة والتاريخ واللغات ، وأمكنه أن يتجنب الزواجر الفكرية التي مرت على العالم العربي والإسلامي في (أقلمة) الفصحى وعاميته ، وفي التيارات التي كانت ترفع من شأن القوانين المدنية الغربية ، واجتياح موجات التعليم الرسمي الاستعماري .

وهذا لايعني عدم تأثر العراق بالفكر الانكليزي الاستعماري في الاقتصاد والتعليم والحكم فإن الهجمة الاستعمارية الغربية كانت عامة في جميع الأقطار العربية والإسلامية . وعلى كل فان المجمعين العراقيين العرب شاركوا في مناقشة كثير من القضايا الفكرية المطروحة في العالم العربي من المستشرقين خارج المجمع العراقي .

إن (الفردجيوم) و(ماسينون) وغيرهما مثلاً كانوا أعضاء في أكثر من مجمع عربي وإن افكارهم عن العربية والإسلامية كانت تحاول أن تجد لها طريقاً في أية مؤسسة فكرية ومجمعية ، في العراق وسورية ومصر والمغرب العربي .

ولذا فإن المتتبع شيئاً من تراجم المجمعين يقع على انحرافات واضحة كما يقع على أفكار قديمة تنبأها أساتذة متقدمون وحاول المتأخرون من المستشرقين اجتراحها كما هي أو إلbasها أثواباً من السراب والخداع .

ومن المناسب أن أعرض ببعض التفاصيل لشخصيتين متغايرتين :

أولاهما :عبد الكريم جرمانوس Germanus, J : مجري مولود في بودابست (١٨٨٤) الذي يبدو من اسمه أنه اسلم وتسمى بعبد الكريم ، كما يلاحظ أنه مجمعي في القاهرة أيضاً حتى إن عضويته في مجمع القاهرة متقدمة (١٩٥٦) على عضويته في مجمع بغداد (١٩٦٢) ، وقبلهما في المجمع الإيطالي (١٩٥٢) ، والمستشرق جرمانوس نموذج مترن بعمق وموضوعية في دراساته وأعماله إجمالاً ، فهو الدؤوب على التصنيف بعد أن تعلم العربية والتركية على أعلام المستشرقين في المجر ثم تابع دراسته بعد عام ١٩٠٥ في جامعتي استنبول وفيينا ، وعاد إلى بودابست أستاذاً فيما تعلمه في الجامعة ورئيس القسم العربي فيها (١٩٤٨) ، وظل يقوم بتدريس اللغة العربية ، وتاريخ الحضارة الإسلامية ، والأدب العربي قديمه وحديثه ، محاولاً إيجاد حلقات اتصال بين نهضات الأمم الإسلامية الاجتماعية والسيكولوجية حتى أحيل على التقاعد (١٩٦٥) .

ودعاه (طاغور) إلى الهند ، فعلم في جامعات : دلهي ، ولاهور ، وحيدرآباد (١٩٢٩ — ٣٢) ، وهناك أشهر اسلامه في مسجد دلهي الأكبر ، ونشر كتابيه : الأدب التركي الحديث (كلكتا : ١٩٣١) ، والتيارات الحديثة في الاسلام ، بالانجليزية (كلكتا : ١٩٣٢) .

ثم قدم القاهرة وتعمق في دراسة الإسلام على شيوخ الأزهر ، ثم قصد مكة حاجاً ، والمدينة زائراً ، وصنف كتابه : الله أكبر ، وقد نشر في عدة لغات (١٩٤٠) وقام بتحريرات علمية متنوعة .

ثم دعت بعض الحكومات العربية ليحاضر بالعربية عن الفكر العربي المعاصر ، وصور من الأدب المجري في بغداد والقاهرة ودمشق .

ويبدو من آثاره : الاسلامية واللغويات ، وبعض التاريخ .

فمن إسلامياته : التيارات الحديثة في الاسلام السابق ، نهضة الثقافة الإسلامية .

ومن لغوياته : الأدب العثماني (١٩٠٦) ، ودراسات في التركيبات اللغوية

العربية (١٩٥٤) ، ومنتخب الشعر العربي (١٩٦١) ومن تاريخه : أثر الاتراك في التاريخ الإسلامي (١٩٣٢) ، واكتشاف الجزيرة العربية وسورية والعراق وغزوها (١٩٤٠) ، وكان بناؤه الفكري مزيجاً من الثقافة الاسلامية والغربية ، فإن جدية دراساته وعمق إنتاجه تغري الناقدین والعلماء في اختبارها وتقويمها ، وذلك وفق منهجهم في قبول الفكر الرصين الموضوعي ورفض الشوائب الأخرى مهما سما قدر البحث والباحث ، فكل انسان يؤخذ منه ويرد عليه الا صاحب هذا المقام ، وبذلك يخلص الفكر من أية راسية مدسوسة عن قصداً وغير قصد .

وثانيهما : الفريد جيوم : الانكليزي والمولود ١٨٨٨ Guillaume, A المجمع في دمشق (١٩٤٨) فالجمع العراقي (١٩٤٩) .

ويبدو من آثاره ميله الشديد إلى اليهود واليهودية مثل : محاضراته في اللغة العبرية في المعهد الملكي بلندن (١٩٢٠) وأثر اليهودية في الاسلام (١٩٢٧) ، واليهود والعرب (١٩٤٦) ... كما يبدو من مؤلفاته الأخرى روح التعصب ضد الاسلام وذلك بالروح التبشيرية التي شاعت في معظم دراساته ، ثم مطالبته صراحة من زميله (مونتجمري وات) Watt,M صاحب كتاب « محمد في مكة » أن يكون « موضوعياً » وان يستخدم الطريقة العلمية (الاستشراقية) ولا يخرج عن خطه التقليدي (في التجني على الاسلام ورسوله)^(٥) .

ومن أجل ذلك ، وبسبب تضلعه العلمي كان يستقدم إلى بلاد كثيرة في انكلترا وبيروت واستنبول وأمريكا ... لالقاء المحاضرات فيها ، ثم تلمذة البعثات العربية المصرية وتخرجها على يديه في دراسة اللغات الشرقية مما ميزه عن بعض المستشرقين الآخرين ، فقد كانت آثاره التعليمية السلبية خطرة في كتاباته ومحاضراته ولقاءاته .

وفي مقدمة كتبه الخطيرة : حياة محمد (أكسفورد : ١٩٥٦) و : الإسلام (١٩٥٤) اللذان يقومان على فكرة رئيسية واحدة هي : أخذ الرسول ﷺ من التوراة والانجيل عند تأليفه القرآن ، أو بمعنى : الأصل اليهودي المسيحي في القرآن .

ويعتمد في ذلك على وجود (مقابلات) و(أخبار) و(قصص) مذكورة في التوراة والانجيل ثم ذكرت في القرآن . ولا ريب ان مثل هذه (الشبهة) و(الافتراء التاريخي والفكري) لا يمكن ان يقبل هذه (المقابلات وحدها) في موضع يحتاج إلى شواهد حاسمة ذات نتائج قاطعة ، وهيئات أن تكفي التنف المقتطعة ، والإشارات والاستدلالات المعتسفة ، والتخمينات الذكية في هذا المقام ، فضلاً عن إي مقام ، ونحن نحتاج لخيال قوي جداً لمتابعة القول بأن محمد — الذي قررت الأصول الدينية أنه لم يكن يقرأ أو يكتب كان على التخطيط الذي أنشأه المستشرقون له — قد جلس عاكفا في مكتبته يبحث كتب الأولين لينقل عنها لأجل تأليف الكتاب المعروف بالقرآن^(٦) .

ومن المواضع التي نقل (جيوم) فيها المقتبسات : مقتطف من الحديث ، وإشارة إلى الفصل الحادي والعشرين من الإنجيل ، وكتاب مونتغمري : الاسلام وتكامل المجتمع (مقتطفات من الانجيل توضح اعمال الاسلام)^(٧) .

كما نقل (جيوم) في كتابه (الاسلام) ما قام به (قسيس إنجليكاني من عقد عدة مقارنات ليظهر أن الإسلام كان في صدق صورة غير محكمة ، أو مشروحة للمسيحية) . (وعلى كل حال فقد قدم المؤلف الحجة لتبهر التساؤل عن كفايته كقاض غير متحيز ، وليس فقط بما أبداه من آراء غير مقنعة ولكن أيضاً بما أقر به من مشاعر إزاء الرسالة المودعة في ثنايا القرآن ...) ^(٨) .

ويبدو أن (جيوم) قد فاق مستشرقين آخرين مثل (نيكلسون) و(روزنتال) في تهجمه على الرسول والقرآن ، والطعن بنبوته ، وبالوحي القرآني ، على حين أن (كل الاقتباسات قد حدثت حين لم يكن هناك ترجمة عربية للكتاب المقدس يقتبس عنها)^(٩) . فمن أين يستمد الرسول هذه الاقتباسات وهي مازال في لغاتها ؟ ولماذا لم ينوه بها صحابته والكتايبون المعاصرون له ؟^(١٠) وإذا ذكر أن أول نص مسيحي ترجم إلى العربية كان مخطوطاً بمكتبة القديس بطرسبرج كتب حوالي عام ١٠٦٠م بيد رجل يدعى ابن العسال^(١١) ، فهل كان محمد تلقى مثل هذه الترجمات في عهد البعثة من كتاب مقدس أو من راهب أو من مركز ديني ليس

له وجود تاريخي ؟ وإذا صح ذلك فهل يشذ عنه ترجمة التوراة وقد تحدى القرآن فطلب تلاوة (الأخبار) بقوله : قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ؟ (آل عمران : ٩٣) .

على أنه ينبغي ان ننوه بأمرين : أولهما : التناقض في المقابلات أحياناً وذلك بالإشادة بظهارة النبوات في القرآن وغمسها في الرذائل والمفاسد في الروايات المقدسة ، ثم بالزيادات أو التعديلات التي نجدها في القرآن ولا نجد لها مثيلاً في سائر الكتب المقدسة ، كما وقع لبعض القصص والتشريع والأخلاق^(١٢) .

ثانيهما : انشاء وقائع قرآنية جديدة ليس لها ذكر سابق في أي كتاب مقدس مثل : هود ، وصالح وناقته ، ولقمان واهل الكهف ، وذوي القرنين ... وغيرهما فيما اختص القرآن بمادته التاريخية^(١٣) .

وتنحسر قضية (المقابلات) نهائياً بتصريح قرآني فذ عن (رفع عيسى) عليه السلام وعدم قتله من قبل اليهودية ، حيث لانجد مثل هذا في أي مصدر سماوي سابق ، وإنما تتفق الروايات اليهودية المسيحية على قتله حقيقة وعياناً .

والمناقشة التي يعرض لها المفكر المسلم (مالك بن نبي) في (الظاهرة القرآنية) أن تبطل شبهة الأصول المسيحية اليهودية التي ركزوا عليها في (المقابلات) الآنف الذكر^(١٤) .

وقبل هذا كله إنما تصح دراسة (المقابلات) في الكتب المقدسة الثلاثة إذا كان لها الوثاقة التاريخية نفسها ، أما إذا تراخمت الشكوك حول التوراة التي لم تعترف له بالصحة الدراسية النقدية فيما عدا كتاب أرمياء ، وحول الانجيل الذي ألغى مجمع اساقفته (نيقية) ٣٢٥م^(١٥) كثيراً من أخباره ، وأن اصحها كتب بعد المسيح بأكثر من قرن ، فإن مثل هذه الدراسة يقصد منها تقرير الحقائق القرآنية بطريق الوحي الإلهي قبل أن يقصد فيها مسامرة الخصم في احتمالاته الجدليه .

وواضح هنا أن مناقشة (المقابلات) كجزء من الوحي القرآني والتي لايتأني القرآن وجودها لم تقتصر على اعتساف (جيوم) وحده ، وإنما كان انصار هذه

الفرية العديدين . ممن قبله وبعده ، كما سبقت الإشارات إليها ، حتى أضحت من بدهيات العقيدة الاستشرافية في الاسلام أو من مسلماتها .

ولكن (جيوم) المتأثر باليهودية دراسة وإنتاجاً قد سيطرت على عقله سيطرة لم يستطع الانفكاك عنها في أي نتاج فكري . ولذا فإن (ذيلاً) لقضيته قد برز أفيما بعد وهو أن (ما جاء به الاسلام على عهد الرسول لا يصلح للتطبيق بعد حياته في جماعة المسلمين ، ويجب أن يقصر اعتباره على عهده ووقته فقط)^(١٦) ، فهو يقول : كل مسلم يعلم أن كثيراً من القرآن جاء للوجود كي يلتقي مع بعض أزمنة معينة ، أو لأحوال مؤقتة في حياة محمد ، لكن من هو الذي يعلم أن الواجبات والمحرمات والمكروهات التي جاء بها الاسلام مقصود أن تساس بها حياة الملايين (بعده) ، وكي تظل تعيش في أوضاع لا تتصور ، وهي أوضاع القرن السابع الميلادي^(١٧) ...

وإذاً فهو اقتباس مرحلي يمكن أن يفيد عصر الرسالة ، ويلتقي مع أزمنة معينة أو أحوال مؤقتة ليس لها صفة الخلود ، وإن الأوضاع التي ستحدث فيما بعد ، أبعد ماتكون عن اطار الإسلام ، وعلى هذا فإن (محمداً) ﷺ لم يكن نبياً للعرب وحدهم وإنما ينبغي أن تقتصر نبوته على (عرب) الجاهلية الذين عاصروه .

وفي هذا أي تجاهل للنصوص الإسلامية في كل من القرآن والسنة ، لعموم رسالته وبقائها ، كما أن فيه تغافلاً عن أحداث السيرة العالمية وسير المسلمين بعده ، وأخيراً فلم تعرف لـ (جيوم) نشاطات فكرية مجمعية مثل ما عرفت لأمثاله من المستشرقين .

من مراجع البحث وهوامشه :

- (١) من كتاب المجمع العلمي العراقي : عبد الله الجبوري .. (٢) السابق ص ٧٥ ، (٣) ذكره تاريخ المجمع العلمي العربي بدمشق : احمد الفتيح ، (٤) المجمع العلمي العراقي السابق ص ٧٠ ، وانظر ايضاً تاريخ المجمع العلمي العربي بدمشق ، (٥) د / محمد البهي في : المبشرون والمستشرقون ص ١٥ ، ٢٣ ، (٦) من مقال : المستشرقون الناطقون بالانكليزية : أ،ل ، طياوي — ترجمة : فتحي عثمان ، ملحق كتاب الفكر الاسلامي الحديث وصلة بالاستعمار من ص ٤٨٦ ، (٧) السابق : ٤٨٦ حاشية ، (٨) السابق : ٤٩٢ حاشية ، (٩) السابق (١٠) فصل مالك بن نبي ذلك في الظاهر القرآنية ، وانظر : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : موريس بوكاي . (١١) الظاهرة القرآنية ٣١١ ، (١٢) في سورة (يوسف) مثلاً نلاحظ الاختلاف في سبعة مواقف ، وانظر : الظاهرة القرآنية ٣٠٠ ، (١٣) السابق : ٢٥١ والحاشية ، (١٤) السابق : ٢٤٠ وهو يرد على (جنيويرت) وامثاله من الفرنسيين (١٥) في الموسوعة العربية الميسرة : نيقية سنة ٣٢٥ أول مجمع مسكوني دعا اليه الامبراطور قسطنطين لحل المشكلة التي أثارها (أريوس) ، ومؤداها أن المسيح ليس إلها بل مجرد إنسان ... (١٦) د / البهي في : الفكر الاسلامي الحديث من ص ٢٢٥ (١٧) السابق : ٢٢٥ بترجمة د / البهي عن كتاب : الاسلام : الفردجيوم ص ٧٣ .

صور مجمعية من مناقشات العرب والمستعربين

لقد تمت مراسم وإجراءات عضوية المستشرقين أو المستعربين في الجامعات اللغوية العربية على صور متعددة : فكان منهم أعضاء مؤسسون وفخريون ومراسلون حتى زاد عددهم على عدد الجمعيتين العرب في بعض الفترات .

وقد أفادوا من هذه العضوية رواجاً لأعمالهم ، وشهرة شخصية وأدبية وعلمية واسعة في الآفاق الثقافية والانسانية في بلادهم والبلاد العربية ، وذلك على الرغم من أن نشاطاتهم الفكرية كانت محدودة لا تذكر إلى جانب نشاطات العرب .

ولكن الملاحظ مبادتهم في إثارة الشبهات اللغوية والفكرية أحيانا ، ومشاركاتهم الجدية فيما يثار على الصعيد العربي أو العالمي من مشكلات تتصل بالعروبة والإسلام .

وحينئذ يضطر الغيورون من الجمعيتين أن يتدخلوا بدراسات غنية بالمادة الفكرية ، ودقيقة في مرجعها وعرضها وبيانها ، ليوقفوا زحف المستعربين أو المستشرقين الفكري ، ويظهروا قدراتهم على مناقشة الأفكار والدراسات العملاقة التي كانت تأخذ صبغة العالمية الغربية .

وهذه المناقشات ظاهرة صحية وطبيعية في المؤسسات الفكرية وفي مقدمتها الجامعات التي لا تقتصر على الدراسات المتعارضة بين المستشرقين والعرب ، وإنما تشمل وبشكل موسع الاختلافات بين العرب أنفسهم بسبب اختلاف وجهات نظرهم ، وكفاءاتهم العلمية والعقلية .

فقد ألقى العضو المصري الأستاذ مصطفى نظيف^(١) ، موضوعاً عن (العلم) وأثار مناقشة واسعة مع المحاضر كل من الجمعيتين . محمد رضا الشيبني ، ود / أحمد زكي ، ود / عبد الوهاب عزام ، د / محمد علي النجار ، ود / طه

حسين ، والشيخ محمود شلتوت في العدد (١٣) عام ١٩٦٤ م .

وقريب منها محاضرة عن (الزمن في اللغة العربية) ألقاها (العقاد) عضو
المجمع المصري في الجلسة العلنية المسائية لمؤتمر المجمع بدار الجمعية
الجغرافية المصرية في ١٦ / ١٢ / ١٩٥٧ ، وكانت هناك تعقيبات ومناقشات
لكل من د / كمال بشر الاستاذ بدار العلوم ، ود / تمام حسان ، ود / عبد الله
درويش ، ود / ابراهيم انيس ، الزملاء في دار العلوم أيضاً^(٢) ، وعلى كل حال فإن
صور المناقشات العربية الاستشرافية الجمعية تبرز وجهاً من النشاط اللغوي والعلمي
العام :

١ - في المجمع السوري : فإن الصورة التي أذكرها بين علمين مشهورين في
المجالات الجمعية العربية والأجنبية .

أولهما : عبد القادر المغربي (١٨٦٨ - ١٩٥٦ م) نائب رئيس المجمع العلمي
العربي بدمشق ، وعضو في مجعبي القاهرة وبغداد ، ومحاضر في العربية وآدابها
بالجامعة السورية .

وثانيهما : أوغست فيشر : August Fisher (١٨٦٥ - ١٩٤٩ م) وسبق الكلام
على بعض شبهه ، قهر المستعرب الألماني من الجمعيين المؤسسين لمجمع
القاهرة واستاذ في جامعة « هالة » وصاحب المعجم الكبير الذي هو موضوع
حديثنا حيث قضى أربعين سنة في جمعه وترتيبه واعداده للطبع ، وقرر المجمع
المصري في الجلسة الثانية عشرة من جلسات دور الانعقاد الثالث الموافقة على
طبعه ١٩٣٦ م ، يقول (فيشر) في مقدمته^(٣) : قصدي من هذا المعجم أن اضممه
(كل اللغة العربية) الأدبية ، الخاصة بزمان الجاهلية ، وبثلاثة القرون الأولى بعد
الهجرة ... ثم يقول : وجمعت فيه كل الكلمات بلا استثناء والتي في دواوين امرئ
القيس ... وطريقة المعجم : مثلاً في مادة (أخذ) يذكر مرادفات فعل (الأخذ)
في اللغات السامية القديمة ، ثم يذكر مادة : (أخذ) وماتفرع عنها من
المشتقات ... ثم يعمد الى معاني (أخذ) ومدلولاتها ، فيسردها تحت رقم
متسلسل لمعنى واحد ، مجازي أو كنائي ...

وعلى الرغم من أن مجمعين من سورية ومصر تناولوا هذا العمل الضخم بالتحليل والنقد ، مثل د / ابراهيم مذكور^(٤) ، وغيره فان (المغربي) وهو المعروف بإباحتة في قبول الدخيل إلى العربية — كان من أبرزهم وأكثرهم تفصيلاً ودقة ، مع رضاه العام عن أعمال المستشرقين اللغوية .

يقول (المغربي)^(٥) : إن المستشرق قسم طرائق استعمالات فعل (الأخذ) إلى (٣٢) قسماً أو بحثاً ، أودع كل بحث عدة شواهد على الاستعمال الواحد ... ثم يناقش معترضاً : غير أن ما يلاحظ في هذه التقاسيم (التكرار) في الأقسام و(التداخل) فيها ... ثم يلتفت الى (المعاني) الواردة في المادة السابقة فيقول .

ومن الأمثلة التي خفي فيها المعنى الحقيقي ، وكان ينبغي ذكرها في المعاني المجازية آية (خذوه فغلوه) ، فالأقرب أن يكون معناه : استيلاء الملائكة على المجرم وحيازته بإحدى طرق الحياة اللاتقة بهم وبروحانيتهم ، لا أنهم اخذوه بأيديهم .

وكذلك حديث (ان الله ليملئ للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته) ليس الأخذ في هذا الحديث أخذاً حقيقياً ، وإنما هو كناية عن الإحاطة بالمجرم ، وحيازته ، واتمكن منه ..

وبعد أن ينهي (المغربي) ملاحظاته في البحوث الاثني والثلاثين عن (الأخذ) يقول مقترحاً : وعندني يمكن إرجاعها الى ثلاثة بحوث مستقلة متحاجة ، لا إلى اثنين وثلاثين بحثاً كما ذكره المستشرق ، وهي :

١ — بحث فيه المعاني الحقيقية الأصلية (للأخذ) ويقتصر فيه من الشواهد على أوضحها دلالة .

٢ — بحث فيه كلمات (الأخذ) على معنى الحياة والغلبة والقهر ، وهو معنى معظم كلمات (الأخذ) الواردة في لغة فصحاء العرب ، وقد استشهد بها المؤلف .

٣ — بحث تذكر فيه ضروب من المعاني لفعل (الأخذ) ، وقد تجوز فيها ايضاً عن معنى الاستيلاء والغلبة ، لكنه تجوز في غاية الخفاء واللطافة بحيث أصبح وكأنه معنى جديد للاستيلاء مثل :

أخذه بلسانه : إذا عابه .

أخذ فلان : إذا سحر

فلان تأخذه العيون : أي تستعظمه .

أخذ فلان زنته : أي لبس ثوب زنته ...

ومن غير شك أن (فيشر) لم يعمل باقتراح (المغربي) الذي أراد منه حصر اشتقاقات المادة مع معانيها في أبحاث أقل عدداً وتعقيداً وأسهل تناولاً وقبولاً .

ومع تقديرنا للفكر المنظم عند (المغربي) ، واستدراكاته اللغوية الهامة ، وإحاطته بالمادة إحاطة العالم البصير ، فإنه لم يعرض الى جانب هام قصد اليه (فيشر) عند تصنيف (معجمه) وهو : إبراز الصلات بين العربية والفصائل اللغوية الأخرى من العبرية والآرامية وغيرها من اللغات التي تجتمع في (السامية) (الأم) .

وإذا استطاعت معرفة (المغربي) اللغوية ان تنهض لمستشرق عالمي بمناقشة إيجابية سليمة فإن تفرغ (فيشر) وصبره المضني على التصنيف المعجمي في العربية يكشف عن أغراض علمية لغوية ، وأخرى استشراقية أجنبية .

٢ — في الجمع المصري : وقد لاحظت الى جانب عدم اهتمام المستشرقين الأعضاء بالنشاطات الجمعية الفكرية ، قلة المناقشات والمعارضات فيما بينهم وبين الجمعيين العرب ، ويرجع السبب في ذلك الى ندرة المادة الفكرية المقدمة من المستشرقين التي تستتبع حالة من المهادنة المذهبية والفكرية .

ومع هذا فإنني أعرض صورة مختصرة من مناقشة بين : مصطفى نظيف والدكتور كيفورك ميناجيان حول اشتقاق مصطلح (الرئويات والرئوي)^(١) .

ومعلوم أن مصطفى نظيف من مشاهير الأعضاء في الجمع المصري وسيقت الإشارة إليه والمعروف بتحقيقاته العلمية واللغوية ، وأن الدكتور (كيفورك) مستعرب

روسي له مشاركته الجمعية في ميدان اللغة والادب ، داخل روسيا وخارجها .
 فقد بعث (كيفوروك) بدراسة مستفيضة عن المصطلح السابق ، وقدم له :
 وإذا درسنا معاجم المصطلحات العلمية العربية وجدنا بعض المصطلحات ركيكة
 من الناحية اللغوية ، وبعيدة عن المعنى الدقيق من الناحية العلمية ... ثم أورد
 المصطلح الانكليزي Pneumatic وذكر أصله اليوناني Nymona الذي يقابله بالعربية
 (الرئة) ، ثم راح يذكر استعماله كصفة بإضافة أداة النسب (ic) حتى يصبح
 (رئوي) Pneumatic ، ولكن معاجم العربية المختلفة تبتعد عن هذا المعنى ، ثم
 كتب خمسة جداول لاشتقاقات المصطلح السابق مع اسم المرجع (المعجم) ،
 وما يقابله بالعربية والانكليزية .

فاجدول الأول بالصفة الانكليزية كما سبق ، والثاني لترجمة المصطلحات
 المركبة من الصفة الانكليزية مثل Pneumatic و Buate, Pick وغيرها والتي ترجمت
 تبعاً : فرملة بالهواء المضغوط ، مثقاب بالهواء المضغوط ، صاقور بالهواء
 المضغوط ، زورق ينفخ بالهواء

وأقتصر هنا على نقل شيء من جدول واحد ، واقتراحه مع مقارنته بالمصطلح
 القديم :

الأرقام بالترتيب	المصطلح بالانكليزية ٣	المصطلح القديم ٢	المصطلح المقترح ١
1	Pneumatic	هوائي ، غازي ، تنفسي ، مختص بالهواء ، يتحرك بواسطة الهواء .	رئوي
2	Pneumatic Brake	فرملة بالهواء المضغوط	الفرملة الرئوية
3	Pneumatic Chisel	أداة بالهواء المضغوط	الأداة الرئوية
4	Pneumatic Motor	محرك بالهواء المضغوط	المحرك الرئوي
5	Pneumatic Pressure	الضغط بالهواء	الضغط الرئوي
6	Pneumatic Pontoon	زورق ينفخ للتجسير	زورق التجسير الرئوي
7	Pneumatic Organ	الأرض الهوائي	الأرض الرئوي
8	Pneumatic Syringe	المحقن الهوائي	المحقن الرئوي

ومعنى هذا أن يستبدل بالترجمات المختلفة في المراجع والقواميس المتعددة مصطلح (رئة - رئوى) وما يشتق منها ، ثم يأمل (أن يدرس اقتراحه مجمع اللغة العربية ويتخذ القرار المناسب بخصوصه) ، وأخيراً يذكر ثبنا للمصادر التي اعتمد عليها .

ويناقش الأستاذ مصطفى نظيف ، رأي (كيفورك) فيما قدمه ويقول : في هذا نظر ، ثم يورد المعاني الموجودة في معاجم أخرى فيقول : الوارد في القواميس التي بين أيدينا ومنها قاموس « ويسترن » مثلاً أن المصطلح Pneumatic ، وفي اليونانية Pneumatikos اشتق من لفظ Pneuma بمعنى : النفس ، وهو بدوره مشتق من لفظ Pncin بمعنى : يتنفس ، وفي بعض القواميس الأخرى أن Pneuma بمعنى الهواء والريح ، وأن Pnein بمعنى يتنفس يطلق في العلوم الفيزيائية على كل مامن شأنه أن يحتوي على هواء ، أو أن ينفخ بالهواء ، أو أن يكون عمله متوقفاً على ضغط الهواء ، فالأطوار (أو العجلة) التي تنفخ بالهواء يقال لها : Pneumatic Tine ، والقناة التي يسحب فيها الهواء يقال لها Pneumatic Duct وبالمثل : المطرقة والمدفع والأجراس وغيرها من الأشياء التي يتوقف عملها على ضغط الهواء ... ثم يقول : ويطلق اللفظ في اصطلاح علم الحيوان صفة لما يحتوي على فراغات مملوءة بالهواء مثل عظام بعض الطيور ، ثم ان لفظ Pneumatics بصيغة الجمع يطلق على العلم الذي يبحث فيه عن خواص الهواء وغيره من الغازات فيما يتعلق بكثافتها ومرونتها وما إلى ذلك (وكذلك في العلوم الطبيعية حيث يورد أمثلة عليها) . ثم يقول : أما اللفظ الدال على الرئة في اليونانية فهو Pneu Mon وهو أيضاً مشتق من لفظ Pnein بمعنى يتنفس ، وترد النسبة إليه في مصطلحات علمية كثيرة يلاحظ فيها جميعاً معنى النسبة الى (الرئة) خلافاً لما يلاحظ في المصطلحات التي ذكرناها آنفاً ، حيث المعنى الملاحظ فيها النسبة الى الهواء ، وبعد أن يعدد الكلمات العلمية الطبية لها يقول : وان كانت الكلمتان بمعنى الرئة والهواء ، أو النفس كليهما من أصل واحد فيلاحظ ان صيغة النسبة ليست واحدة في الحالتين : فالنسبة الى الرئة ترد بصيغة Pneumo أو Pneumono والنسبة الى الهواء ترد بصيغة Pneumato أو

Pneumatic وهذا مما يستدعى التفريق في العربية بين ما ينسب الى الهواء وبين ما ينسب الى الرئة ... ويختتم كلامه بأن كلمة : (هوائي) الواردة في بعض المعاجم الحديثة هي في نظرنا ، على الرغم من الاعتراض عليها ، أدنى الى أداء معنى المصطلح الأجنبي من لفظ رئوي . ويقترح استعمال مصطلح (الروحانية) الذي ذكره المترجمون في العصر الأول والذي يعني : الروح التي بها حياة الأنفس ، وروح القدس ، إلى جانب استعماله (للآلات) التي يتوقف عمله على ضغط الهواء^(٧) .

ويظهر مما سبق أن العضو العربي متمكن من العربية ، وقادر وبشكل دقيق على التمييز بين الاستعمالات الاجنبية والعربية ، كما يلاحظ . إحاطته باستعمالات المصطلحات العلمية المتنوعة ، وذلك على الرغم من عدم اعتذاره الصريح عن المعجمات التجارية التي رجع اليها (كيفورك) وهي لاتراعي الدقة العلمية في ترجماتها ، فلا تعد مرجعية صالحة للبحث والدراسة .

من مراجع البحث وهوامشه :

- (١) مجلة المجمع ٩ / ٦٩٦ ، (٢) السابق ، العدد ٢٣ / ٣١٢ (٣)
المجلة : ٢٩ / ٣٠٥ ، (٤) انظر المحاضرة والتعقيبات عليها في مجلة
المجمع المصري العدد ١٤ سنة ١٩٦٠ ، (٥) المجلة : العدد ٢٧ / ١٢ ،
(٦) مجلة المجمع الدمشقي مج ٢٤ / ٥٠٠ وما بعده وقرأ الشيخ المغربي هذا
التقرير على مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٦ ، (٧)
راجع تفصيلات أخرى في المجلد ٢٦ / ٩٤ من مجلة اللغة العربية المصرية .

الخاتمة

حقائق هامة : إذا كانت البيانات الاحصائية ماثلة للعيان والنتائج الفرعية واضحة ، وأرقامها معبرة فليس من العسير بادية بدء ان نستنتج من مجموعها حقائق فكرية وعملية سلبية وإيجابية ، لاتستنبط من فراغ أو من انفعال أو ردود فعل آنية ، وانما تؤخذ من ثبوتيات وشواهد تنوه بوثاقها ، وربما كانت بعض النتائج معلومة لبعض الباحثين والدارسين لما توصلوا إليها من خلال دراساتهم العامة وثقافتهم الغنية ، ولكن ميزة هذا البحث — فيما أقدر — أنه أبرز نتائجه من أدلته وما تدعّمه من أحصائيات .

فلا يخفي على مثقف منصف مايقوم به المستشرقون من تشويه الحقيقة الفكرية : دينية أو لغوية أو تاريخية أو علمية ماداموا يعالجون الموضوعات الثقافية بروح صليبية وصهيونية وسياسية ومذهبية .

وإذا ظل التآمر على الثقافة العربية الإسلامية موصولاً بالروح السابقة فلن يبقى أثراً أو جانباً سليماً في اصطناع الموضوعية الدراسية التي يحملونها لأنفسهم ويزينونها للآخرين ، ويبدو لي من زاوية أخرى ، أن السعار القومي أو الوطني قد طغى على أية نزعة إنسانية ، أو فضيلة آدمية . فالفكر فضيلة الإنسان ، والعلم حق وواجب لكل فرد ، والبحث عن الحقيقة مسئولية كل باحث بغض النظر عن أي اعتبار خاص ، وكرامة التقوى التزام بأمانة الحق ، وتجرد من امتهان الفكر والعلم والبحث .

ولذا فمن المستحسن ان تصنف النتائج الى : نتائج عامة للمستشرقين ، ونتائج عامة لأعمالهم واقتراءاتهم .

وهو تصنيف لايقوم على تجزئة في وحدة فكرية وترابط غير متكامل بقدر مايقوم على تنظيم فكري وتصنيفي ، يقصد منه تفاعل الشخصية مع الفكرة ، وفعالية الفكرة والشخص معاً في العمل الاستشراقي ، ثم تقدير الحجم العددي للأشخاص وتناسبه مع دعواتهم وضلالاتهم .

أولاً في المستشرقين : ان الجهود المضنية التي أنفقتها المستشرقون في هدفية العمل للاستشراق (كفضية) علمية ونحثة ومصيرية تدفع بهم الى الاستمرار في أعمالهم ونشرها بين صفوفهم وبين الآخرين من خلال مؤتمراتهم وإصداراتهم ، ثم من تداول دراساتهم على المستوى العالمي وفي لغات شتى ، وأخيراً في استبقاء العمل الاستشراقي إراثاً فكرياً تتوزعه فئاتهم في الدول الكبرى والصغرى أحياناً ليس عبر التاريخ الثقافي وحسب وإنما في تتابع واقعي معاصر .

ويبدو أن وجهي العمل الاستشراقي تاريخاً ومعاصرة يؤذن باستمرارية عمله في المستقبل لما يجدونه من موضوعات ثقافية تستحق الدراسة ، وللصلات الدولية التي تحرص حكوماتهم على توجيهها وفق مصالحهم الوطنية والقومية .

١ - تنوع العمل ووحدة الوجهة :

فمن المستشرقين جامعيون ومجمعيون وسياسيون في آن واحد ، وألف بعضهم في الاتجاهات جميعها أو معظمها ، حتى اشتهر بالعلمية والموسوعية والعالمية ، ومنهم : ماسينون الفرنسي ، ولينينو الايطالي وفنسنتك الألماني وجب الأمريكي وآربري الانكليزي .

وفي غالب الأحيان ليست هذه أوسمة شرف أو ألقاب فخر وإنما هي متمثلة في ذروة النشاطات المختلفة ، في ذروة المستويات والمؤسسات الفكرية والسياسية .

فإلى جانب الإنتاج الفكري الكثيف قاموا برحلات في عواصم العالم العربي والاسلامي ، وشارك بعضهم في ميادين الحروب أو مناصب السياسة أو أعمال اللجان العسكرية ، الى جانب مشاركاتهم الفعالة في قاعات المحاضرات والجامع العربية .

فكيف تسنى لهم أن يوفقوا بين الجامعية والمجمعية والاستعمارية السياسية وقد ملأوا مكتباتهم بشتى المعارف اللغوية والفكرية حتى أصبحت شاغلة الناس ؟
إن اعتبار الاستشراق في اتجاهاته وأبعاده وأعماله المتنوعة والمتشعبة (قضية)

(و) مسئولية) أعظم عامل على تنوع وضخامة أعمال المستشرقين واختصاصاتهم مع مساعدتهم من ظروف داخلية ودولية مواتيه .

وفي ظني أنهم لو اقتصروا على الاستشراق (مهنة) و(دراسة مجردة) لاختلت موازين الأمور وتأخر تسلط الاستعمار ، وضعف الاستغراب ، وقل الانتاج الفكري .

وفي هذه الحال يمكن أن يفترض وبوجه مقبول ان يتجه المد الثقافي العالمي من إرسال غربي ، واستقبال عربي وإسلامي إلى مد ثقافي معاكس ، فيصبح المسلمون حامين فكري وثقافة ولا يكونوا محميين وينشروا حضارة رائعة غير مغزوين أو مدافعين عن غزوهم .

وسبقهم أجدادنا فأثبتوا كفاءتهم في مضمار العمل الإسلامي والإنساني وصنعوا بطولات علمية وعملية حين جعلوا من علمهم (قضية) ، و(مسئولية) لا (مهنة) و(دراسة مجردة) ، فاشتهر منهم العلماء والدعاة والمجاهدون والمؤلفون والولاة في آن واحد .

٢ - التآزر الاستشراقي تآزر المتباينات :

إن تآزر الصهيونيين والصليبيين والعلمانيين على الصعيد العالمي وفي جبهة واحدة يؤكد حرصهم على وحدة الهدف ضمن وحدة المنهج الفكري الدراسي ، والسياسي الاستعماري .

وقد حصل هذا عن طريق تأييد نتائج بعضهم بعضاً في الجانب العلمي والإحصائي تأييداً مجمعاً أو شبه إجماع ، فقلما نجد مستشرقاً لايسلم بخصيلة الدراسات الغربية لزملائه ومن ثم البناء عليها ومواصلة الدراسة بعدها .

ويكفي أن أشير إلى المراجع التي اعتمدها عقب كل بحث قدموه ، أو من خلال قضية عاجلها ، في دوائر المعارف الإسلامية وفي الدراسات المستقلة ، ففيها حشد من الشخصيات الاستشراقية وأعمالهم بينما لا نجد فيها أعلاماً وأعمالاً عربية إسلامية ، يضاف إلى هذا تلمذتهم على أعلامهم وكبارهم ، فقد يعتبر هذا

منقبة لهم بأن يعرف واحداً منهم درس على ماسينون ، أو كارل بروكلمان أو نولدكه أو هرجرونية . أو تخرج من مدرسة فكرية معينة مثل : مدرسة سلفستردى ساسي ، الفرنسية ، وجويدي الايطالية ، وفيشر الالمانية ، وكراتشكوفسكي الروسية . وهي نلمذة المتأخرين على المتقدمين ملتزمة بالقناعة الفكرية والاتجاه الاستشراقي التقليدي .

أما في الجانب السياسي الاستعماري فكان تنافساً وحسداً في أول الأمر ثم أضحي اقتساماً للغنائم وتوزعاً للمكاسب المادية ، إضافة إلى توزيع قضايا فكرية وسياسية لدراساتهم ضمن اختصاص كل منهم ، ومناقشة ذلك كله في مؤتمرات دولية تستقطب التاريخ الفكري الإسلامي وأحواله المعاصرة .

فمن العلمانيين : أماري الايطالي ، ورينان الفرنسي ، وكراتشكونسكي الروسي ، وسارتون الأمريكي .

ومن اليهود الصهيونيين : كراوس التشيكي ، وسانتلانا الايطالي ، واسرائيل ولفنسون الألماني ، وجولدزهير المجري . ومن الصليبيين : لامانس البلجيكي ، ومارتيني الاسباني ، ومرجليوث الأنكليزي ، وفانديك وزملائه رؤساء الجامعة الأمريكية من الأمريكيين .

ولا يكاد بلد غربي يخلو من يهودي ... وصليبي وعلماني متخاصمين فيما بين بعضهم بعضاً ، ولكنهم متعاونون في تشويه الحقائق الفكرية لدى المسلمين كل حسب اختصاصه واتجاهه المذهبي .

فهل شعر هؤلاء بالقوة المتعاضمة للإسلام والمسلمين فجندوا لها قدراتهم وامكانياتهم ووجدوها في وجهة وهدف يعملون لهما وفيهما . أم انتبهوا الى أن اضعاف المسلمين لا يؤدي إلى إضعاف الإسلام مثلما يؤدي إضعاف الإسلام إلى تمزيق المسلمين بعد غزوهم فكراً وخلقياً ؟

ومن هنا فإن اصح الدلالات المصيرية هي أن تآزر القوي الفكرية والعملية المعادية على باطلها وانحرافاتهما قد أغنى عن تفرق القوى الفكرية الإسلامية وتشتتها

على حقها وصلاحيها ، فصانت الأولى قضيتها والتزمت بمسئوليتها ، بينما اقتطعت الثانية حظها منها ، فافترقتا جهداً ومصيراً .

٣ — العموميات هي القاعدة :

فعالمقة الاستشراق الجامعيين والمجمعين خاصة مثل : (جب) و (وآبل) و (ماكدونالد) من أعلام المستشرقين الأمريكيين و (شاحت) و (موهل) و (هارتمان) من كبار المستشرقين الألمان ، و (بروفنسال) و (ماسه) و (ماسينون) من مشاهير المستشرقين الفرنسيين ، و (سانتلانا) و (نلينو) و (جويدي) من اساتذة المستشرقين الايطاليين ، و (ويلسون) و (جيوم) و (براون جرافنل) من كبار المستشرقين الانكليز وغيرهم من السويديين والنمساويين ، والبلجيكيين والهولنديين والاسبان ممن تفتخر دولهم بهم وبأعمالهم ، وتقيم لهم وباسمهم المدارج والمعاهد . ومع علو كعبهم في الاستشراق ورسوخ قدمهم في أعماله وخصوبه إنتاجهم الشرقي والعربي الإسلامي كانوا مطايا سخرها الاستعمار لمصلحته أو لمصلحة القائمين عليه ، فما بالك بالمستشرقين الصغار والمغمورين ؟ إن السياسة التي وظفت قدراتهم المتفوقة ومعارفهم الجامعية وتحصيلهم الواسع حققت فيهم فكرهم وإنسانيتهم من حيث أنها تظاهرت باحترامهم وتقديرهم ، وأوقعتهم في أخرج المواقف الفكرية الانسانية مع ضمائرهم وأخلاقاتهم حين تصبح نتائج أفكارهم ومعلوماتهم تدميراً وإبادة وسحقاً للإنسان وقيمه ، ان كان للضمائر الأخلاقية هنا موضع . وربما كانت أصح المعادلات هي أن القوة الاستعمارية مع القوة الفكرية والعلمية ، تؤدي الى نجاح مادي وفشل معنوي واخلاقي .

ومن جهة أخرى فإن الاستعمار العسكري تخريب للبلاد واذلال للناس ، والفكر الاستشراقي تدمير لشخصية الأمة ومقوماتها المعنوية .

فإذا تضافرت جهود الاستعماريين والمستشرقين فإن محصلتها في تخريب البلاد وتدمير الشخصية فشل فكري ذريع ونفوذ عميق الجذور على المدى البعيد ، وخاصة إذا عملت أساطينهم وأعلامهم لخدمة الاستعمار وفي ركابه ، وإذا توسعنا في دائرة

أعلام المستشرقين فإن شخصيات أقل منهم علماً وشهرة وإنتاجاً كانوا وزراء وقناصل ومستشارين وقادة حروب في وزارة المستعمرات والخارجية والحرية وإدارة الاستخبارات ، وقد مضى أكثرهم ، ولكن إذا استحدثنا دوائر أخرى فإن أعداداً كبيرة من المستشرقين يزيدون على مائة سياسي كانت لمعظمهم نشاطات علمية زاخرة في الجامعة والمجمع ، يمكن ... ان تجمعهم في أطرها الفسيحة ...

أما دائرة الاستشراق الفرنسي فهي أوسعها وأشملها حيث أنها تضمن مايزيد على ١٠٪ من المستشرقين الفرنسيين عموماً . وسواء كان المستشرق علماً او عادياً فان (وجهته) السياسية هي (الالتزام المبدئي) في خدمة مصالح بلاده (القومية) و(الوطنية) ايأ كانت الوسيلة اليها .

وإذا تجاوزنا المستشرقين الى عموم الغربيين — وهم منهم — فإن الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين تأخذ في الاتساع وتشتد في تسميم الرأي الأجنبي العام بكل مايؤذي الحقيقة الإسلامية وسيئ إليها .

وعوموم الغربيين باحثين وعاديين قد تشبعوا بالمطاعن والضلالات مادامت منابع ثقافتهم ضحلة وآسنة ، يأخذونها من المستشرقين والمثقفين الحاقدين ، وتبقى في ازدياد وشدة حتى توصلهم الى أشد المواقف كراهية وعداء مستحكما . وعندئذ تثار حماسة الجماهير وانفعالاتهم المتأججة لأى سبب تختلقه رؤوس الفتنة والمنتفعين .

ولذا فإن أوربة عموماً خضعت أيضاً لغزو استشراقي وغربي خضوع كثير من المفكرين وعامة المسلمين وهي مسئولة عن هذا الخضوع كمسئولية المستشرقين عن الإخضاع .

وعلى كل حال . فإن الحجم العددي للمستشرقين السياسيين والموالين لهم يكشف عن ظاهرة توشك أن تصبح عامة ، وبالتالي فإن التقويم والحكم عليهم يعمهم باعتبارهم الفئة العظمى وليسوا أفراداً قلة لايقام لهم وزن ولا حساب .

ثانيا : في الاستشراق : ويلج تساؤل يفرض نفسه في قضية فكرية وعملية يحمل

جانبيين : ما طبيعة التلازم بين الفكر والعمل وصلتهما ببعض في الاستشراق ؟
وما حجم الشبهات والافتراءات المطروحة في صعيد الفكر العالمي عدداً ونوعاً ؟

١ - التلازم بين الفكر والعمل في الاستشراق : ان طبيعة الاستعمار وصلته بعملائه
الفكرين والعسكريين تقتضي ربط الفكر بالعمل من أجل بسط النفوذ المادي
والفكري وتسلطهما على الشعوب المغلوبة .

وهو تلازم واقع في ثلاث جهات ، أولاها : تمثلهما في شخصية المستشرق ،
في الرحلات الاستطلاعية والاستكشافية التي لا تخلو من مهام الاستخبارات
والجاسوسيات مثل ما عمل كراوس ، وفيلبي ، وهرجرونيه ، وبالمز ، ...

وثانيها : المشاركة في ميادين القتال والمساهمة الفعلية في أحداثه مثل ما قام به
ماسينون ، وكلوب ، وجنيو ، وروسي ...

وثالثها : سائر الأعمال السياسية الدبلوماسية التي كانت تزود الأجهزة
الاستعمارية بمعلوماتهم واقتراحاتهم .

وإذا : فالمستشرق هنا باحث ومقاتل ، أو سياسي أو مستكشف جاسوسي
تفرض عليه (قضيته) و (مسئولته) ان يقدم مواهبه الفكرية العلمية من أجلهما
وفي سبيلهما .

ثم ان الاجتياح العسكري والاستشراقي إلى جانب أنهما يتبادلان المكاسب فان
نصيب كل منهما يستوعب الماديات والمعنويات .

فقد يتحقق بالغزو العسكري كسب الخيرات واستغلال المصالح المادية ، الى
جانب ما يحققه من النفوذ الفكري والسلوكي ، وكذلك الاستشراق فهو لا يقتصر على
التغيير الفكري في دراسات نظرية وبجردة وانما يوظفها في خدمة قضيته التي يعيش
لها ويعمل جهده من أجلها ، ثم انه يهدف بعدها الى كسب مادي آخر في تسويق
انتاجه وترويج بضاعته .

ولو أنه اقتصر على التغيير الفكري وتغريبه لتعثرت أعمال الاستعمار في الاجتياح
والنفوذ ، ومن قبل لا بد من ان نشير الى أن (صناعة) الاستشراق ، و (احتراف)

فعالياته ، رائجة السوق ، رائحة المردود ، ويكفي أن يمتنها الطامعون من الغربيين وحدها لتعود عليها بعائدات مغرية .

فالإصدارات بالعربية والأجنبية ، والدوريات السنوية والموسمية بلغات شتى ، والمطبوعات المنفردة المستقلة وغير المستقلة ، وإنشاء المؤسسات الاستشرافية في الدراسات العليا وتزويدها بالأساتذة ، ثم ابتعائهم كخبراء ومحاضرين تمنحهم مكاسب مادية مجزية ، وأحياناً مضاعفة لما يضيفونه إليها من حضور المؤتمرات واغتنام المخطوطات الإسلامية بأثمان بخسة ثم بيعها بعد تحقيقها بأثمان باهظة .

والثقفون المسلمون المولعون باقتناء المراجع والإصدارات الأجنبية وبخاصة إصدارات المستشرقين يدركون هذا تماماً .

وتتداخل المكاسب المادية مع المكاسب المعنوية في حساباتهم المتنوعة ، فلا أعظم من أن يرى أحدهم أن أفكاره حملها عمالقة العرب وقادة المسلمين إلى بلادهم وأهلهم ، وهي تعيش في عقولهم وسلوكهم وهم يعيشون بها في الأرض فساداً .

وأي كسب معنوي يمكن أن يتحول إلى كسب مادي — أرضى لنفوسهم وأوقع في قلوبهم يوازي سريان (التفرغ) في عقول الشباب المثقف المسلم وهم عماد الأمة وقوتها حتى يؤدي بهم إلى الضياع أو الذوبان أو إلى أبواق دعائية لإعلام رخيص الوسائل والمهدف .

إن مثل هذه المكاسب قلبت في نفوسهم مفاهيم العدل والخير والإنسانية ، وجعلتهم يتحكمون بالقيم الأخلاقية من وجهة نظرهم ولنفعتهم ومنفعة بلادهم وقومهم ، ولا يبالون من بعدها بالنتائج الوخيمة والآثار الجسيمة على الشعوب المغلوبة على أمرها .

٢ — **التعاضد الاستشراقي** : وحجم الشبهات والافتراءات المطروحة من المستشرقين يعظم فيهم عقدة التعالي والغرور بسبب ما يفخرون به إعلامياً من خصائص استشراقية في (الاستيعاب) و (العمق) و (تحديث الأساليب) .

فالغربي عموماً مبتلى بضخامة هذه العقدة وإن كان الواقع والمنصفون يقرون بمزايا كثيرة للعرب والمسلمين في مجالات البحث والتقنية ، وقد يتفوقون عليهم في ميادين عديدة .

ولكن عقدة (النقص) عند عامة العرب والمسلمين في مقابل عقدة (التعالي) عند الغربيين تؤكد من قناعة الكثيرين بقدرة الغربي المتفوقة بما صنعه لنفسه من تقدم صناعي ومدني على حين ترسخ التخلف والتأخر في نفسية العربي المسلم بما آل إليه حاله من الاستعمار واليأس .

والمستشرق غربي الفكر والبيئة والمنبت ، شرقي الثقافة والاختصاص والصناعة ، فهو يتعاضم من جانبين : جانب البيئة المتطورة المتفوقة ، وجانب تقدمه في الدراسات الشرقية والاسلامية بالمناهج الاستشراقية .

ولذا فهو من وجهة نظره الأقدر فكراً وسياسة وعملاً على احتواء العالم الإسلامي الفكري والعملي .

بيد أنه ان وجد من بينهم متفوقون في اختصاصات فإن بعض الباحثين العرب يتحدونهم وأمثالهم أن يأتوا بمثل ماأتوا به ، فلا يقلون عنهم قدرة وتفوقاً واحاطة من غير دعاية أو دعوى .

ولا غرو فإن التراث الإسلامي زاخر بالعلم والعلماء والبحث والباحثين ، وهؤلاء المستشرقون عالة عليهم في الطريقة والمادة العلمية معاً .

ومع هذا فإن من الوفاء الاعتراف بمنقبة العلوم الاسلامية في أثرها العالمي وبعدها الانساني اللذين رفعت المستشرقين الى مستوى التقدير ، كما رفعت الاستشراق إلى مرتبة البحث العلمي .

ويعتينا هنا محاولتهم (استيعاب) القضايا الفكرية لكل مايتصل بالإسلام والمسلمين ، فقد غطت أبرز المسائل المتصلة بها ، حتى انهم بحثوا في مسائل تبدو تافهة ولكنهم يحسنون استغلالها في تحقيق أغراضهم ، فقد أطنبوا في الفرق والقبائل واللهجات والمدن والقرى المغمورة ...

وكنّت تناولت شيئاً من (أخطر الشبهات) عند الكلام على المجمعين المصريين ، وأكمل جوانب أخرى منها .

١ — في الأصول الإسلامية : فألى جانب ماسعى إليه (جب) و (مرجليوث) من تجريد الرسول من الوحي ، والدعوة إلى بشرية القرآن ، والتغريب ، وكانت محاولة (فنسنك) و (آربري) وغيرهما طرح مقولات زائفه في تاريخ القرآن وتبعيته عقيدة وعبادة وأخلاقاً ، للتوراة والإنجيل وكان (شاخت) و (كيتاني) يطعنان بالسنة النبوية حتى قال أدعياء الإسلام بالاكْتفاء بالقرآن .

٢ — في التاريخ الاسلامي : و (حتى) يعطي النصارى أعظم الأدوار في مسيرة الحضارة الإسلامية ، إلى جانب مايشبه من النعرات القومية في الأمويين والعباسيين والسلطنة العثمانية ... و (لامانس) يشوه البطولات الاسلامية في شخصيات الصحابة وآل البيت النبوي ومع الرسول نفسه ، وتشويهات وانحرافات في تاريخ المغرب والأندلس من (بروفنسال) و (بلاثيوس) .

٣ — وفي الفقه الاسلامي وأصوله : يقف (سانتلانا) و (شاخت) موقفاً متطرفاً فيربطونه بالقانون الروماني ، وبعضهم بالأعراف الجاهلية ويشككون في صلاحيته واستقلاله ويعيرون على رجاله وعلمائه .

٤ — وفي الأدب واللغة : حاضر الجامعيون ومنهم (بلاشير) و (جويدي) و (كازانوف) في تاريخ الأدب وفقه اللغة وأدخلوا في محاضراتهم شبهات في (الأدب الجاهلي) ، وعمل مجمعيون مثل (فيشر) و (بروكلمن) معاجم في السامية وأخرى في العربية والأجنبية ، وفهارس أدبية . وكانت مواقفهم من أدبية القرآن وأعجازه متباينة ، ونظراتهم في كثير من شعرائنا كالبحتري والمتنبي والمعري متعارضة ثم ولغويات (دوزي) نولولكه) و (دي خويه) ، والاهتمام باللهجيات المحلية والقبلية عند (دومباي) و (روسي) ...

٥ — وفي التشقيف العام : فقد أساءوا الى المجتمع الاسلامي بطرح شبهات حول (الخلافة) و (فصل الدين عن السياسة) وبتروا (النظام الاقتصادي من

الإسلام) ، (وأضعفوا روح الجهاد) ، (وقوضوا حصن الاسرة) ، (واثاروا
النعرات الاقليمية) ، (وانتقدوا الأخلاق الإسلامية) ، (ومجدو القيم الغربية) .

٦ — وفي العلوم الطبيعية والرياضية والتطبيقية تباينت دراساتهم ونتائجهم ما بين مفرط
ومفرط كما فعل (كراوس) و(روسكا) و(سديو) ...

انها قضايا فكرية وسلوكية وعلمية وأدبية مصيرية تتجه وجهتين الشمولية
والاحاطة في تجميع القضايا والمسائل عن الإسلام والمسلمين تاريخاً ومعاصرة ،
حيث انهم لم يدعوا قضية أو مسألة الا ونالوا منها بالتزيف والنشوية ، والثانية : تنوع
المعالجات التي كانت تتناول القضية الواحدة من جميع جوانبها وتقليبها على
وجوهها حتى تتأكد لديهم أنهم ينحجون في إقناع الآخرين بما يشوهون ويزيفون .

ولذا فإن أزمة خطيرة خلفتها الدراسات الاستشرافية في العالم العربي والغربي
على حين أن اضافاتها لم تكن ذات بال إن جردت من المصالح القومية
والاستشرافية .

ويتساءل الباحث ماذا قدم المستشرقون عموماً ، والسياسيون والمجمعون
والجامعيون خصوصاً من معارف علمية واجتماعية وأدبية ؟ وإذا قدموا شيئاً فهل
يتوازى مع طرح الشبهات والافتراءات في قدس المقدسات وأرسي المقومات ؟ وهل
كانت مناهجهم في البحث والتصنيف والتحقيق مبتكرة حقاً ؟

لقد تناول باحثون مسلمون هذه المسائل وعرضوا وجهات نظرهم ونتائج
ملاحظاتهم ، فوضع معظمهم الحق في نصايه ، وبين ما لهم وما عليهم ، وما أفادوا
وما أضرروا ، ويبدو لي أن القضية تحتاج الى المزيد من الدراسة والعمق في التحليل .

وعلى كل حال فإن التجني على العالم الإسلامي في بعده السطحي والعمقي
جعل من بعض رواد الثقافة العربية الاسلامية يرتابون في فضائل حضارتهم وأحقية
دينهم وألمعية تاريخهم ، وربما أوصلهم الى الاعتقاد بأن عوامل التقدم ليست في
أيديهم ، وموازين التقويم خارجة عن تقديرهم ، وتحكم التغريب محيط بهم ومتسلط
على حياتهم ، والفعاليات الحضارية المادية والعلمية مفروضة على حاضرهم

ومستقبلهم ... انها أزمة فكر وخلق وضمير وتصور .

فهل يرضي المسلمون أن يستمر الغزو الاستشراقي ومن ورائه الفكر السياسي الغربي من غير حذر ولا وعي ؟ وإذا رفضوه كلاً أو بعضاً فهل يقدرّون على تحرير طاقاتهم من تياراته المذهبية المعاصرة شرقية وغربية ؟ وإذا تحررت طاقاتهم منها أو من معظمها فهل تعود إليهم ثقّتهم بإسلامهم فيعملون له ومن أجله بروية وجدية ، علماً وثقافة وحضارة ومنهج حياة طالما أن الإسلام يعمل لهم ومن أجلهم ؟

ثم إن عرفان الإسلام بأعمال استشراقية منهجية ملتزمة بأمانة الكلمة ومسئولية الفكر توجب على سائر المستشرقين التحرر ثقافياً من جميع الانحرافات والراوسب والأغراض والافتراءات ، وتدعوهم إلى الأصالة في الفكر والعمل ، وكشف الحقيقة ناصعة خالصة كاملة . (إن ذلك من عزم الأمور) .

ثبت المراجع

أولا : القرآن الكريم ، وتفسيره . منها :

١ — تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) (الطبري) أبو جعفر محمد بن جرير . الباي الحلبي ط ٣ ١٣٨٨هـ

٢ — تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) (الفخر الرازي) محمد بن ضياء الدين . دار الفكر دمشق ط ١ ١٤٠١هـ

٣ — تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي . دار المعرفة — بيروت ١٤٠٢هـ .

٤ — تفسير أبي السعود (ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم) (ابو السعود) محمد بن محمد العمادي . احياء التراث العربي .

٥ — فتح القدير : الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (الشوكاني) محمد بن علي . دار الفكر .

ثانيا : الحديث النبوي وشروحه ومنها :

١ — الصحيحان (البخاري) محمد بن اسماعيل ، (ومسلم) مسلم بن الحجاج .

٢ — السنن (الترمذي) محمد بن عيسى — (أبو داود) سليمان بن الأشعث ،
(ابن ماجه) محمد بن القزويني ، و (النسائي) احمد بن شعيب ،

٣ — الموطأ (مالك) بن انس

٤ — المستدرک علی الصحيحين (الحاكم) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري
محمد بن عبد الله

٥ — المسند (احمد بن حنبل) .

٦ — صحيح ابن خزيمة (ابن خزيمة) محمد بن اسحاق . المكتب الإسلامي
١٤٠٠هـ

٧ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (الهيثمي) علي بن أبي بكر . دار الكتاب
العربي بيروت ١٤٠٢هـ

٨ — فتح الباري شرح صحيح البخاري (ابن حجر) العسقلاني ، احمد بن
علي ، قرأ الأجزاء الثلاثة الأولى تصحيحاً وتحقيقاً الشيخ عبد العزيز بن باز ، ورقمه :
محمد فؤاد عبد الباقي ، وأخرجه محب الدين الخطيب .

٩ — شرح مسلم (النووي) يحيى بن زكريا . دار الفكر دمشق ١٤٠١هـ

١٠ — الجامع الصغير والجامع الكبير (السيوطي) عبد الرحمن بن أبي بكر .

١١ — الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين في خ (ابن عدي) عبد الله .

ثالثاً : المراجع العامة^(١)

١ — الآداب العربية : لويس شيخو في : فصل (المستشرقون)

٢ — الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : د / محمد محمد حسين — دار
النهضة العربية ط ٣ ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢ م .

٣ — أحداث وأعلام (ج ٢) : سمير شيخاني — بيروت — دار الفجر العربي .

٤ — الأدب العربي المعاصر في مصر د / شوقي ضيف — القاهرة — دار
المعارف ١٩٧٦ م .

٥ — الاستشراق والمستشرقين : د / عدنان وزان من سلسلة دعوة الحق — رابطة
العالم الاسلامي العدد ٢٤ .

(١) معظم المراجع مؤنق بها — وبعضها مشبوه وخطر ذكر المرء عليه وأقلها للاستئناس .

- ٦ — الاستعراب في الاتحاد السوفيتي : ت / محمد المعصراني .
- ٧ — الإسلام والثقافة في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب : أنور الجندي .
- ٨ — الإسلام وموقف علماء المستشرقين : د / عبد الحميد متولي ط ١٩٨٣ م .
- ٩ — الإسلام والغرب : نورمان دانيال
- ١٠ — أشعة خاصة بنور الإسلام آتين دينيه
- ١١ — الإصابة في تمييز الصحابة : (ابن حجر) احمد بن علي العسقلاني — القاهرة — السعادة ١٣٢٨ هـ .
- ١٢ — أضواء على الاستشراق : د / محمد عبد الفتاح عليان — الكويت — دار البحوث العلمية ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م .
- ١٣ — أيام فيليبي في العراق (من أيام عربية) : فيليبي ، ت وتعليق : جعفر خياط — دار الكشف ١٣١٩ هـ — ١٩٥٠ م .
- ١٤ — البداية والنهاية في التاريخ (ابن كثير) : اسماعيل بن عمر — مصر ١٣٥١ هـ
- ١٥ — البرهان في علوم القرآن : (الزركشي) محمد بن بهادر . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . الباني الحلبي ١٩٧٢ م .
- ١٦ — تاريخ الأدب العربي : (بروكلمان) كارل تحقيق د / عبد الحليم النجار المعارف ١٩٧٧ م .
- ١٧ — تاريخ آداب اللغة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام : جرجي زيدان ، مراجعة د / شوقي ضيف — القاهرة — دار الهلال .
- ١٨ — تاريخ المجمع العلمي العربي : أحمد الفتيح ط الترقى بدمشق ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .
- ١٩ — التبشير والاستعمار : د / عمر فردخ ومصطفى الخالدي — منشورات المكتبة العصرية ١٩٨٢ م .

- ٢٠ — التراتيب الادارية : (الكتاني) محمد عبد الحفي . ط بيروت .
- ٢١ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم الدمشقي . مطابع المجد التجارية .
- ٢٢ — السيرة النبوية : (ابن هشام) عبد الملك — تحقيق وضبط : السقا ، الابياري الشلبي — مؤسسة علوم القرآن .
- ٢٣ — الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية رودى بارشا . ت د / مصطفى ماهر — القاهرة — دار الكاتب العربي ١٩٦٧ م .
- ٢٤ — دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : موريس بوكاي . دار المعارف .
- ٢٥ — الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين : نذير حمدان ط ١ مقدمة — دار المنارة جدة ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م
- ٢٦ — طه حسين : حياته وفكره في ضوء الإسلام : أنور الجندي — الاعتصام — القاهرة .
- ٢٧ — الظاهرة القرآنية : مالك بن نبي . ت / عبد الصبور شاهين — دار الفكر دمشق
- ٢٨ — العقيدة والشريعة في الإسلام : (جولدزهيير) اجتناس . ت د / محمد يوسف موسى ، ود / علي حسن عبد القادر ، و : عبد العزيز عبد الحق . دار الكتب الحديثة القاهرة ، والمثنى بغداد ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .
- ٢٩ — العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي : الدوميلي ، ت د / عبد الحليم النجار ود / محمد يوسف موسى — جامعة الدولة العربية ١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م :
- ٣٠ — علماء أجنبية في خدمة الثقافة العربية : د / جمال الدين الرمادي — دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م

- ٣١ — الفتاوى : (ابن تيمية) ٣٥ / ١٠٨ — ١١١ ، ٢ / ٤٨٠ — ٤٨٧ — مكتبة المعارف — الرباط .
- ٣٢ — الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار : د / محمد البهي — مكتبة وهبة ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م .
- ٣٣ — قصة الحضارة : ول ديورانت .
- ٣٤ — المبشرون والمستشرقون : د / محمد البهي — مطبعة الأزهر — القاهرة .
- ٣٥ — مجد الإسلام : فيبيت . ت وتحليل د / حسن مؤنس ، ملحق بالفكر الاسلامي الحديث السابق .
- ٣٦ — المجمع العراقي : عبد الله الجبوري .
- ٣٧ — المستشرقون الناطقون بالانكليزية (مقال) : ا . ل . طيادي : ت / فتحي عثمان ملحق بالفكر الاسلامي الحديث السابق .
- ٣٨ — مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب التربية العربي لدول الخليج ١٩٨٥ م .
- ٣٩ — نظريات شيخ الإسلام في السياسة والاجتماع هنري لاووست : ت / محمد عبد العظيم علي ، وتقديم د / مصطفى حلمي — القاهرة — دار الأنصار ١٩٧٩ م .

رابعاً : المعاجم والموسوعات :

- ١ — الأعلام (الزركلي) : خير الدين — دار العلم للملايين ١٩٧٩ .
- ٢ — لسان العرب : (ابن منظور) محمد بن مكرم — الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٠٨ هـ .
- ٣ — موسوعة المستشرقين : د / عبد الرحمن بدوي — دار العلم للملايين ١٩٨٤ م .
- ٤ — الموسوعة العربية الميسرة : إشراف / محمد شفيق غربال — مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر — صورة طبق الأصل عن طبعة ١٩٦٥ م

خامساً : الدوريات :

- ١ — الثقافة : ١٨ / ٣٧ مقال المستشرقون ورسالة الرسول : محمد أحمد الفخراوي .
- ٢ — الغرب : ١٢ / ٢٠٦ مقال : الاستعراب والمستعربون .
- ٣ — مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق الأعداد ١ / ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ و ٢ / ٩٣ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، و ٢٨ / ٦٤٥ .
- ٤ — مجلة المجمع اللغوي المصري الأعداد ، ٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٤ .
- ٥ — مجلة المشرق البيروتيه : ٣٧ / ٧٢٤ .
- ٦ — مجلة الهلال : ٢٩ / ٣٥٥ — ٣٥٨ مقال : العلوم الشرقية في مدارس أوروبا : فيليب حتى .

سادساً : مراجع بالأجنبية :

- 1- The Arab in history: Bernard lewis.
- 2- Article in Eneyclopaedia Judiea, 10 Jeurusalew 1971: Martin Plessner.
- 3- Catalogus Codicum Arabicarum, Bibl, Arab, Dozy.
- 4- David Sactillana: leuis della, Miliaco-Napoli.
- 5- Der Islam, 1953 Otto spiess
- 6- Eneyclopedia Britancia.
- 7- In Ja Vol 262 (1974) David Cohen.
- 8- In Arabica. T. 111 Fase, Avec, Bibliographie.
- 9- Massignon. J. Morillon Paris 1964.
- 10- Oriental Essays A.J. Arberry.
- 11- The Orgin of Islam inits Christian Enviroment: Bell richard.
- 12- The Spirit of Islam, Sayed Ameen Aly.

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٣	المدخل:
١٧	أولاً: مستشرقون سياسيون
١٩	١- مؤسسات دبلوماسية للمستشرقين
	٢- رحلاتهم السياسية
٢٧	٣- بواعث سياسية فكرية محتملة
٢٩	٤- زحف استشراقي سياسي
٣٢	● أعلام مستشرقون سياسيون
٣٣	١- كريستيان سنوك هورجرونيه
٤٣	٢- فيليبي
٥٥	● جدول بالمستشرقين السياسيين
٦٧	● دراسة وتعقيب
٧٢	● من مراجع البحث وهوامشه
٧٩	ثانياً: مستشرقون جامعيون
٨٠	أولاً- في المغرب العربي
٨٥	ثانياً- في المشرق العربي
٨٥	١- مصر والمستشرقون
٨٦	أ - مستشرقون متقدمون
٨٧	ب - مستشرقون في الجامعة المصرية
٨٩	٢- مستشرقون في المعاهد العليا بدمشق وغيرها
٩٢	● أعلام جامعيون
٩٣	١- كازانوفا الفرنسي
٩٨	٢- دافيد سانتلانا

١٠٣	٣- ليفي بروفنسال في المغرب العربي
١٠٨	٤- بول كراوس
١١٥	٥- لاووست
١١٩	● جدول بالمستشرقين الجامعيين وأهم نشاطاتهم
١٢٧	● دراسة وتعقيب
١٣٤	● من مراجع البحث وهوامشه
١٣٧	ثالثاً: مستشرقون مجمعيون
١٤٠	أولاً: المجمع العلمي العربي بدمشق
١٤٢	١- فريتس كرنكوف
١٤٣	٢- بلاشير الفرنسي
١٤٤	من آثاره: ١- الأدبيات
١٤٥	٢- الإسلاميات
١٤٥	- الكتاب الأول: ترجمة القرآن
١٥٧	- الكتاب الثاني: معضلة محمد صلى الله عليه وسلم
	● جدول المستشرقين المجمعين في المجمع
١٦١	العلمي العربي بدمشق
١٧٤	● دراسة وتعقيب
١٨٢	● من مراجع البحث وهوامشه
١٨٣	ثانياً: المجمع المصري
	● أعلام مستشرقون في مجمع اللغة
١٨٦	العربية بالقاهرة
١٨٦	١- كارلو نلليينو الإيطالي
١٩٣	٢- لويس ماسينون الفرنسي
	● جدول بالمستشرقين المجمعين في مجمع
٢١١	اللغة العربية بالقاهرة
٢١٥	● دراسة وتعقيب
٢٢١	● من مراجع البحث وهوامشه

٢٢٣	ثالثاً: المجمع العلمي العراقي
٢٣٠	١- المستشرق عبدالكريم جرمانوس المجري
٢٣١	٢- المستشرق الفرد جيوم الانجليزي
٢٣٥	● من مراجع البحث وهوامشه
٢٣٧	صور مجمعية من مناقشات العرب والمستعربين
٢٣٨	١- في المجمع السوري
٢٤٠	٢- في المجمع المصري
٢٤٤	● من مراجع البحث وهوامشه

٢٤٥	الخاتمة
-----	-------	---------

حقائق هامة

٢٤٦	أولاً - في المستشرقين
٢٥٠	ثانياً - في الاستشراق
٢٥٧	ثبت المراجع

